

لا نأسف على الإزعاج

مع العمري

د. أحمد خيري العمري

لا نأسف على الإزعاج

د.أحمد خيري العمري

إهداء....

إلى شباب لا أعرفهم ، ولا اذكر عنهم غير شبابهم ، رايتهم على مدخل كارفور ، ليلة البدء بتصوير البرنامج..وقررت يومها أني إن لم تصل كتبي لهم ، فسأحاول ان اوصل ما فيها بطريقة أخرى..

إليهم ، أينما كانوا ، كيفما كانوا ، أهدي لهم هذا الكتاب....

مقدمة لا بد منها..

اكتبها بعد أيام من انتهاء عرض البرنامج.

ورغم اني كنت قد انتهيت من التصوير منذ اشهر، الا اني اشعر ان البرنامج قد انتهى للتو، بل اشعر كما لو اني اقف في صالة المغادرين في مطار ما لأودع صديقاً عزيزاً وهو يغادر مهاجراً الى قارة بعيدة..

ككل وداع، يزدحم هذا الموقف بالكثير من الذكريات الحلوة والمرة، ولأن هذا البرنامج هو خطوتي الأولى مع الإعلام، فان للذكريات طعماً مختلفاً، كذكريات صدور اول كتاب لي قبل اثني عشر عاماً ، اي في عام ٢٠٠٣ م ، عند صدور كتاب البوصلة القرآنية.

اليوم، وأنا محاط بالتفاعل الذي قوبل به البرنامج، أجد نفسي مضطراً لتسجيل بعض المحطات الأساسية في هذه التجربة، التي ربما تكون خافية عن الكثير من المتابعين والقراء.

والمحطة الأهم بالتأكيد هي: لماذا الميديا؟

بالضبط لماذا يذهب كاتب، إلى مجال مختلف عن مجاله، ويعرض نفسه لمخاطر الفشل؟ بينما هو أكثر حصانة في مجاله الأصلي؟

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

الأجوبة المبسطة سهلة..

لكنها قد تخفي جزءاً مهماً من الحقيقة..

لذلك لن اكتفي بالقول إني كنت ارغب في نشر فكري او الترويج لكتبي، رغم أن هذا صحيح، لكن الأمر فيه (حيثيات) أكثر، ارى انها مهمة، ليس لفهم سبب توجهي للميديا فحسب، بل لفهم الطبيعة البشرية وخفاياها، وأيضاً: أزماتها.

ببساطة: قضيت شطراً كبيراً من عمري وانا مقتنع ان الكاتب كاتب فحسب، وانه لا داعي اصلاً لخوض عمل اخر ولو من اجل الترويج للكتابة. لن ادعي هنا انه كانت هناك عروض مهمة للدخول في الإعلام، ولكن كانت هنالك بالتأكيد مقترحات من قبل المتابعين والقراء، ممن كانوا حريصين على نشر الأفكار التي في الكتب، وكنت ارد ببساطة بأن هذا الأمر يجب أن يقوم به شخص اخر، وانني كاتب فحسب، وأن موهبة الكتابة لا يشترط معها حضور اي موهبة أخرى قد تكون ضرورية للإعلام.

بالتدريج: بدأت أكتشف صعوبة أن يقوم شخص آخر بهذا..

قدّم كثيرون، وفي وسائط متعددة، افكاراً مستقاة من كتبي، وكنت ابارك هذا عموماً، بل أشكرهم شخصياً عندما تتوفر الفرصة أو يكون ثمة تواصل سابق أو لاحق لمحاولاتهم، لكن ببساطة، وباستثناء الدكتور وليد فتيحي، فإنني لم أشعر بفكرتي عندهم، لم اشعر بأنها (هي هي)، بالتأكيد من حق كل منهم أن يعبر عن فكرتي بطريقته هو، لكني ببساطة لم أشعر بها.

كان البعض منهم يجيد تماماً فن الإلقاء والخطابة، كما يفترض بالإعلامي في مخيلتنا ان يكون، **لكن هذا نفسه ربما كان السبب في شعوري بأن فكري ليس في المكان المناسب معهم.**

الفكر غير التقليدي، لا يمكن ان يقدم بأسلوب تقليدي، مهما كان متقناً.

ببساطة، وفي كل مرة، كنت أتذكر بأن **النائحة ليست كالثكلى..**

وانه ما حك جلدك مثل ظفرك.

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

وهذا كله كان مقدمة لما حدث لاحقاً..

كان هناك شعور متراكم بأن ما يقدمه الاخرون في الميديا مستنداً على افكاري، غير منسجم مع هذه الأفكار، على الأقل في طريقة التقديم.. او احياناً في فهمهم لها..

وكان لديّ شعور متزايد، بأني قد استنفدت كل ما يمكن من جهود شخصية

لترويج كتبي، وكان رواج الكتب قد تضاعف فعلاً في السنوات الأخيرة والحمد لله، لكني كنت أدرك أن هذا سيبقى محدوداً ما دمت بعيداً عن الميديا.

ثم حدث ما استثمر ذلك كله، وجعلني أخطو هذه الخطوة.

حدث أني مررت بما يمكن تسميته بأزمة منتصف العمر.

●●● ●● ●●●

لا أجد غضاضة في أن أعترف بأني مررت بأزمة منتصف العمر.

وأعترف أيضاً بأني لم أفهم الأمر هكذا في البداية، وأن تشخيصي لهذه الأزمة جاء لاحقاً. على الأقل بعد أن قمت بما قمت به كنتيجة لمروري بها.

يجد الناس مشكلة في الاعتراف بأزماتهم الشخصية، يتعاملون معها كما لو كانت عيباً يجب ستره، وهم بذلك يخفون ربما أصدق وأنبل ما فيهم، ويوقفون ما يمكن أن يستثمر لصالحهم وصالح من حولهم.

بالتأكيد، لا أطلب من الجميع التحدث عن أزماتهم علناً، فثمة حد معين من الخصوصية سيبقى مطلوباً، لكني اليوم، وبعد ما حققه البرنامج بفضل الله، أجد نفسي مضطراً إلى الاعتراف بدور أزمة منتصف العمر في إقدامي على هذه الخطوة.

أزمة منتصف العمر هي أزمة شخصية نفسية، تحدث غالباً بين الأربعين والخمسين، وأعراضها تختلف بين الأشخاص، وقد لا تحدث عند نسبة كبيرة من الناس، وتتضمن غالباً المرور بمرحلة انتقالية، وعدم الاستقرار النفسي والعاطفي، والرغبة في إحداث تغييرات في نمط الحياة، أو في مظاهرها على الأقل.

الصورة الكلاسيكية لأزمة منتصف العمر في أذهاننا تختصر بما يعرف بالـ (المراهقة الثانية). وقد قامت السينما (العربية وغير العربية) بتكريس هذا الجزء من الأزمة في عقولنا حتى فرغت من عمقها الحقيقي، فالمراهقة الثانية هي مجرد مظهر سطحي لمشاكل أعمق بكثير، وبينما يهرب الزوج في الفيلم مع فتاة شابة شقراء بعمر أولاده وترتدي تنورة قصيرة، ثم يعود إلى زوجته في نهاية الفيلم نادماً تائباً، فإن الحقيقة أعمق بكثير من هذه المظاهر (ولا

انفي ان كثيراً من الذين يصابون بأزمة منتصف العمر يعبرون عنها بهذه السلوكيات المراهقة، لكن الأمر لم يكن مماثلاً بالنسبة لي بطبيعة الحال).

ازمة منتصف العمر هي الأزمة التي تحدث عندما تجد نفسك فجأة في منتصف المعدل العام المتوقع للأعمار، وتجد **أنك لم تحقق كل أو اغلب ما كنت تحلم به عندما كنت في مطلع حياتك**. بل قد تجد أنك لا تحب حياتك حقاً، تكتشف فجأة انك لا تحب عملك حقاً، وانك قد قضيت (نصف عمرك) في الاتجاه الخطأ.

الهروب من هذا الشعور عبر علاقة عاطفية تشعرك بأنك لا تزال شاباً ومرغوباً، هو غالباً مخدر مؤقت لا يمس جوهر المشكلة، بل غالباً يزيد من صعوبتها بتعريض الحياة العائلية للخطر.

لكن هذا الهروب، المنتشر سينمائياً، ليس هو الحل الأكثر انتشاراً في الواقع.

بالنسبة لي، بدأت الأزمة مع دخولي الأربعين، وكانت تتصاعد بالتدريج، إلى ان بلغت ذروتها (آمل ان تكون بلغت ذروتها!) وانا في الرابعة والأربعين، لم أكن أدرك أنها أزمة منتصف العمر، لكني كنت أشعر بالحاجة المتزايدة إلى عمل شيء ما.. لم يكن الأمر يتعلق بوضع عائلي أو عاطفي من قريب أو بعيد، بل كان يتعلق بمقارنة الطموحات بالمتحقق منها، كان يتعلق بأنك في الأربعين تكون أكثر قرباً من حقيقة أنك راحل – كما الجميع وكما كل شيء – عما قريب، وأن وقتك ينفد..

ربما يتصور كثيرون أني حققت الكثير، وقد غمرني رب العالمين بفضله ومنته بلا شك، كنت ولا أزال مستشعراً الرضا والحمد على ما غمرني به، متطلعاً للمزيد..

في السنة الماضية تحديداً (٢٠١٤)، بعد ان بلغت الرابعة والأربعين، قدمت استقالتي من وظيفة حكومية مريحة بلا شك، لأسباب قد تبدو غير منطقية للبعض، وانتقلت وعائلتي للسكن في مدينة جديدة، تزامناً مع الانتقال للعمل الجديد.. وقررت أن هناك ما يستحق المغامرة على الضفة الأخرى.

أقل من شهر يفصل بين انتقالي إلى عملي الجديد، وبين قراري بمحاولة دخول الميديا.

كان الأمر غير واضح في البداية، وغامرت مادياً بإنتاج الحلقة التجريبية الأولى، وكان العمل عليها يعني إعداد الصيغة النهائية لما سيكون عليه البرنامج، أي إعداد القالب الأساسي، نصاً وشكلاً، لما سيكون عليه البرنامج لاحقاً.

وكان الأخ عمر الركابي السكري هو صاحب الفكرة للشكل النهائي للبرنامج.

الخطوة اللاحقة كانت هي الأصعب، حيث كان علينا أن نعرض الحلقة التجريبية على القنوات بعد الانتهاء من مونتاجها، أو على المنتجين، أو على الرعاة (أصحاب الإعلانات)، وغالباً على كل هؤلاء دفعة واحدة. وهو أمر شديد التعقيد، وربما أقرب إلى المستحيل، خاصة بالنسبة للتجربة الإعلامية الأولى.

قبل أن تتسلم الحلقة في مونتاجها النهائي، صورت مع الأخ أحمد طلبة سليم حلقات معدة لليوتيوب بعنوان (كبر عقلك).

في نفس اليوم الذي بثت فيه الحلقة الأولى، اتصل بي مكتب شركة سليم (الدكتور مصطفى العيدروس، والأستاذ محمد بن دخين المطروشي)، طالباً مني تحديد موعد للقاء للتباحث حول إنتاج برنامج.

كانت فكرة الدكتور مصطفى هي تقديم برنامج يستند على (كيمياء الصلاة).

لكني عندما التقيت به عرضت عليه الحلقة التجريبية، بموضوعها المختلف تماماً عن (كيمياء الصلاة).

هكذا بدا لي كما أن أمراً قدرياً يحدث، أن يفكر الدكتور مصطفى بالأمر(بل أن يتخذ بعض الخطوات قبل أن يفاتحني أصلاً!)، بينما أكون قد تهيأت نفسياً للأمر وأنجزت حلقة تجريبية، أراه أمراً لم يكن صدفة.

كان الأمر يسير باتجاهين، والتقينا في مفترق طرق.

ثم كان (لا نأسف على الإزعاج).

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

لم أفهم أن الأمر كان أزمة منتصف العمر إلا لاحقاً، بعد انتهاء التصوير، وقبل عرض البرنامج، تحديداً بعد توقيع كتاب (القرآن لفجر آخر) في معرض أبوظبي للكتاب.

لعرض البرنامج يومها لأزمة إنتاجية (قاتلة)، وكان يمكن فعلاً أن يحدث تعبير في صيغته النهائية على نحو (قاتل) لكل ما عملنا عليه، ومسيئة جداً لي على نحو خاص.

يومها ادركت اكثر من اي وقت مضى حجم المخاطرة التي قمت بها، كنت اعرض (الكاتب) إلى الخطر، ليس فقط مهنته وصورته، بل أيضاً اعصابه ونفسيته..

فهمت يومها ان ما دفعني إلى هذه المخاطرة، هو شيء كبير مثل أزمة منتصف العمر.

هو إحساسي المزمن المستمر بأن الزمن اوشك على النفاد..

واني لا بد ان افعل شيئاً (مختلفاً) حيال ذلك..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

بعد بدء عرض البرنامج بأيام، قال لي بعض الأصدقاء إن خطوتي كانت جريئة وشجاعة.

صرت أقول لهم دون مواربة: كانت أزمة منتصف العمر..

قال لي الدكتور سنان حتاحت يومها: جيد أنك لم تشتر سيارة حمراء، ولم تتزوج امرأة ثانية، طلعت ببرنامج!..

نعم، كانت أزمة منتصف عمر، شاء الله أن تثمر شيئاً يبدو الآن أنه إيجابي بفضل الله ورحمته.

كانت (أزمة) وقانا الله شرها..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

امر اخر له علاقة بأزمة منتصف العمر.

الأزمة في جوهرها ترغب في استعادة زمن ضائع، شباب ضائع..

بالنسبة لي، كان تواصلي المستمر مع الشباب يمنحني (بطريقة ما) تعويضاً عن العمر المتسرب من بين أصابعي.

لكني في هذه الفترة بالذات، صرت محاطاً (ولو على نحو جزئي) بشباب لا يقرؤون لي حقاً بقدر ما يتابعونني على الفيس بوك.

وكان يمكن للميديا أن تكون جسراً جيداً لهم.

كان هؤلاء الشباب مثل الشباب الذين رأيتهم ليلة البدء بالتصوير أمام مدخل كارفور.

كانوا مجموعة شباب في عمر الورد، يقفون على مدخل المتجر الكبير.. مررت بهم، وقلت في نفسي: لم تصلكم كتبي، لكني أقسم أني سأصل لكم بطريقة أخرى..

ليلتها كتبت منشوراً على الفيس بوك بهذا المحتوى، دون أن أفصح عما أنوي فعله في اليوم التالي..

ولكن الوصول لهؤلاء الشباب، كان بطريقة ما، يعبر عن جوهر الأزمة..

تشعر أنك راحل، أن وقت رحيلك يقترب، فترغب في البقاء، بأن تبقى أفكارك في أجيال قادمة..

ربما..

نسأل الله أن يصحح نياتنا ويصوبها.. وأن يجعل كل أعمالنا خالصة لوجهه..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

من لا يشكر الناس لا يشكر الله..

أحب هنا أن أشكر كل من ساهم في (لا نأسف على الإزعاج).

أشكر زوجتي عائشة(أم زين)، وهي الشريكة الوحيدة لقرار دخول الميديا، وقفت معي (قبل وأثناء وبعد).. كما فعلت دوماً.

شكراً جزيلاً لكل أعضاء فريق العمل ، وأعضاء فريق قيام.

وشكراً جزيلاً للجمهور الذي تفاعل مع البرنامج على نحو فاق كل توقعاتي.

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

النصوص التالية هي نصوص كتبتها قبل التصوير.. **أي أنها ليست الحلقات**

كما ظهرت على الشاشة وبالتأكيد ليست تفريغاً للحلقات، كان هناك الكثير من الارتجال أمام الكاميرا من جهتي لأني لا أجيد الحفظ (ولم أكن مقتنعاً أصلاً بالحفظ). وكان هناك أيضاً الكثير من الحذف مما صور عبر المونتاج بسبب تجاوزنا الوقت المحدد للبرنامج.

وبكل الأحوال..

لا نأسف على الإزعاج!

١

رمضان رقم واحد

في اول يوم من رمضان، من كل سنة تمر علينا، نسمع نفس الأسئلة، ونسمع نفس الأجوبة.

كل رمضان، كل سنة، منذ آن وعيت، وغالباً منذ ان وعيتم انتم، وانتم تسمعون الأسئلة ذاتها، وغالباً تكون لها نفس الأجوبة..

في برامج الإذاعة والتلفزيون، محلية وفضائية، منتديات على الإنترنت ومواقع تواصل اجتماعي..

نفس الأسئلة.. ونفس الأجوبة..في اول يوم من رمضان، من كل سنة تمر علينا، نسمع نفس الأسئلة، ونسمع نفس الأجوبة.

هناك نفس الكلام دوماً عن مفطرات الصيام، ونصائح عامة طبية عن ماذا نأكل في الإفطار كي لا نجهد انفسنا.. تتكرر ايضاً كل سنة.

وهناك الأسئلة عن صلاة التراويح هل هي ثماني ركعات فقط أم عشرون؟!

وهناك هذا الشخص الذي يشرب الماء ناسياً ودون عمد كل سنة، سيأتي ليسأل هذا السؤال، وماذا عليه، يكمل صومه أم يقضيه ام يدفع كفارة أم ماذا يفعل بالضبط..

وهناك سؤال عن الذي على سفر.. وعن المريض..

وهناك سؤال عن الحقنة الطبية بأنواعها، هل تفطر أم لا..

دوماً نفس الأسئلة، ودوماً نفس الأجوبة..

كما لو أن ذاكرتنا لا تحتفظ بشيء من ملفات العام الماضي..

او كما لو أنه رمضان رقم واحد.. وكما لو أن الأمر بالصوم قد نزل للتو..

كل شيء يعاد، كل سنة، كما لو أننا في فيلم قد شاهدناه من قبل..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

فلنكف عن التذمر.

ربما هناك أشياء إيجابية في هذه الإعادة وهذا التكرار..

ربما هي **للتذكرة، والذكرى تنفع المؤمنين..** المؤمنون قد ينسون بعض التفاصيل من هناك وهناك.. ولا ضير في ضبط معلوماتهم..

وربما هي من أجل أشخاص يصومون لأول مرة في حياتهم.. دوماً هناك أشخاص يصومون لأول مرة في حياتهم، ومن حقهم أن يعرفوا هذه المعلومات التي قد تبدو مكررة بالنسبة لغيرهم..

كل هذا وارد جداً، كما أنه من الوارد أن كل هذه الأسئلة صارت جزءاً من جو رمضان وتقاليده، مثلها مثل لمة الأهل عند الفطور والمسحراتي وشراب تمر الهند والحساء الذي تعده والدتك والحلويات التي تأكلها بعد التراويح..

ربما صارت هذه الأسئلة جواً رمضانياً سنستغرب اختفاءه لو أنه اختفى..

ربما..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

لكن فكر فقط، لو أن هذا يمكن أن يكون رمضانك الأول فعلاً..

لو أن هذا هو رمضانك الحقيقي الأول..

كل رمضان، كل سنة، هناك فرصة ليكون هذا الرمضان هو الرمضان الأول في حياتك..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

الصيام يمنعنا مبدئياً من ٣ أشياء.. الأكل والشرب والجماع، وهذه الأشياء بالذات هي التي يستمر بها الجنس البشري.. لولا الأكل والشرب والجنس لمات الجنس البشري أو انقرض..

كل رمضان، كل سنة، هناك فرصة ليكون هذا الرمضان هو الرمضان الأول في حياتك..

ما المغزى إذن من ان يرتكز الصيام على الامتناع عن هذه الحاجيات الأساسية من بقاء الجنس البشري؟

لا بد ان تكون هناك حكمة ما في ذلك.

لكن لحظة..

هذه الحاجيات الثلاث، هي نفسها حاجيات كل المخلوقات الأخرى..

كل الحيوانات تشترك معنا في هذه الحاجيات الثلاث من أجل بقائها واستمرارها..

قطة والدتي وكلب الجيران وأسماك الزينة الخاصة بابنك وعصافير حب ابنتك، كلها تشترك بهذه الحاجيات، مثلنا مثلها..

يوقفنا رمضان عند هذه الحقيقة ليقول لنا: **نعم تشتركون مع بقية المخلوقات في هذه الاحتياجات.. لكن لديكم احتياجات أخرى لتكملوا إنسانيتكم..**

يوقفنا رمضان ويقول لنا: ثمة شيء أكثر من هذا في حياتكم..

أكثر من مجرد هذه الاحتياجات..

رمضان فرصة لكم، لكي تجربوا ذلك..

يوقفنا رمضان ويقول لنا: ثمة شيء أكثر من هذا في حياتكم..

أكثر من مجرد هذه الاحتياجات..

رمضان فرصة لكم، لكي تجربوا ذلك..

يعبر علماء الاجتماع المعاصرون عن حاجات الإنسان، بهرم قاعدته في الحاجات الأساسية الثلاث، ومن ثم يتدرج إلى حاجات أخرى، مثل الأمن والأمان والتواصل الاجتماعي وصولاً إلى تحقيق الذات.

أما رمضان، فهو يجعلك تتجاوز القاعدة الأولى للهرم، درجات الحاجات الغرائزية، لتستكشف أبعاداً أخرى من إنسانيتك ووجودك ربما لا تنتبه لها في الأحوال العادية، ويوصلك إلى قمة أخرى للهرم لا ينتبه لها علماء الاجتماع

الغربيون.. **إنها تحقيقك لذاتك من خلال تواصلك مع الله.**

❊❊❊ ❊❊ ❊❊❊

قبل رمضان، ربما انت إنسان ذو بعد واحد، بعد مادي، بعد بيولوجي، غرائزي..

لكن يأتيك رمضان، فيجعلك إنساناً متعدد الأبعاد..

الم اقل لك إنه قد يكون رمضانك الأول؟

❊❊❊ ❊❊ ❊❊❊

لكن كيف يفعل رمضان ذلك؟

يحاول الناس اثناء رمضان، ولأنهم لا يريدون أن لا يذهبوا أجر صيامهم، ان يكونوا أكثر التزاماً بكل شيء.. لقد تحملوا العطش والجوع، وهم من اجل هذا لا يرغبون في خسارة جهدهم، بصلاة يؤخرون وقتها او فرض ربما يفوتونه..

لذا، سنجد أكثر الناس، حتى غير الملتزمين أصلاً بالصلاة في غير رمضان، حريصين على أداء الصلاة في وقتها، وربما جماعة، في رمضان..

قبل رمضان، ربما انت إنسان ذو بعد واحد، بعد مادي، بعد بيولوجي، غرائزي..

لكن يأتيك رمضان، فيجعلك إنساناً متعدد الأبعاد..

هنا، في هذه الخطوة، في هذا الحرص، قد يحدث شيء ما..

هنا، قد يحدث أن يتعلق قلبك بالصلاة..

لا يحدث ذلك بسرعة، بالتدريج، ثمة شهر كامل، ١٧ ركعة وسجدة كل يوم من أيام الشهر، عدا الركعات في التراويح..

مع الصلاة، قد لا يحدث الحب من النظرة الأولى..

بل ثمة شيء من التعود، من العشرة..

ثمة شيء من صداقة العمر في الصلاة..

وصديق العمر لا يمكنك ان تعرفه في اللقاء الأول.. لا بد ان يمر القليل من عمرك كي تكتشف انه صديق العمر..

كذلك مع الصلاة، لا شيء من انبهار اللحظة الأولى.. ولكن العشرة الطيبة.. التعود الذي يضيء حياتك..

عندما ترى الكعبة لأول مرة في حياتك قد تنهار باكياً..

مع الصلاة، قد لا يحدث الحب من النظرة الأولى..

بل ثمة شيء من التعود، من العشرة..

ثمة شيء من صداقة العمر في الصلاة..

لكن الصلاة، أمرها مختلف، تحتاج إلى وقت، تحتاج إلى اصطبار..

وهذا يحدث في رمضان.. ثمة وقت متسع لكي تحبها..

رمضان يعطيك الفرصة لكي تذوقها.. تذوقها في وقتها.. تذوقها في الجماعة.. تذوقها بخشوعها..

ومن ذاق عرف!

ومن عرف اغترف!

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ستقول إن هذا لم يحدث معك..

لقد فعلت كل هذا في رمضان السابق والذي سبقه..

ثم رجعت..

نعم، ربما لأنك **لم تدخل بنية التذوق**.. ربما لأنك كنت قفلت حواسك على اي شيء سوى أن تؤدي الصلاة كي لا يذهب أجر الصوم..

لكن عندما تفهم ذلك.. عندما تفهم أنك ستحب الصلاة من أجل ما بعد رمضان..

ستبدأ بالتعرف عليها على نحو مختلف..

ستتعلق بها.. ستغمز السنارة..

هذا ما يفعله بك رمضان..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

الشيء الذي يحدث مع الصلاة، يحدث أيضاً مع القرآن..

أو بالأحرى يمكن أن يحدث مع القرآن..

أغلب الناس حريصون على قراءة القرآن في رمضان من أجل مضاعفة الأجر، وكثيرون منهم حريصون على ختمة واحدة على الأقل.. أو أكثر..

هذه الفرصة الحميمة مع كتاب الله، التي ربما لم تكن ضمن جدولك اليومي، تجعله صديقك الجديد في رمضان.. **في الحقيقة هو يمكن أن يكون أفضل أصدقائك طول عمرك، لكنك تعامله دوماً كما لو كان كتاباً فحسب، مهما كنت معتزاً به وتقدسه، لكنك نادراً ما تعتبره صديقاً لك..**

لكن رمضان فرصة لتتعرف عليه عن كثب..

فرصة لكي تعرف أنه يمكن أن يكون (صديقك المفضل الجديد).

وعندما ينتهي الشهر، بالتأكيد لن تتخلى عن صديقك المفضل الجديد..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

أقول لك منذ الآن، **لا تتعامل معه كالمرابي.. لا** تقف منذ أول يوم في رمضان وتقول: جزء كل يوم، والختمة المعتادة نهاية الشهر.

اعتبر أنه قصة حياتك، وبين دفتيه أعرف لتغترف..

ليكن القرآن قصة حياتك..

قل لنفسك: نعم، هنا وضعك الله في الاختبار. هنا فشلت. هنا أزلك الشيطان، وهنا أخرجك من الجنة.

وقل لنفسك: وهنا سوف أهاجر، وهنا سوف أصبر، وهنا سوف أوجه وجهي إليه، أسلم نفسي إليه.

وهنا سوف يعزني بعد ذل، ويقويني بعد ضعف، ويغنيني بعد حاجة..

وقل لنفسك: وهنا هداني الله، وهنا تبت إليه وطرقت أبوابه، وهنا قبلني وفتح لي أبواباً ما أغلقها قط..

هنا رجعت إليه.. وما أحلى الرجوع إليه..

يمكن للقرآن أن يكون قصة حياتك..

ولكن ذلك لا يحدث إلا إذا جعلته أفضل أصدقائك أولاً.

❀❀❀ ❀❀ ❀❀❀

وستقول لي: لكن هذا لم يحدث لك.. لا في رمضان السابق ولا الذي سبقه، رغم أنك ختمت..

نعم..

لقد كنت تقرأ من أجل الختمة..

حاول هذه المرة أن تعتبره فتحاً، لا ختماً..

حاول هذه المرة أن تتخذ منه صديقاً..

ومن ذاق صداقته عرف..

ومن عرف اغترف...

تذكر يا صديق..

يوم قلت لي.. إنك بعد كل رمضان كنت تعود كما كنت، إلى نفس حياتك السابقة..

قلت لي يومها (شيطاني قوي)..

يا صديق..

عندما نتحدث عن القوة أو الضعف: الأمر نسبي..

ربما يكون شيطانك قوياً كما تقول.. وربما تكون أنت ضعيفاً..

حاول هذه المرة أن تعتبره فتحاً، لا ختماً..

حاول هذه المرة أن تتخذ منه صديقاً..

ومن ذاق صداقته عرف..

ومن عرف اغترف...

او ربما تتوهم نفسك ضعيفاً اكثر مما يجب، على النحو الذي تعتقد فيه ان شيطانك اقوى من حقيقته..

رمضان يعطيك الفرصة لتكتشف ذلك.. يصفد شياطينك.. فيجعلك ذلك تكتشف قوتك وتنميها بمعزل عن شيطانك..

سيكون مثل دورة مكثفة لتنمية عضلاتك..

قد يكون شيطانك قوياً فعلاً..

المهم أن لا يكون أقوى منك.. يا صديق...

وعندما ينتهي رمضان، سيعود شيطانك (الذي تقول إنه قوي) ليجدك وقد صرت اقوى منه..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

قد يكون شيطانك قوياً فعلاً..

المهم أن لا يكون أقوى منك.. يا صديق...

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

دعه يكون رمضانك الأول يا صديق..

جرب أن يكون هذا هو رمضان رقم واحد حقاً في حياتك..

امنح حياتك هذه الفرصة الذهبية لتخرج من أسرها.. من كونها مجرد حياة ببعدٍ واحدٍ..

لديك، لدينا هذه الفرصة التي لا تعوض..

لحياة متعددة الأبعاد..

دعه يكون رمضانك الأول..

دعه يكون رمضاننا الأول معاً.. يا صديق..

دعه يكون رمضانك الأول..

دعه يكون رمضاننا الأول معاً.. يا صديق..

٢

الإعجاز لا يزال مستمراً

هناك كتاب، ربما على الرف يعلوه الغبار..

او ربما على الجدار معلق بإطار ومسمار..

هناك كتاب، ربما على صدر شبه عار..

هناك كتاب ربما أمام مقود السيارة، وضع للحرز والحماية..

هذا الكتاب، كان يجب أن يكون في أماكن أخرى غير هذه.. كان يجب أن يكون في عقولنا، في تلافيف أدمغتنا، في قلوبنا، في شراييننا وأوردتنا.. في كريات دمنا البيض والحمر، في جهازنا المناعي، في نخاع العظم منا..

تهنا عن هذا الكتاب، فتهنا عن أنفسنا.. عن كل ما يجب أن نكونه..

نحتاج أن نعيد اكتشاف هذا الكتاب، سيجعلنا هذا نجد أنفسنا، نكتشفها من جديد..

سيجعلك هذا تكتشف قارة جديدة في داخلك..

قارة جديدة، بكل مواردها وخيراتها.. لم تكتشف من قبل.. لم يطأها مخلوق من قبل..

عندما يحدث هذا ستكتشف المعجزة الحقيقية في هذا الكتاب..

نتحدث عن القرآن الكريم..

> تهنا عن هذا الكتاب، فتهنا عن أنفسنا.. عن كل ما يجب أن نكونه..
>
> نحتاج أن نعيد اكتشاف هذا الكتاب، سيجعلنا هذا نجد أنفسنا، نكتشفها من جديد..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

كل الأشياء تصمم لكي تؤدي دورها في مرحلة ما..

ليس عدم قدرتها على أداء نفس الدور في مرحلة لاحقاً، عيباً فيها، **بل هي**

ببساطة ليست مصممة لذلك..

عمرها الافتراضي مرتبط بمرحلة ما..

انتهاء هذا الدور لا يعني إلغاءها تماماً، فهي تبقى مهمة في مرحلتها، ويبقى الرجوع إليها مهماً للفهم والعبرة..

هل قلنا كل الأشياء؟ نعم.. **لكننا هذه المرة سنتحدث عن الاستثناء.. عن شيء مستمر ودائم وملائم لكل المراحل..**

عن أي شيء نتحدث؟

عن المعجزات..

عن الفرق بين معجزات الأنبياء والرسل السابقين، وبين المعجزة الأساسية لخاتم الرسل والأنبياء، عليهم الصلاة والسلام أجمعين..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

عندما يتحدثون عن معجزات الأنبياء نذكر فوراً معجزات السيد المسيح.. إحياءه للموتى، إشفاءه للأكمه والأبرص، مشيه فوق الماء..

ونذكر أيضا معجزة سيدنا موسى: يده التي خرجت بيضاء، العصا التي انقلبت إلى حية تسعى، والتي شقت البحر.

ثم يسألوننا: وما هي معجزة محمد، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟

فنقول صادقين: القرآن!

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

منذ اللحظة الأولى، لا يمكن أن تصنف معجزات بقية الأنبياء في صنف واحد مع القرآن.

ثمة شيء مختلف في طبيعتها.

نعم، كلها منه عز وجل وبمشيئته عز وجل.

> **لا تنسوا: بعض الأشعة لا ترى..**
> **لكنها تقتل!.**
> **وقد تعالج أيضاً..**

وكلها تؤدي الدور نفسه.

لكن الطبيعة مختلفة بلا شك، لا يمكن إنكار ذلك أو تجاهله..

المعجزات السابقة كانت كلها، يمكن أن توصف بأنها مرئية رأي العين.. مرئية بالعين المجردة، وهذا بالضبط كان طريقها إلى الإعجاز.

بعبارة أخرى: لو أن ميت سيدنا عيسى لم يعد إلى الحياة، أمام عيون الناس، ويرونه رأي العين، لما كان للمعجزة أثرها الإعجازي..

كذلك في إشفائه للأكمه والأبرص أو يد سيدنا موسى أو عصاه..

لو كانت هذه المعجزات لا ترى بالعين المجردة، لما كانت ذكرت أصلاً.

لكنها كانت ترى، وكانت رؤية الكافرين لها، هي ما يجعلهم يؤمنون..

كانت معجزات ما قبل القرآن ذات طبيعة حسية مادية مباشرة..

أما القرآن، فقد كان شيئاً مختلفاً..

كانت معجزات الأنبياء السابقين مرئية..

أما معجزة القرآن فقد كانت لا مرئية..

لا تنسوا: بعض الأشعة لا ترى..

لكنها تقتل!.

وقد تعالج أيضاً..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ما هو هدف المعجزة أصلاً؟

هدف المعجزة هو جعل الناس يؤمنون بالرسول صاحب المعجزة وبدعوته إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

كيف تصل المعجزة لهذا الهدف؟

عبر مثلث متساوي الأضلاع.

التحدي، الإعجاز، الانقياد.

التحدي يتمثل في الفعل الخارق للحس، الشيء الذي يرى بالعين مباشرة ويكون مخالفاً لكل مألوف.. مثل إحياء الموتى، أو تحول عصا خشبية إلى كائن حي يسعى..

الإعجاز يتم في أن المشاهد للمعجزة صار يشعر بعجزه التام تجاهها وتجاه من حدثت على يديه، لقد كنا على وشك دفن الميت وانتهى الأمر، ها هو على قيد الحياة، هذه العصا مجرد خشبة، ولدى كل الناس ما يشابهها، ها هي تتحول إلى حية تأكل الحبال!

يشعر المشاهد بالعجز، بالضبط عقله يعجز عن فهم ما حدث أو تفسيره، فيقرر أن لا بد أن يكون صاحب المعجزة مؤيداً من الله، وأن ما يقوله صحيح.

ويكون الانقياد، الضلع الآخر في المثلث، تحصيل حاصل، معادلاً لهدف المعجزة..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

مع القرآن، المعجزة تتخذ طريقاً مختلفاً..

فبدلاً من إعجاز العقل، الذي كان يحدث في المعجزات السابقة، والذي كان ضرورياً في مرحلة ما مبكرة من تاريخ البشرية وطفولة العقل البشري، فإن معجزة القرآن تستفز العقل كي يقوم بدوره..

بدلاً من إعجاز العقل، هناك استفزاز له..

لا إيقاف عقل هنا من أجل الانقياد..

على العكس، معجزة القرآن تتطلب إعمال العقل، تتطلب قيامته، تتطلب أن يقوم من

إن معجزة القرآن تستفز العقل كي يقوم بدوره..

بدلاً من إعجاز العقل، هناك استفزاز له..

لا إيقاف عقل هنا من أجل الانقياد..

نومه ويقوم بدوره..

يضرب القرآن عقلك كما لو بصاعقة تعيد له الحياة.. كما لو برجة كهربائية لكي تعيد له دقاته..

يهزك القرآن بعنف كي يقول لك: فكر، تأمل، ابحث عن حلول، واجه مشاكلك..

يمسكك القرآن من ياقة قميصك: ويقول لك، فوق هذه الرقبة ما يستحق أن يعمل..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

فلنتذكر أن هذا الدين هو الدين الخاتم، وكان يجب لمعجزته أن تكون مختلفة.. هذا الدين هو فرصة البشرية الأخيرة.. وكان لا بد لمعجزته أن تحمل طابع الاستمرار.. أن تحمل رسالته دوماً، ما كان يمكن للدين الخاتم أن تكون معجزته مرتبطة بشيء يرى ويحس في زمن محدد ثم يكف عن ذلك.. ما كان لمعجزة الدين الخاتم أن ترتبط بشيء خارق للحس.. لأنها جاءت عندما بلغت البشرية سن رشدها.. وأن للمعجزة أن ترتبط بالعقل..

يمسكك القرآن من ياقة قميصك: ويقول لك، فوق هذه الرقبة ما يستحق أن يعمل..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

المعجزة القرآنية مختلفة أيضاً في أنها تجعل المتلقي جزءاً منها..

كل المعجزات السابقة كانت تجعل المتلقي ينقاد فحسب..

القرآن، يجعل المتلقي جزءاً فاعلاً من المعجزة.. يصير طرفاً فاعلاً فيها..

لقد جعلها تخترقه، فتغير، صار إنساناً آخر..

تغيره هو هذا الثمرة..

تغيره هو المعجزة..

يمكن ان يكون ميتاً مثل ميت عيسى تقريباً، يمكن ان يكون مثله، مثل الخشبة في عدم تأثيره في هذه الحياة..

ثم يأتي القرآن فيغيره، فتدب فيه الحياة، يصير شخصاً فاعلاً متفاعلاً صانعاً للحياة، يصير شجرة مثقلة بأثمارها.. وقد كان قبلها مجرد خشبة يابسة..

القرآن، معجزته، مثل معادلة من طرفين..

واحد من طرفيها هو انت!

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

يتحدثون عن المعجزة اليابانية والأخرى الألمانية والثالثة الكورية، ويقصدون غالباً اقتصادات عملاقة تحققت في فترة قصيرة بعد نكبات مرت بها تلك البلدان.

لكن المعجزة القرآنية فعلت للعرب قفزة أكبر بكثير، فتلك الشعوب كان لها قبل قفزاتها إرث معرفي وثقافي استندت عليه في قفزاتها العملاقة لاحقاً..

اما العرب فقد استلمهم القرآن وهم أصفار.

أصفار.. على الشمال.

كانوا على الهامش في كل شيء، لا يمكن حتى أن نسميهم أمة..

مجرد قبائل متفرقة على هامش التاريخ والجغرافية وكل شيء..

ثم، جاء القرآن..

ثلاثون عاماً فحسب، انتقل العرب فيها من جاهليتهم، من النقطة صفر، قبل نزول الوحي، إلى أن أصبحوا خلال ثلاثين عاماً فحسب، يقدمون النموذج الأعلى للعدالة والتوزان ممثلاً بخلافة عمر بن الخطاب..

ثلاثون عاماً فحسب..

لم تكن هذه معجزة عربية..

كانت معجزة قرانية..

معجزة قرانية يمكن ان تستمر..

*** ** ***

فما الذي فعلناه بتلك القفزة الهائلة إذن؟

وما الذي فعلنا بالقرآن، الذي حقق القفزة؟

اخشى ان اقول إننا حققنا أكبر تدهور.

واننا عاملنا المعجزة القرانية كما لو كانت معجزة حسية. جلسنا نتأمل في بلاغتها، وهذا جانب من الإعجاز حتماً، ولكننا نسينا جوهر المعجزة: التغيير..

وضعناها خلف فترينة، على جدار، وبنينا بينها وبيننا الف جدار وجدار..

قلنا: ممنوع اللمس، وهو قد نزل ليخترقنا لا ليلمسنا فحسب..

تعرفون كيف عاملناه.. وتعرفون ما حدث لنا..

*** ** ***

وأنت..

هل تركت له الباب مفتوحاً، ليدخلك يا صديق؟

هل تركت له مجالاً ليتسلل إلى قلبك فيحدث ربما الطوفان.. أو ربما الزلزال؟

هل تركت له الفرصة، وأنت في لهوك، وأنت في المقهى، وأنت في خوض الخائضين مع أصحابك، هل تركت له الفرصة لكي يغيرك.. لكي يفهمك أن تغييرك لا يعني أن تترك لهوك تماماً، أو تترك أصحابك.

هناك فرصة..
هناك معجزة
تنتظر دورك
فيها.. هناك معادلة
تنتظر طرفها كي
يتحرك..
وهناك أنت..

لكن أولوياتك ستتغير فحسب..

هل تعرف اي شيء يمكنه ان يحدثه فيك؟ ام ان هذا اصلاً لم يأت على بالك..

هل علاقتك به هي الختمة فحسب؟

أم حتى هذه، ليست موجودة..

هناك فرصة.. هناك معجزة تنتظر دورك فيها.. هناك معادلة تنتظر طرفها كي يتحرك..

وهناك أنت..

تحرك.

❋❋❋ ❋❋ ❋❋❋

عليه الصلاة والسلام أوصل الأمانة.. القرآن.

الباقي عليك..

لا..

الباقي علينا جميعاً..

وعليكم!

٣

الصورة غير الصالحة للعبد الصالح

العبد الصالح..

فلنحاول أن نغلق أعيننا، ونتخيل ما تعنيه هذه الكلمة في أذهاننا.. دون تفكير طويل، أعني، ما الذي توحيه هذه الكلمة لنا فوراً، دون أن نحاول أن نبحث عن معاني إضافية إيجابية..

فقط ما هي الصورة الذهنية المرتبطة بشخص قالوا لنا عنه إنه (رجل صالح).. أو (عبد صالح).

حسناً، في الغالب سنتخيله وهو في طريقه إلى المسجد.. يمشي وهو يرتدي غالباً ملابس تقليدية، ربما ليس بالضرورة أننا نتخيله كبيراً في السن، لكننا سنتخيله حتماً أكبر من سنه!.. يكاد يحني ظهره وهو يمشي، وغالباً في يده مسبحة، يحرك لسانه ويتمتم غالباً بتسبيحات، سيسير جنب الحائط كما نقول في اللغة اليومية ونقصد أنه يحاول تجنب المشاكل لدرجة السير لصيقاً بالجدران..

لن نعرف بالضبط إن كانت انحناءة ظهره قد جاءت بسبب أنه يغض بصره، فيغض من رأسه كله معه، أم أن الأمرين منفصلان..

لا تنسوا أن تتخيلوا أيضاً أن ملابسه ومظهره عموماً بسيطان..

فلنفتح أعيننا، في العموم: **أغلبنا تخيل شيئاً أقرب للدرويش..**

هذا هو العبد الصالح في خيالنا..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

فلنحاول أن نتخيل كيف سيتصرف هذا العبد الصالح الذي في خيالنا لو صادفته مشكلة ما من التي تصادفنا جميعاً في حياتنا اليومية.. كيف سيتصرف لو أن أحداً حاول التجاوز على حقه مثلاً..

لو أن حقه في إرث ما، مثلاً، قد تعرض للتجاوز من قبل أقارب له.. ماذا سيفعل

يا ترى؟ كيف سيكون رد فعل العبد الصالح في خيالنا؟

العبد الصالح! **لا بد انه سيتنازل عن حقه، هو شخص لا يريد من هذه الدنيا واوساخها شيئاً..**

بالتأكيد لن يخسر اقاربه بسبب شيء دنيوي..

سيفضل ان ينام مظلوماً.. على ان ينام ظالماً..

كما لو أنه ليس هناك خيار ثالث..

فلنفتح أعيننا الآن..

نفتحها على العبد الصالح حقاً، كما قدمه القرآن..

وليس كما فهمنا نحن، كيف يكون العبد الصالح!

*** ** ***

العبد الصالح، في خيالنا، يمكن ان يتنازل عن إرثه.. تفادياً للمشاكل..

لكن العبد الصالح في القرآن الكريم، **لا يتنازل عن إرثه..**

وإرثه، حسب القرآن الكريم هو **الأرض كلها!..**

(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ) (الأنبياء: ١٠٥-١٠٦)

> فلنفتح أعيننا الآن..
> نفتحها على العبد الصالح حقاً، كما قدمه القرآن..
> وليس كما فهمنا نحن، كيف يكون العبد الصالح!

هنا العبد الصالح هو الوارث للأرض!

هل سيكون ذلك الرجل محني الظهر الذي تخيلناه قبل قليل متناسقاً مع هذه الآية؟

هل سيكون من يتنازل عن إرثه الشخصي، مؤهلاً أصلاً للمطالبة بإرثه الكبير؟ إرث الأرض؟..

هل يمكن لنا أن نربط بين ذلك الرجل بسيط المظهر، الدرويش، وبين الآية الكريمة؟

سيكون ذلك صعبا جداً..

الخطأ بالتأكيد هو في الصورة الذهنية التي حبسنا العبد الصالح فيها..

وإن لنا أن نصحح هذه الصورة..

فلننتبه إلى أن الآية الكريمة التالية للآية التي تحدد من يرث الأرض، تقول (إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين)..

الله، وهو الأعرف بخلقه، يحذرنا مسبقاً، من أن هناك من سيفهم العبادة على نحو خاطئ، على نحو يجعل العابدين هامشيين وعابرين على هذه الأرض..

الآية تقدم بلاغاً رسمياً لهم: السادة العباد.. إن كانت عبادتكم تعطلكم عن مهمة إرث الأرض، أو لا تساعدكم فيها، لا تحثكم وتحفزكم عليها، على الأقل، فهناك خلل فهم في فهمكم للعبادة..

السادة العباد.. إن كانت عبادتكم تعطلكم عن مهمة إرث الأرض، أو لا تساعدكم فيها، لا تحثكم وتحفزكم عليها، على الأقل، فهناك خلل فهم في فهمكم للعبادة..

إن لم تكونوا وارثين الأرض.. فاعلموا أن ثمة مشكلة في عبادتكم..

ولو قضيتم الليل في قيامه والنهار في صيامه..

إن لم تكونوا وارثين الأرض.. فاعلموا أن ثمة مشكلة في عبادتكم..

ولو قضيتم الليل في قيامه والنهار في صيامه..

الآية تقدم لنا بلاغاً رسمياً نحن أيضاً، نحن الذين تخيلنا العبد الصالح كما تخيلناه..

تقول لنا إننا أيضاً جزء من المشكلة..

إننا نساهم في بقاء العبد الصالح حبيساً في هذه الصورة السلبية الخاطئة..

بمجرد أننا نعتبره عبداً صالحاً، لأنه على هذا النحو، ونقدم له هذا اللقب، فإننا نساهم في بقائه هكذا.. نساهم في أن لا يفهم أن العبد الصالح حقاً، هو شيء مختلف تماماً..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

فما الذي يعنيه أن تكون وارثاً للأرض؟

هل يعني أن تحارب الأمم كلها لكي تحصل على إرثك؟

هل يعني أن تشن حروباً على العالم، وتحرق الأرض بما فيها ومن فيها، لكي تحوز إرثك؟!

لا طبعاً..

الأمر أبسط من هذا بكثير للأسف.. لكن ما تعودناه من تصورات عن السيطرة على العالم تشوه أبسط المعاني وأكثرها عمقاً..

لو طلبت منكم أن تتخيلوا ما يعنيه إرث الأرض، فعلى الأغلب ستكون هناك غالبية تفكر بأن الأمر يقتصر على القوة والسلاح... إلخ.

لكن إرث الأرض لا يتطلب ذلك بالضرورة..

وغالباً لا يتطلب هذا أصلاً.

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

عندما ترث قطعة أرض، فإن أهليتك لهذا الإرث ستحدد من خلال ما ستفعله بهذه الأرض..

كيف ستتعامل مع حيازتك لها؟

هل ستتركها مهملة وتجعلها بوراً خربة؟..

أم ستجعلها مثمرة مستثمرة؟..

هل ستعمرها، تساهم في تقدمها، في ملئها بالعدل؟..

ام تساهم في جعلها مكاناً أكثر سوءاً من قبل؟..

هذا هو المحك الحقيقي:

هنا سيكون للعبادة دور المحرك لجعل الأرض مكاناً افضل..

وستعرف إن كنت تستحق ارثك..

او انك غير مؤهل لتسلمه..

❀❀❀ ❀❀ ❀❀❀

ان تكون عبداً صالحاً، يتطلب منك بالضرورة ان لا تكون ضعيفاً.. **الضعف انتفاء للصلاحية.. صلاحك يتطلب ان تكون قوياً، ان لا تسمح للآخرين باغتصاب حقك..** ان لا تسمح للظلم أن ينتصر..

ان تكون صالحاً يعني أن تكون منتجاً مثمراً.. ان لا تكون صلاحيتك منتهية!

❀❀❀ ❀❀ ❀❀❀

وليس بالصدفة ابداً، اننا في الصلاة، في جلسة التحيات، نقول «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»..

ليست صدفة.

الآية حددت أن من يرث الأرض هم العباد الصالحون.

والآية التي تلتها قالت إن هذا بلاغ للعابدين.

في عبادة الصلاة، ونحن على وشك الانتهاء منها، نذكر العباد الصالحين، الذين يرثون الأرض..

لأن هذا يجب أن يكون دورنا، فور انتهائنا من الصلاة..

أن نساهم في جعل هذه الأرض مكاناً أفضل..

نعمرها، نجعلها أكثر خصوبة، أكثر أماناً وعدلاً..

لا أن نزيد مشاكلها وخرابها، بأي دعوى كانت..

في هذا العالم الذي يبدو مزدحماً جداً في الخيارات..

ثمة أشياء، الخيارات فيها قليلة جداً..

خيارات جوهرية، أساسية في حياة كل منا..

لكنها تختزل، لتصبح خيارين فقط..

لديك خيار أن تكون عبداً صالحاً، أو عبداً غير صالح..

في كل الأحوال نحن عبيد..

نحن دوماً عبيد لشيء ما.. إن لم نكن لله، فربما نحن، دون أن نشعر، دون أن نعي، نمارس عبودية ما لنمط حياة، أو ربما لأنفسنا، لأهوائنا..

في كل الأحوال نحن عبيد..

نحن دوماً عبيد لشيء ما.. إن لم نكن لله، فربما نحن، دون أن نشعر، دون أن نعي، نمارس عبودية ما لنمط حياة، أو ربما لأنفسنا، لأهوائنا..

الحياة مليئة بعبوديات كثيرة..

الحرية الوحيدة الموجودة في الحياة حقاً هي اختيارك لعبوديتك..

عبودية لمن أو لماذا..

هذا الخيار لا ينهي الموضوع..

فبعد أن تختار العبودية الصائبة..

سيكون عليك أن تختار: هل ستكون عبداً صالحاً.. أم ستكون عبداً غير صالح..

لكن العبد الصالح لن يكون بتلك الصورة غير الصالحة التي تخيلناها في أذهاننا..

بل بالصورة التي قدمها القرآن..

صورة العبد الصالح، الذي يصلح الأرض..

٤

حدوتة عمرية

لكل منا نظام تشغيل خاص به، نعمل من خلاله، حتى لو كنا نجهل ذلك، نظام تشغيل نفكر من خلاله، نتصرف من خلاله، نقوم بردود افعالنا من خلاله، نخطط لمستقبلنا او احياناً (لا نخطط) من خلاله.

من اين يأتي نظام التشغيل هذا؟

غالباً من مجتمعنا، من المحيط بنا من عادات وتقاليد وأمثال شعبية نتربى عليها وتشكل رؤيتنا للحياة ولدورنا فيها.. ويلعب الوالدان والظروف الشخصية المحيطة بنا مباشرة دوراً أيضاً في تحوير نظام التشغيل هذا وفي جعل بعض أجزائه مثلاً تعمل على نحو اقل او اكثر..

لكل منا نظام تشغيل خاص به، نعمل من خلاله، حتى لو كنا نجهل ذلك، نظام تشغيل نفكر من خلاله، نتصرف من خلاله، نقوم بردود أفعالنا من خلاله، نخطط لمستقبلنا أو أحياناً (لا نخطط) من خلاله.

كما للحواسيب أنظمة تشغيل خاصة بها مختلفة (مثل الوندوز، اللينوكس، الأو إس إكس)، كذلك للبشر الذين ينتمون لمجتمعات وحضارات وتقاليد مختلفة..

وكما لا يمكن للحواسيب أن تكون مدركة أن ثمة أنظمة تشغيل أخرى، لأنها ببساطة لا تعمل إلا من خلال نظامها الخاص بها..

فكذلك البشر، يعملون من خلال نظام التشغيل الخاص الذي غرس فيهم..

ومن الصعب جداً إزالته، وزرع نظام تشغيل اخر..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

يمنح القرآن لأولئك الذين يلتحمون به ويفهمون معانيه بأعماقها نظام تشغيل قرآنياً يفكرون من خلاله، ينظرون للعالم من خلاله، يتمكنون من حل

مشاكلهم ومشاكل من حولهم عبر نظام التشغيل القرآني هذا، حتى لو كانت هذه المشاكل لم يرد لها مثيل او مشابه في القرآن الكريم..

القرآن يمنح لهؤلاء البشر نظاماً يعيد ترتيب طريقة التفكير، طريقة لتصنيف الأشياء، ترتيب الأولويات، يمنحهم نظاماً يجعلهم في موضع المسؤولية في هذا العالم، بحيث يتصدون لحل مشاكل العالم، من خلال نفس نظام التشغيل القرآني..

يمنح القرآن لأولئك الذين يلتحمون به ويفهمون معانيه بأعماقها نظامَ تشغيل قرآنيا

كان يمكن لهذا الكلام أن يكون كلاماً إنشائياً جميلاً لا دليل عليه..

لكن السيرة النبوية احتفظت لنا في ثناياها بحدوتة مهمة، بحكاية تبرهن على أن نظام التشغيل القرآني هذا هو نظام حقيقي فعلي، وأنه يغير حياة البشر، ويجعلهم يبدون كما لو كانوا خارقين، رغم أنهم بشريون تماماً، لكن نظام التشغيل الذي يعملون من خلاله يجعل لهم أثراً خارقاً على العالم من حولهم.. أثراً يدخلهم التاريخ، ويغير التاريخ طبعاً..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

كان رجلاً عادياً من رجال مكة في جاهليتها، نعم كان قوياً وصلب الرأي على ما يعتقد أنه الحق، صلابته على ما يعتقد أنه الحق كانت ميزته الأهم، ولكن هذه الميزة يمكن أن تكون سلبية جداً أحياناً، كما يمكن أن تكون إيجابية، الأمر هنا يعتمد على الحق الذي يعتقده، الميزة هنا محايدة، مجرد سلاح، يمكن أن يكون في يد فاسدة أو يد صالحة..

عدا هذا كان عادياً جداً، كان يعمل بنظام تشغيل جاهلي سائد في قومه، كان يعبد الأوثان ويتقرب لها، كان يشرب الخمر، وكان يئد البنات.. بالضبط كما كان كل قومه يفعلون، من خلال نظام تشغيل اتخذوه من مجتمعهم..

ثم وعبر حكاية أخرى، أسلم هذا الرجل الذي كان عادياً حتى تلك اللحظة.

ولأن ميزته الأهم كانت صلابته على الحق الذي يراه، فقد جعلته هذه الميزة يتعمق في القرآن، في نظام التشغيل القرآني..

وبطريقة ما، صار هو أهم مثال على نظام التشغيل القرآني هذا عندما يقوم بتشغيل الأشخاص العاديين.. عفواً.. الذين كانوا عاديين.. قبل أن يشغلهم نظام التشغيل القرآني.

إن لم تكونوا قد عرفتم عمن أتحدث حتى الآن..

فأنا أتحدث عن عمر بن الخطاب..

الفاروق عمر..

رضي الله عنه..

الذي يمثل فارقاً بين نظام التشغيل القرآني وأنظمة التشغيل الأخرى..

*** ** ***

لم يقم أحد بأخذ صورة أشعة مقطعية لدماغ عمر بن الخطاب لاكتشاف نظام التشغيل القرآني..

ولا قام أحد بتحليل دماغه، أو تحليل أنسجته لمعرفة ذلك.

كان الأمر أبسط جداً وأقل تعقيداً ولا يحتاج إلى تقنيات معقدة..

كان ذلك من خلال حوادث متفرقة، حصلت في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام وأثناء نزول القرآن، حوادث صارت تعرف بموافقات عمر بن الخطاب للقرآن الكريم.

ما المقصود بموافقات عمر للقرآن؟

موافقات عمر بن الخطاب للقرآن، هي ما أشار به عمر على الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في أمرٍ عام أحياناً بطلبٍ من الرسول مباشرةً، كما كانت عادته في استشارة أصحابه.. وأحياناً دون أن يطلب!

يذهب عمر ليقول شيئاً يعتقد أنّه الصواب.. وقد يكون «رأي عمر» مخالفاً لما

يراه عليه الصلاة والسلام، أو ما يراه بقية الصحابة..

ثم يأتي خبر السماء، بوحي منزل، بآيات قرآنية صريحة يوافق فيها رأي عمر.. الذي ربما كان يبدو بعيداً عن الأخذ به، لحظة قاله..

كيف كان يحدث ذلك؟

هل كان لعمر «مجسات استشعار» مثلاً؟

هل كان يمتلك وسيلة للتجسس على الوحي قبل حدوثه أصلاً؟! هل كان يمتلك راداراً مثلاً؟

لا. قطعاً.

كل ما فعله عمر هو أنه قام بتشغيل نظام التشغيل القرآني..

والذي جعله يفكر بنفس الطريقة التي سيتنزل بها القرآن..

كل ما فعله عمر هو أنه قام بتشغيل نظام التشغيل القرآني..

والذي جعله يفكر بنفس الطريقة التي سيتنزل بها القرآن..

بل كما لو أنه عز وجل شاء أن ينزل القرآن موافقاً لعمر لكي يقول: انتبهوا.. الوحي لا بد أن ينقطع ذات يوم.. لكن نظام التشغيل القرآني لن ينقطع.. يمكنكم أن تفكروا كما يفكر القرآن..

كما يفكر عمر!

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

الموافقات العمريّة للقرآن متعدّدة، البعض منها حدّدها عمر بنفسه، وصنّفها بل وأسماها شخصياً بالموافقات، والبعض منها ذكر توضيحاً في علم أسباب النزول..

ويتراوح عدد هذه الموافقات، بين ثلاث موافقات - كما حدّد عمر في حديث صحيح - وعشرين موافقة!.. وذلك عندما تُجمع الموافقات التي لم يكن فيها الموقف مباشراً، وما كان عمر يسأل عنه مراراً وتكراراً.. (مثل الخمر التي

ظل يسأل عنها ويريد جواباً محدداً قاطعاً إلى أن نزلت الآية المحرمة بشكل قاطع).

أما الموافقات التي حددها حديث صحيح، فقد كانت اتخاذ مقام إبراهيم مصلى، وآية حجاب زوجات النبي، وكذلك آيات الطلاق.

النتيجة أنّ الموافقات العمريّة، وهي أمرٌ مفروغٌ منه من ناحية الصحة، تُظهر لنا أنّ **العقل البشريّ عندما يلتزم بنظام تشغيلٍ محدّدٍ يمكن له أن يبدع إلى أقصى حدود الإبداع..**

> العقل البشريّ عندما يلتزم بنظام تشغيلٍ محدّد يمكن لهُ أن يبدِع إلى أقصى حدود الإبداع..

يخاف كثيرون من العقل.. من ترك العنان له.. يتحدّثون عن تقديم العقل على النقل.. عن التعارض بينهما.

صحيح، كلُ هذا صحيح.. كلُ هذه المخاوف قد تكون في مكانها.. **لكن ذلك عندما يكون هذا العقل «يُشغّل» بنظام تشغيلٍ مخالفٍ.. نظام تشغيلٍ ينتمي لمنظومةٍ حضاريّة مختلفة.. أو نظام تشغيلٍ ينتمي لمنظومة أهواءٍ شخصيّة..**

لكنّ عندما يكون نظام التشغيل قرآنياً، فإنّ المخاوف من ذلك **لا معنى لها..**

على العكس، الضمانة الوحيدة لفهم النصّ القرآني والنبوي فهماً صحيحاً فاعلاً هو من أن نتعامل معه، نقرؤه عبر عقل يعمل بنظام تشغيلٍ قرآنيٍّ!

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ويوم تسلم عمر، سدة الخلافة، جعل نظام التشغيل القرآني يعمل على نطاق واسع.. تحول الأمر من طريقة تفكير فرد إلى سياسة دولة واستراتيجية لها..

فكانت منجزات عمر في خلافته.. التي حولت الدولة في عهده إلى نموذج عالمي للعدالة الاجتماعية والتوزان..

نقرأ في سجله الضخم: أنه كان أول من قام بالأشياء التالية: **أول من وضع**

حصة تموينية لكل فرد / امرأة.. طفل او رجل، اول من مهد الطرق بين المدن، اول من وضع الحرس الليلي، اول من جعل الضمان لأصحاب المهن والحرف اليدوية، اول من امر بالتعليم الإلزامي والمجاني، اول من جعل نفقة اللقيط من بيت المال، اول من جعل هنالك موظفين يهتمون بذوي الحاجات الخاصة شخصياً، اول من راقب اموال المسؤولين، اول من منع المسؤولين من ركوب ما يميزهم عن سواهم.. اول من جعل امرأة في منصب وزير..

سجل ضخم جداً.. لا تكفيه حلقة ولا حلقات*..

ولو كان هناك نظام لجوء في عهده، لرأينا الناس من كل قارات العالم، يأتون للجوء في دولة عمر.. كما يركبون قوارب الموت اليوم للذهاب إلى هذه الدولة أو تلك..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

وأنت يا صديق؟

ما هو نظام تشغيلك؟

هل هناك نظام تشغيل أصلاً؟..

ام هو مجرد هذا الخوض مع الخائضين.. أن تفعل كما يفعل أصحابك.. أن تعيش حياتك كما يعيشها الآخرون، يوماً بعد آخر، ليلة بعد أخرى.. **تمضي حياتك في اللاشيء.. بلا هدف..**

تستحق شيئاً آخر يا صديق.. غير الخوض مع الخائضين.. غير الهدر.. وغير أن يأخذك نظام تشغيل آخر..

ام هو نظام تشغيل فعال فعلاً ويسيرك فعلاً.. لكنه قادم من حضارة أخرى؟..

تستحق شيئاً اخر يا صديق.. غير الخوض مع الخائضين.. غير الهدر.. وغير ان يأخذك نظام تشغيل اخر..

لديك معدن نبيل في داخلك.. يا صديق.. أنا أعرفه، لقد خبرته.. لا أجاملك،

---

* للمزيد مراجعة كتاب (استرداد عمر من السيرة إلى المسيرة) للمؤلف.

ولكن ثمة معدناً شديد النبل فيك.. معدناً نبيلاً يحتاج إلى نظام تشغيل!

كل ما في الأمر انك لست مقتنعاً بهذا..

ثمة حدوتة شخصية، عنك يا صديق.. تستحق أن تروى.. تستحق أن يتداولها الناس ويحكوها لأولادهم قبل النوم..

ثمة حدوتة شخصية عنك، تنتظر منك أن تحققها..

فلا تخذلها يا صديق..

ثمة حدوتة شخصية عنك، تنتظر منك أن تحققها..

فلا تخذلها يا صديق..

٥

كن أفضل، الصورة تطلع حلوة

تخيلوا معي سلعة، منتجاً ما..

سيارة، مثلاً..

تنتجها شركة رائدة في مجال صناعة السيارات، فلنقل واحدة من أهم شركات السيارات يوم ابتدأت هذه الصناعة.

فلنتخيل أن مستوى سيارات هذه الشركة تدهور بالتدريج، وبالتدريج صارت خارج المنافسة، صار كل شيء فيها أقل جودة، تصميمها لم يعد جذاباً، بل بقي كما كان دون تحديثات، لم تزد سرعتها، وحتى مواصفاتها الأصلية تدهورت، مواصفات الأمان فيها سيئة للغاية، وحوادثها كثيرة.. وقاتلة.

حتى قبل أن تعلن الشركة إفلاسها، ستكون أنت قد شطبتها من أي شراء محتمل، وكذلك سيكون قد فعل الكثيرون، وربما ستكون بعض الدول قد منعت منتجاتها أصلاً..

سيأتي من يدافع عن هذه الشركة، سيحدثك عن تاريخ هذه الشركة وفضلها على صناعة السيارات، وكيف أن المشكلة هي في قسم التصميم أو قسم البحث والتطوير أو في القائمين عليها عموماً..

حسناً، كانت الشركة جيدة ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الجودة.. وانتهينا.

التاريخ موجود في المتحف.. أما السلعة الحالية فهي سيئة جداً، لا شيء يمكنه أن يغير سوء هذه السلعة الآن..

حسناً، كانت الشركة جيدة ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الجودة.. وانتهينا.

وبالنسبة لمن لا يعرف شيئاً عن تاريخ هذه الشركة، فهو لن يكترث أصلاً ولن يبحث في الأرشيف عندما يريد شراء سيارة جديدة..

هو يتعامل مع السلعة الحالية فقط..

تخيلوا أننا الآن لا نتحدث عن سلعة مادية..

بل نتحدث عن نتاج غير مادي..

عن إنسان، هو في النهاية نتاج لثقافة.. لحضارة..

ولا نتحدث هنا عن إنسان فرد، بل عن النموذج العام، الشائع، الناتج لهذه الثقافة..

الفرد الياباني مثلاً، بحرصه على العمل ودقته هو نتاج ممثل للثقافة والحضارة التي أنتجته، لا يمكن لنا أن نفصل هذه الصفات عن الثقافة التي أنتجته..

هناك يابانيون سيئون حتماً، ولا يعبرون عن هذه الثقافة، لكننا نتحدث عن النموذج الشائع، عن النموذج الأكثر حضوراً في وعي الآخرين، وليس عن نسب إحصائية مهملة..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ماذا لو كان النموذج الشائع، سيئاً، مثل تلك السيارة، ولكن كإنسان..

أغلب الناس، سيتعاملون مع هذا النموذج الشائع السيئ كما لو كان ممثلاً للثقافة التي ينتمي لها، لن يهتموا بمعرفة التفاصيل كثيراً..

سيرون سلبياته، سيرون بطالته، قلة إنتاجيته، عدم احترامه للوقت، سيرون أشياء كثيرة شديدة الوضوح.. وسيقولون في أنفسهم، أو بصوت عال أحياناً، لا بد أن هناك شيئاً ما في الثقافة التي أنتجته..

سيأتي من يدافع، كمن جاء من دافع عن الشركة الرائدة في صناعة السيارات، سيقول إن هذه الثقافة كان لها تاريخها العظيم يوماً ما وأنها قدمت كذا وكذا..

هناك نسبة من الناس ستهتم بهذا، وستحاول أن تطلع على تاريخ هذه الثقافة وقيمها الأصلية، ولكنها نسبة ضئيلة للأسف..

أغلب الناس سيقررون أن الأمر لا يعنيهم، وأنهم يتعاملون مع النسخة الأخيرة فحسب، وأن التفاصيل المؤسفة التي أدت إلى نشوء هذا النموذج لا تهمهم..

لا يمكن لومهم..

أغلبنا سيفعل مثلهم لو كان مكانهم..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

نتحدث عن الإسلام.. كثقافة، كحضارة..

وعن المسلمين حالياً، نحن النسخة الأخيرة من نتاج هذه الحضارة.

دعونا لا ننكر.. النسخة سيئة جداً.. على الأقل بالمقارنة بالأصل.. بقيم هذه الثقافة..

دعونا لا ننكر.. النسخة سيئة جداً.. على الأقل بالمقارنة بالأصل..

الحقيقة أنها سيئة بكل المقاييس للأسف..

طبعاً سيسارع البعض إلى الحديث عن الاستعمار والمؤامرة والمبالغات الإعلامية.. الخ.

حسناً، كما تريدون، ولكن ستبقى الحقيقة: نحن سيئون حالياً.. ونحن من نتحمل مسؤولية ذلك..

من الصعب جداً التهرب من ذلك.

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

مهما تحدثت للغربيين (مثلاً) عن عظمة قيم الإسلام، وعظمة نصوصه وعظمة أخلاق نبيه، فإن هناك سؤالاً محرجاً قد ينتظرك، فاستعد له..

ما دام دينكم عظيماً هكذا، فلم أنتم هكذا؟!

ما دام دينكم عظيماً هكذا، فلم أنتم هكذا؟!

نعم، هناك من سيبحث حقاً في الكتب وسيصل إلى الحقيقة، وهناك من يمتلك الشجاعة لكي يشهر إسلامه..

لكن هؤلاء، يعتنقون الإسلام، بالرغم من واقعنا، بالرغم من مساوئنا، وليس بسببنا..

أكرر: يعتنقون الإسلام، بالرغم من واقعنا، وليس بسببنا..

الأمر، يجب أن يكون العكس..

*** ** ***

(رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (الممتحنة: ٥)

للأسف..

هذه الآية تكاد تفصل وضعنا بالضبط..

هذا الناتج السلبي، هذه النسخة السيئة، هذا النموذج السيئ المنتشر، سنحاسب عليه ليس كأفراد فحسب، بل على أثره أيضاً في دفع الناس بعيداً عن الإسلام..

نحن، في وضعنا السيئ، نكاد تكون دليلاً عملياً لهم، على أنهم على صواب..

نحن، في وضعنا السيئ، نكاد تكون دليلاً عملياً لهم، على أنهم على صواب..

سينظرون لنا، على الأقل سينظرون إلى النموذج الأكثر شيوعاً، سيرون أننا تقريباً في ذيل الأمم في أغلب النواحي، وسيقولون لأنفسهم: نعم، نحن على صواب..

قد يكونون ملحدين مثلاً، أو غير مؤمنين بدين.. وسيربطون بين الإسلام وبين وضعنا..

وسيجعلهم هذا يثبتون على ما هم فيه..

وسيجعلنا هذا..

فتنة للذين كفروا..

*** ** ***

نغضب عندما يسيء البعض لرسولنا عليه الصلاة والسلام..

من حقنا أن نغضب..

لكن من حقه علينا عليه الصلاة والسلام أن نعترف أننا في أحيان كثيرة ساهمنا في هذه الإساءة..

من حقه علينا عليه الصلاة والسلام أن نعترف أننا كثيراً ما نمدهم بالأسباب والأدوات التي تجعلهم يسيئون له..

ربما عداء البعض له (عليه الصلاة والسلام) أمر محسوم، كجزء من مهمة النبوة، ربما مع هذا البعض لن يختلف الأمر كثيراً حتى لو كنا أفضل نسخة ممكنة..

لكن هذا يجب أن لا يكون مبرراً لتقديم الحجة والعذر لكل من يريد أن يسيء..

نغضب عندما يسيء البعض لرسولنا عليه الصلاة والسلام..

من حقنا أن نغضب..

لكن من حقه علينا عليه الصلاة والسلام أن نعترف أننا في أحيان كثيرة ساهمنا في هذه الإساءة..

*** ** ***

وفي عالم آخر، مختلف تماماً عن هذا الذي نعيش فيه..

ستكون هناك آية مختلفة تماماً، يمكن أن تعبر عن العلاقة السابقة..

(رُبَما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) (الحجر: ٢)

في عالم آخر.. يكون فيه المسلم مطابقاً لمواصفات الإنتاج التي يحددها الإسلام، يكون على الأقل قريباً منها، يكون ممثلاً لقيمه، ولمبادئه..

في عالم آخر، ليس مدينة فاضلة بالتأكيد، وليس عالماً خيالياً افتراضياً..

يكون النموذج الشائع عن المسلمين، منتجاً، دقيقاً، في وقته، في عمله، متقناً، مبدعاً، محترماً للآخرين، ومعتزاً بثوابته في الوقت نفسه.. سيحدث هذا عندما نفهم ديننا حقاً.. عندما نفهمه بالطريقة الصواب ونطبق هذا الفهم في حياتنا..

في عالم كهذا، سيود غير المسلمين لو أنهم كانوا مسلمين..

وسيكون الباب مفتوحاً لهم دوماً..

وقتها سيكون إسلامهم ليس بالرغم من واقع المسلمين..

بل بسببهم..

وهو الوضع الذي يجب ان يكون طبيعياً!

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

المسافة بين الآيتين حالياً شاسعة..

التغيير هنا يجب أن يكون ١٨٠ درجة..

لكنه تغيير يستحق العناء!

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

واسمح لي أن احلم يا صديق..

اسمح لي ان احلم بأن نساهم في تغيير الصورة..

لا.. لا أقصد بالفوتوشوب.

لا اقصد عبر تجميل الصورة الحالية، أو تزيينها، أو ترميم بعض جوانبها، وحذف بعض سلبياتها..

اقصد التغيير الآخر..

التغيير الذي يسبق التقاط الصورة..

تغيير ما ستلتقطه الكاميرا أصلاً..

اقصد التغيير الحقيقي.. التغيير الذي يرتقي بنا إلى الصدارة.. ان يكون النموذج الشائع معبراً فعلاً عن قيم الإسلام..

اسمح لي أن أحلم يا صديق..

ولكن لا تسمح لي بأن يكون الحلم هو كل ما افعله!..

٦

الخروج من بطن الحوت*

* للمزيد عن موضوع هذه الحلقة ، راجع كتاب (البوصلة القرآنية) للمؤلف

لا شك أن قصص الأنبياء تحتل مساحة مهمة من القرآن الكريم، ولا شك في أهمية هذه القصص وهي تتنزل بالتدريج على رسولنا الكريم محمد عليه الصلاة والسلام..

وهذا يجعلنا نسأل:

من هو أول نبي تنزلت قصته على الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام؟

بعبارة أخرى: من هو أول نبي ذكر في القرآن حسب ترتيب النزول؟

قد يتبادر إلى الذهن سيدنا إبراهيم! أبو الأنبياء، المسلم الأول، أول من سمانا مسلمين.. والذي تنتمي كل الأديان التوحيدية له.. لكن لا.. رغم كل هذه المكانة.. لم يكن سيدنا إبراهيم أول من ذكر..

لعله سيدنا موسى؟ كليم الله، والذي تحتل قصته مع فرعون ومع قومه مساحة كبيرة من آيات القرآن وسوره؟.. لكن مرة أخرى.. لا.. رغم أنه ذكر أكثر بكثير، إلا أن سيدنا موسى لم يكن أول من ذكر..

هل هو السيد المسيح؟ صاحب الرسالة الأقرب زمنياً للرسالة الخاتمة؟ مجدداً، الجواب لا..

إذن.. هل كان سيدنا نوح هو أول من ذكر من الأنبياء؟ نوح الذي أنقذ الإنسانية من طوفان ذنوبها..

لا.. لم يبدأ القرآن بصاحب السفينة..

بل بدأ، ويا للعجب.. بصاحب الحوت.. سيدنا يونس، عليهم السلام أجمعين..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

(فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ) (القلم: ٤٨)

هذه الآية من سورة القلم، وسورة القلم هي ثاني ما انزل من القرآن الكريم، بعد سورة العلق.. وبعض الروايات تجعلها ثالث ما انزل، وهذا كله يجعلنا في مرحلة مبكرة جداً من الدعوة ومن نزول القرآن، نحن غالباً في (سنة اولى دعوة).

لا بد ان يكون في قصة صاحب الحوت علامة فارقة، جعلته يذكر كأول حسب ترتيب نزول القرآن..

لكن لا بد ان هناك شيئاً ما في قصة سيدنا يونس، يميز قصة صاحب الحوت عن سواها من قصص الأنبياء، ويجعلها مناسبة لتكون اول قصة نبي تتنزل على قلب الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام..

علينا ان نعيد اكتشاف قصة صاحب الحوت من جديد إذن، على ضوء هذه المعلومة، معلومة أنها كانت أول قصة لنبي تنزلت على الرسول عليه الصلاة والسلام..

لا بد ان يكون في قصة صاحب **الحوت** علامة فارقة، جعلته يذكر كأول حسب ترتيب نزول القرآن..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

كيف قدم القرآن الكريم قصة صاحب الحوت؟!

لا يذكر القرآن سيدنا يونس وقصته إلا في ثلاثة مواضع.. في سورة الصافات، القلم، والأنبياء..

(وذا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (الأنبياء: ٨٧- ٨٨)

(وإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ. فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ. فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ

في بَطْنِه إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ. وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ. فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ). (الصافات: ١٣٩- ١٤٨)

(فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ. لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ. فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) (القلم: ٤٨- ٥٠)

كل هذه المواضع تشترك في أنها تتحدث عن سيدنا يونس بعد خروجه من قريته.. لعل خروج يونس من قريته هو ما يميز قصته عن سواها..

خرج بعض الأنبياء من قراهم، خرج إبراهيم وخرج لوط وخرج موسى وخرج سيدنا محمد عليهم الصلاة والسلام أجمعين.. خرجوا جميعاً بعد أن استنفدت كل الأساليب والمحاولات، وبوحي منه عز وجل..

لكن خروج يونس كان مختلفاً تماماً، لم يستنفد يونس كل أساليب الدعوة، كان ثمة فرصة لا تزال لإقناعهم.. ولم يكن هناك وحي بالخروج..

خروج يونس كان مختلفاً تماماً، لم يستنفد يونس كل أساليب الدعوة، كان ثمة فرصة لا تزال لإقناعهم.. ولم يكن هناك وحي بالخروج..

خرج يونس (مغاضباً) كما وصفه القرآن (ذهب مغاضباً)، خرج مملوءاً بالغضب.. لأن قومه لم يسمعوه، غاضباً من ماذا بالضبط؟.. ربما كان غاضباً من قومه وربما كان غاضباً من نفسه..

لكنه في لحظة صعبة تصور أن لا أمل فيهم.. في لحظة صعبة مُرّة تصور أنه لن يتمكن من تغيير شيء..

نبي هو، عليه السلام، لكنه بشر أيضاً..

نبي هو، عليه السلام، لكنه بشر أيضاً..

راوده شعور أنه ربما يكون هُزم!.. المشكلة

ان المعركة الحقيقية لم تكن قد بدأت بعد..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

٦

> ماذا بوسع رجل واحد أن يفعل؟.. ماذا بوسع رجل واحد أن يفعل أمام مدينة بأكملها؟ ومدينة مثل نينوى؟!

القرية التي خرج منها يونس لم تكن أي قرية.. لقد كانت نينوى، واحدة من أهم المراكز الحضارية في التاريخ، وهي الموصل الحالية، مدينة أجدادي العريقة العميقة، ومركز الحضارة الآشورية، واحدة من أهم حضارات بلاد الرافدين.. لقد كانت واحدة من أهم عواصم العالم القديم، كما نقول اليوم عن نيويورك أو باريس أو طوكيو..

أمام تلك المدينة، وجبروتها، وثيرانها المجنحة الشهيرة، وقوة جيوشها في كل مكان، وقف يونس، وربما سأل: ماذا بوسع رجل واحد أن يفعل؟.. ماذا بوسع رجل واحد أن يفعل أمام مدينة بأكملها؟ ومدينة مثل نينوى؟!

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

خرج يونس غاضباً من كل هذا.. ركب البحر ربما ليبدأ بداية جديدة في مكان أيسر، **لكن قيم الخرافة والجهل والتواكل التي كانت في نينوى ستطارده حتى وهو في البحر**، هبت عاصفة هوجاء، وتصور الركاب بعقليتهم الوثنية أن آلهة البحر غاضبة من أحدهم.. ويجب التخلص من هذا الشخص! كيف يتم تحديده؟ بالقرعة!

ستجرى قرعة بين الركاب ويلقى بمن يصيبه الاقتراع في البحر!..

من بين كل الركاب، وقفت القرعة على سيدنا يونس، وألقي به في البحر، وهناك ابتلعه الحوت..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

في بطن الحوت، في الظلمة، بزغ النور من فهم جديد، لقد فهم يونس الدرس، إنك إن لم تواجه القيم السلبية، فإنها ستطاردك بكل الأحوال..

في بطن الحوت، في الظلمة، بزغ النور من فهم جديد، لقد فهم يونس الدرس، إنك إن لم تواجه القيم السلبية، فإنها ستطاردك بكل الأحوال..

ترك يونس المواجهة غاضباً في نينوى.. لكن القيم السلبية طاردته في عرض البحر..

في بطن الحوت، بزغ الفهم الجديد على شكل التسبيحة: لا إله إلا انت سبحانك إني كنت من الظالمين!

هل أنت من الظالمين يا يونس؟! أنت مظلوم.. لقد القوا بك في البحر بعد قرعة ظالمة!

لكن لا.. لقد تغير معنى الظلم بالنسبة ليونس بعد هذه التجربة.. ترك المسؤولية ظلم ايضاً، ان لا تؤدي دورك ظلم ايضاً، للظلم اشكال متعددة، لكن اقصى واقسى ظلم يمكن ان يحدث يبدأ دوماً من ان احدهم ترك دوره ولم يؤد ما كان يجب أن يؤديه..

عندما فهم يونس هذا، تغير مسار القصة بأكملها.. وصار بإمكانه أن يذهب ليدعو مائة الف او يزيدون!

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

كيف يمكن ان نربط هذا كله ببداية الدعوة في مكة وبدء نزول الوحي؟

الربط واضح جداً، مكة وخلفها قبائل العرب، والكعبة وفيها من الأوثان بعدد أيام السنة، والكسل والجهل والسلبية.. كان يمكن له عليه الصلاة والسلام أن يسأل نفس السؤال: ماذا بوسع رجل واحد أن يفعل؟

لا نقول ان هذا قد حدث، رغم أنه لا يعيبه عليه الصلاة والسلام، لكننا نقول أنه كان يمكن أن يحدث، لكن القرآن الكريم، تنزل عاصماً له، مختصراً التجربة، مرشداً له، قائلاً بوضوح: **لا تكن كصاحب الحوت..**

تركت لنا السيرة النبوية اثراً لا يمكن تجاوزه هنا (رغم الاختلاف على صحته).

تذكرون عندما ذهب الرسول إلى الطائف؟

تذكرون كيف تلقاه اهلها بالحجارة وبالسخرية الأشد من الحجارة؟

يومها انسحب عليه الصلاة والسلام إلى ظل بستان، يستريح فيه مما راه من اهل الطائف..

وهناك جاءه خادم نصراني، اسمه عدّاس، بقطفة عنب..

سأله عليه الصلاة والسلام: من اين أنت؟

فقال: من نينوى!

فرد عليه الصلاة والسلام: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟

كما لو أن عدّاس قد جاء بالعنب ليذكره عليه الصلاة والسلام بقصة يونس مع قومه، بـ (لا تكن كصاحب الحوت).. بالأمل الموجود رغم كل المصاعب، رغم بطن الحوت..

لا تذكر السيرة بعدها شيئاً عن عدّاس، لا نعرف ماذا حدث له..

لا نعرف إن كان قد أسلم او مات قبل انتشار الإسلام..

لقد ادى عدّاس دوره، ثم اختفى تماماً..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ماذا عنك يا صديق؟.. هل ستقول ما علاقتك أنت بقصة صاحب الحوت؟

هل تعتقد انها مجرد حدوتة وانتهت؟

لا يا صديق.. قصص القران لا تنتهي ابداً.. دوماً تتكرر بأشكال وصيغ جديدة..

دوماً ثمة حوت يتربص بك، ليس في عرض البحر بالضرورة، بل في طول

وعرض وعمق الحياة، في كل خطوة فيها.. في كل مفترق طرق.. ثمة حوت يريد أن يسحبك مثل ثقب أسود عملاق.. يأخذك إلى العدم.. هذا الحوت له أسماء متعددة.. أحياناً يكون اسم الحوت اليأس، أو السلبية، أو الكسل، أو الهروب من المسؤولية، أو التطرف أو الاستسلام.. أو المخدرات، أو الفراغ.. أو مجرد اللا شيء.. فقط اللا شيء.. أن لا تفعل شيئاً بحياتك. لحياتك.. أن تأتي إلى هذا الكوكب وتغادره دون أن تترك بصمة واحدة.. لا شيء..

ليس بالضرورة أن يكون بطن الحوت مظلماً.. قد يكون باطن الحوت مبهرجاً براقاً مليئاً بالأضواء..

وقد تكون أنت سمكة زينة، سعيدة بأنها داخل بطن حوت مبهرج..

إياك.. إياك أن تكون سمكة زينة.. أو سردينة بشرية في بطن حوت عملاق..

لا تترك حوتك يبتلعك..

إياك أن تموت قبل أن تموت..

اختصر التجربة، لديك خيار أن تكون كصاحب السفينة..

فلماذا تكون كصاحب الحوت؟!

إياك.. إياك أن تكون سمكة زينة.. أو سردينة بشرية في بطن حوت عملاق..

لا تترك حوتك يبتلعك..

إياك أن تموت قبل أن تموت..

٧

نظرية التطور ونظرية التدهور..

منذ ان اطلقت نظرية التطور، قبل أكثر من قرن ونصف القرن، على يد تشارلز داروين، وهي تثير الكثير من ردود الأفعال، البعض يعتبرها اليوم حقيقة علمية لا مجال لإنكارها، والبعض لا يزال يجد فيها ثغرات تنقض بناءها بأكمله.. البعض يروج عنها صوراً سلبية ربما غير دقيقة ومخالفة لما قاله داروين اصلاً. والبعض الاخر يعتبر هذه الصور السلبية شديدة الإيجابية!

كمسلمين. وقف البعض من النظرية موقف الرافض المطلق.. وقال إنها كفر صريح يخالف نصوص القرآن..

ووقف البعض موقف التردد الحذر..

ووقف البعض الآخر. محاولاً الجمع بين النصوص القرانية وبين النظرية. مؤولاً النصوص هنا، ومؤولاً النظرية في أحيان أخرى..

لن اقول اين اقف انا!

فموضوعي هو عن نظرية التدهور، وليس عن نظرية التطور..

نظرية التدهور؟

ربما اغلبنا لم يسمع بهذه النظرية من قبل..

رغم ان الأدلة عليها أكثر وأوضح بكثير من نظرية التطور إياها.. ومن الصعب جداً ايجاد ثغرات فيها..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

نظرية التطور. ببساطة. تقول إن كل الكائنات الحية **تدرجت في سلم الخليقة ابتداء من خلية واحدة..** خلية بسيطة واحدة. تعقدت بالتدريج.. إلى أن اختلفت لتكون اصنافاً مختلفة وأنواعاً متباينة من الكائنات..

ونظرية التدهور. هي ببساطة أيضاً، المعاكس لنظرية التطور..

إنها تقول إن الإنسان، هذا الكائن شديد التعقيد، يمكن ان يتدهور ليصبح كائناً مسطحاً، كائناً مثله مثل الكائنات وحيدة الخلية..

او حتى اقل شأناً..

شيء مرعب.. اليس كذلك؟ بالتأكيد.

الشيء الأكثر إرعاباً هو أن هذه الحالة ليست نادرة على الإطلاق..

في الحقيقة، هي منتشرة جداً..

وحالة هذا الإنسان.. تكاد تكون وبائية!

لكن بعض الأمـراض، من شدة انتشارها، تصبح مع الوقت ظاهرة طبيعية، جزءاً من البيئة التي يتعود عليها كل من يعيش داخل هذه البيئة..

كما تعرفون، السمكة لا تنتبه أبداً إلى انها تعيش في الماء!..

كذلك هذا الإنسان المتدهور إلى شبه كائن وحيد الخلية..

من شدة انتشاره، لم نعد ننتبه إلى انه حالة مرضية.

ومن شدة انتشار امثاله، لم يعد هو أيضاً يعتبر نفسه حالة مرضية..

إن الإنسان، هذا الكائن شديد التعقيد، يمكن ان يتدهور ليصبح كائناً مسطحاً، كائناً مثله مثل الكائنات وحيدة الخلية..
او حتى اقل شأناً..

السمكة لا تنتبه أبداً إلى أنها تعيش في الماء!..
كذلك هذا الإنسان المتدهور إلى شبه كائن وحيد الخلية..
من شدة انتشاره، لم نعد ننتبه إلى أنه حالة مرضية.
ومن شدة انتشار أمثاله، لم يعد هو أيضاً يعتبر نفسه حالة مرضية..

كيف يمكن للإنسان، هذا الكائن الفريد، الذي كرمه الله، أن يتدهور ليصبح شبه كائن وحيد الخلية؟

يمكن لذلك أن يحدث، ليس على صعيد الشكل بالتأكيد..

ولكن على صعيد الوظيفة، على صعيد الدور المناط به..

عندما يكف الإنسان عن أداء دوره، عن أداء وظيفته الأساسية، فإنه سيتدهور مع الوقت إلى ما صارت إليه وظيفته..

لو كان لديك سيارة عاطلة عن العمل، متروكة في الشارع، تحولت مع الوقت إلى ملهاة لأطفال الحي، فإنها كفت عن أن تكون سيارة.. لقد صارت مجرد لعبة..

كذلك الإنسان.. عندما يكف عن أداء دوره..

إذا كان أثره في الحياة، مثل أثر الكائن وحيد الخلية، بلا بصمة، بلا اي تأثير، فإنه عملياً، قد صار مثل هذا الكائن..

بل، على صعيد الوظيفة، سيكون تدهوره إلى ما هو أسوأ من كائن وحيد الخلية..

فالكائن وحيد الخلية، يؤدي ما عليه.. يؤدي ما خلق لأجله.. أياً كان هذا..

أما الإنسان المتدهور، فهو لا يكف فقط عن عدم أداء دوره..

بل هو يستهلك جزءاً من الأوكسجين في الأرض.. ويستهلك أيضاً الطعام، ويلوث أيضاً الأرض بمخلفاته..

دون أن ينتج شيئاً مفيداً..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

هل هذا الكلام قاسٍ جداً؟

ربما..

لكني لن أدعي أن نظرية التدهور هي لي.. لن أطالب بتسجيلها باسمي بالتأكيد..

في الحقيقة، ثمة أكثر من إشارة لها في القرآن الكريم..

(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) (القيامة: ٣٦)

حسناً هذه الآية معروفة جداً، وأين التدهور ونظريته فيها..

إنها في كلمة (سدى)..

فكلمة (سدى)، تعني الإبل المهملة..

الإبل التي تترك في البادية ترعى كما تشاء بلا راع..

لماذا يتركها أصحابها، وقد كانت الإبل – ولا تزال – ثمينة جداً عند العربي؟ وكانت تعتبر رأس مالٍ مهمٍ جداً في اقتصاد العرب في الجاهلية وحتى بعد الإسلام..

يتركونها لأنها كفت عن النفع.

لم يعد لها أي نفع مما كانوا ينتفعون به من الإبل..

لماذا لا يذبحونها؟!

لا فائدة حتى من ذبحها.. صارت ضامرة نحيلة، ليس فيها شيء يؤكل..

لن تجلب حتى هَمّ ذبحها..

سيكون ذبحها مكلفاً أكثر مما ستكون الذبيحة نافعة..

لذا فإنها تترك فحسب، بلا راعٍ، ودون أن تعقل، كما هي عادة العرب مع الإبل..

تترك فحسب..

إبل مهملة، كفت عن أن تكون نافعة بأي شكل من الأشكال..

و(إبل) في لغة العرب كلمة تفيد الجمع..

ليس لها صيغة مفرد مشتق منها،

ومن الصيغ الفردية للإبل: بعير!

*** ** ***

الآية تقول لك، لنا جميعاً، وهي تتحدث عن الإنسان..

أيحسب الإنسان أن يترك كما يشاء مثل بعير ضال؟!

بعير ضال..

تبدو الكلمة صادمة، قاسية جداً..

حتى الكائن وحيد الخلية اخف منها..

لكن أليس هذا ما يفعله البعض فعلاً؟ بل أليس هذا ما يفعله الكثير من البشر؟

لا ينفعون مجتمعاتهم بشيء، لا ينتجون شيئاً، بل يكادون يكونون عالة حتى على البيئة..

كل ما يفعلونه هو استهلاك الأوكسجين..

حياتهم تسير بلا ضابط ولا رابط.. ولا وعي ولا بصيرة..

بالضبط: كبعير ضال..

قاسية جداً.. أعترف.. لكنها ليست من عندي..

الإنسان يمكنه فعلاً أن يتدهور إلى هذا الحد.. لسنا بحاجة إلى أدلة، بالضبط كما شروق الشمس لا يحتاج إلى دليل..

لكن أليس هذا ما يفعله البعض فعلاً؟ بل أليس هذا ما يفعله الكثير من البشر؟

لا ينفعون مجتمعاتهم بشيء، لا ينتجون شيئاً، بل يكادون يكونون عالة حتى على البيئة..

كل ما يفعلونه هو استهلاك الأوكسجين..

حياتهم تسير بلا ضابط ولا رابط.. ولا وعي ولا بصيرة..

لقد خلق الله الإنسان في احسن تقويم..

لكنه يختار احياناً ان يكون اسفل سافلين..

هذه هي نظرية التدهور.. باختصار شديد..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) (المؤمنون: ١١٥)

اية أخرى، تتحدث عن نظرية التدهور..

عندما تتصور انك خلقت عبثاً.. لعباً.. بلا هدف..

أن تعيش حياتك على هذا الأساس.. على اساس انك خلقت عبثاً، لعباً..

أن تمضي حياتك في خوض الخائضين.. في اللا شيء.. نعم، لديك وظيفة تقضي بعض الوقت فيها.. وتجني منها المال.. لكنك لا تفعل شيئاً حقاً فيها.. لا تضيف فيها شيئاً.. لا تكون فيها ما أرادك الله أن تكون عندما خلقك..

أن تمضي حياتك في خوض الخائضين.. في اللاشيء.. نعم، لديك وظيفة تقضي بعض الوقت فيها.. وتجني منها المال.. لكنك لا تفعل شيئاً حقاً فيها.. لا تضيف فيها شيئاً.. لا تكون فيها ما أرادك الله أن تكون عندما خلقك..

حياتك تمضي هدراً.. مقارنة بما خلقت لأجله..

حياتك تمضي عبثاً..

إلى أسفل سافلين..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

وتسألني يا صديق..

هل أؤمن بنظرية التطور..

نعم. بالتأكيد افعل..

اؤمن بنظرية التطور.. واؤمن أيضاً بنظرية التدهور..

اؤمن ان بإمكان الإنسان أن يتطور ليصل إلى أعلى مكانة خلقها الله من أجله..

واؤمن أيضاً أنه يمكن أن يتدهور إلى أسفل سافلين.. أن يكون مثل إبل مهملة.. مثل بعير ضال..

أؤمن بالنظريتين.

وأؤمن أيضاً بأن لدينا الخيار..

أن نأخذ طريق نظرية التطور، إلى الأعلى..

أو أن نأخذ الطريق الآخر، في منحدر نظرية التدهور.. وصولاً إلى مكانة الكائن وحيد الخلية..

الخيار دوماً قائم..

ويمكنك أن تراقب حياتك، خلال الـ ٢٤ ساعة التي تعيشها كل يوم..

كم منها ستندرج في نظرية التطور..

وكم منها ستحسب في نظرية التدهور..

احسب ذلك..

ثم احسبها صح!..

والأهم من هذا: اعمل الصح!

أؤمن أن بإمكان الإنسان أن يتطور ليصل إلى أعلى مكانة خلقها الله من أجله..

وأؤمن أيضاً أنه يمكن أن يتدهور إلى أسفل سافلين.. أن يكون مثل إبل مهملة.. مثل بعير ضال..

٨

ليلة القبض على الحقيقة

نقول عن بعض الليالي إنها من ليالي العمر..

قد تكون ليلة زفافك على من تحب، أو ليلة اجتمعت فيها بمحبوب، أو لمة تجمع فيها الأهل بعد فراق وغربة طويلين..

او قد تكون مجرد سهرة عادية، سمر عادي، في أجواء جميلة..

او قد تكون احتفالاً صاخباً حضر فيه مطربك المفضل..

كل هذه يمكن أن يقال عنها إنها من ليالي العمر، حسب تعريف العمر بالنسبة للقائل.

لكننا نتحدث هنا عن ليلة عمر مختلفة، بطبيعة مختلفة، كانت ليلة هادئة جداً.. في الخارج، لم يكن هناك صخب.. لم يكن هناك غير شخص واحد فيها..

لكنها لم تكن ليلة عمر فحسب، بل كانت ليلة من ليالي أعمارنا جميعاً..

ربما لم يعرف أغلبنا ذلك، حتى الآن..

لكنها ليلة غيرت تاريخنا الشخصي دون أن ندرك ذلك..

لأنها ليلة غيرت من تاريخ البشرية جمعاء..

عن اي ليلة أتحدث؟

عن الليلة التي ذكرها القرآن في سورة الأنعام..

ليلة سيدنا إبراهيم قبل أن يأتيه الوحي..

عن سيدنا إبراهيم وهو يعلن بعقله، وبالتدريج، رفضه لأوثان قومه وما يعبدون..

تلك الليلة، غيرت تاريخ البشرية.. لأنها، شهدت إشراقة العقل.. إشراقة العقل

واتحاده مع الإيمان..

شهدت ولادة العقل الذي يؤدي إلى توحيد الله والإيمان به..

❀❀❀ ❀❀ ❀❀❀

فلنتذكر هنا بعض الأمور الجوهرية

أولاً مكانة سيدنا إبراهيم في ديننا، فهو أبو الأنبياء، وهو أيضاً المسلم الأول، وهو الذي سمانا مسلمين..

هذه المكانة تجعل من قصة إيمانه مهمة جداً، الطريقة التي آمن من خلالها (المسلم الأول)، ستجعلنا نعرف المزيد عن هذا الإيمان الذي ندين به جميعاً.. إيمان المسلم الأول هو إيمان كل المسلمين، عبر أجيالهم، وعندما يعرف المسلمون كيف آمن أول من أسلم، فإن هذا سيجعلهم أكثر وعياً بإيمانهم..

تلك الليلة، غيرت تاريخ البشرية.. لأنها، شهدت إشراقة العقل.. إشراقة العقل واتحاده مع الإيمان..
شهدت ولادة العقل الذي يؤدي إلى توحيد الله والإيمان به..

الأمر الثاني المهم، هو أن ليلة العمر هذه، ليلة البحث عن الحقيقة، هي قرآنية حصراً وبامتياز..

بمعنى أنها لم تذكر في الكتب السماوية السابقة، على الأقل في النسخ المتداولة من التوراة والإنجيل..

إبراهيم مهم لهم أيضاً بالتأكيد..

لكن هذه الليلة لم تذكر إلا في القرآن..

وهذا بالتأكيد له علاقة بكونه الكتاب الخاتم، للدين الخاتم..

فلنتفحص الآيات.. آيات ليلة العمر..

(فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ) (الأنعام: ٧٦)

تبدأ الآيات بالقول إنه (فلما جنّ عليه الليل) **وجنّ في لسان العرب تعني أخفى، وهذا يعني أن الليل أخفى إبراهيم..**

أي أن إبراهيم كان منفرداً.. كان وحيداً.. **لم يكن يحاور قومه في هذه الليلة بالذات..**

كان حوار إبراهيم مع نفسه.. كانت أسئلته مع نفسه.. وحوار النفس، وطرح الأسئلة معها، أخطر وأجدى حوار وأسئلة..

حوار النفس، وطرح الأسئلة معها، أخطر وأجدى حوار وأسئلة..

كان إبراهيم قد أدرك **بعقله وفطرته** سخف عبادة الأصنام، كان ذلك ضلالاً (مبيناً) بالنسبة له، وكان هذا ما قاله إبراهيم لأبيه في الآية السابقة بالضبط: (إني أراك وقومك في ضلال مبين)..

نعم الأوثان ضلال مبين..

لكن لا بد لهذا الكون من إله.. من خالق..

هذه هي الأسئلة التي واجهها إبراهيم مع نفسه.. هذه هي الأسئلة التي طرحها على نفسه وقادته إلى الجواب..

... فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (الأنعام:٧٧)

فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (الأنعام:٧٨)

الكوكب، والقمر، والشمس..

كان إبراهيم يبحث عن الله، وكانت فكرته التي وصل لها بعقله، بينما هو يبحث عن أجوبة لأسئلته، أن الإله الحق يجب أن يكون (الأكبر)، ويجب أن لا يأفل قط..

الكوكب أولاً، ثم القمر، ثم الشمس..

حجمها متفاوت نعم، الشمس بدت له أكبرها..

لكنها كلها أفلت..

والإله الحق لا يقبل الأفول..

هنا وجد إبراهيم الحقيقة..

الإله الحق الذي لا يأفل لا يمكن أن يخضع لمقاييس الحجم والكبر وحتى الرؤية..

هو من وضع المقاييس أصلاً، هو من وضع قوانين الكون.. فكيف يخضع لها؟

الإله الحق يجب أن يكون (الأكبر)، ويجب أن لا يأفل قط..

وجد إبراهيم أن الإله الحق لا يمكن أن يرى.. لا يمكن أن يحصر بعين بشرية.. لأن كل ما سيُرى سيكون قابلاً للأفول..

صرخ أرخميدس يوم وجد نظريته الشهيرة: وجدتها..

أما إبراهيم فقد كانت صرخته صرخة التوحيد الحق:

(إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

كانت ليلة سبقت نزول الوحي على سيدنا إبراهيم..

وما كان يمكن للوحي أن ينزل إلا على شخص مثل سيدنا إبراهيم..

وصل للحقيقة بعقله، فصار مُهيأً لما هو أهم: الوحي..

وصل للحقيقة بعقله، فصار مُهيأً لما هو أهم: الوحي..

ومنذ أن نزل الوحي، وسيدنا إبراهيم، أبو الأنبياء، هو الرابط المشترك الأهم بين الديانات التوحيدية الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام)..

وهي الديانات التي أثرت البشرية وتاريخها وغيرت مسارها مراراً وتكراراً..

أتعرفون لم قلنا إنها ليلة من ليالي العمر؟

لأنها أثرت في كل أعمارنا.. في أعمار كل البشر..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

وما كان يمكن لكل هذا أن يحدث لو أن إبراهيم قمع تساؤلاته..

لو أن إبراهيم لم يسأل.. لو أنه خاف من الأسئلة.. لانتهت القصة قبل أن تبدأ..

لكن التساؤل سرى مثل تيار كهربائي في سلك ميت.. فأعطى الضوء والطاقة.. وأنار تلك الليلة التي غيرت تاريخ البشرية..

التساؤل سرى مثل تيار كهربائي في سلك ميت.. فأعطى الضوء والطاقة..

لولا تلك التساؤلات، لتساوت تلك الليلة مع أي ليلة أخرى..

مثل ليالي عمرنا التي تذهب هدراً، دون أن تغير شيئاً.. لا في تاريخ البشرية ولا في مجتمعاتنا ولا حتى في تاريخنا الشخصي..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

فلا تخف من التساؤل.

لا تقمعه.

نعم.. التساؤل يخرج المارد من القمقم..

لكن المارد يمكن أن يفعل أشياءً كثيرة مفيدة.. كما يمكنه أن يكون مدمراً.. لا مفر من المخاطرة.. مع أخذ الحذر.. ليس بقمع المارد أبداً.. بل بالبحث عن الأجوبة..

قمع مارد الأسئلة، خوفاً من الإلحاد، يكاد يكون السبب الأول في الإلحاد حالياً!..

لا تخف من السؤال، آمن بقدرتك على الوصول إلى أجوبة جديدة دوماً، آمن أن الحقيقة أفضل دوماً من كذب مزيف.. وأن الإيمان الذي يمر بالتساؤلات يكون أصلب وأكثر نفعاً من إيمان خاف من المارد..

لا تخف من المارد الذي يمكن أن يخرج من القمقم عبر التساؤل..

فهو يمكن أن يساعدك في جعل العالم أفضل..

*** ** ***

وماذا عن ليلة عمرك يا صديق..

هل هي ليلة المنتجع ذاك..

أم ليلة السهرة تلك، في القهوة هناك..

أم هي الليلة التي شاهدت فيها نجمك المحبوب..

أم هي تلك الليلة الأخرى التي لا أريد الخوض فيها..

لا أقول لك أن لا تذهب إلى المنتجع أو القهوة أو حتى لا تشاهد نجمك المحبوب..

أقول لك فقط: أي ليلة من ليالي عمرك غيرت شيئاً في حياتك.. في حياة الآخرين (نحو الأفضل بالتأكيد)..

أي ليلة أحدثت فرقاً..

تعرف أن وسائل التواصل الحديثة تكشف أحياناً ولو بشكل تقريبي، متى نمت..

أراك دوماً قد سهرت يا صديق..

ربما حتى قبل الفجر بقليل..

أخجل أن أسألك يا صديق..

ماذا كنت تفعل حتى الثالثة صباحاً؟

هل هو المعتاد؟ اللا شيء.. ثرثرة وسمر مستمر عبر التشات؟

من فقرة إلى فقرة في اليوتيوب.. على غير هدى ولا قصد ولا شيء..

أخجل أن أسأل..

هل قرأت شيئاً مفيداً..

هل قلت شيئاً مفيداً..

هل تركت أثراً في حياتك أو حياة غيرك..

أم أنها كانت ليلة أخرى، ضائعة، من عمر مهدور..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

وأقول لك: **أما آن الأوان لليلة القبض على حقيقتك؟**

أما آن أوان أن تقبض على حقيقتك، على نفسك الحقيقية.. أن تواجهها بكل ما تتجاهل البحث فيه..

أما آن أوان أن تتصالح مع ذلك المارد الذي في داخلك، وتطلقه من أسر ما هو عادي وروتيني ولا معنى له ولا أثر..

أما آن لليلة عمرك أن تحدث؟

من يدري؟

قد تؤثر بها في حياة كل من حولك..

على حياتي انا ايضاً..

اقول لك: لقد آن الأوان يا صديق..

آن الأوان.

٩

أن تؤمن بنفسك

يحدث أحياناً أن تفقد إيمانك بنفسك، بقدراتك، بإمكانياتك..

قد يحدث ذلك على نحو عابر، نتيجة أزمة شخصية أو فشل على صعيد مهني أو شخصي..

ويندر جداً أن يكون هناك إنسان لم يشعر بشيء من هذا، من فقد الإيمان بنفسه لفترة ما، لسبب ما..

الفقدان العابر للإيمان بالنفس ليس سيئاً بالضرورة.. فهو قد يكون حافزاً لدفعك نحو الأفضل، نحو صقل طاقاتك ومهاراتك على نحو أكثر إنتاجاً ووفرة.

لكن..

هناك أحياناً حالات من الفقدان المستديم للإيمان بالنفس.

هناك ثقافة منتشرة للأسف، تجعل البعض لا يؤمنون بأنفسهم أصلاً، يرونها شيئاً تافهاً، شيئاً لا يستحق الإيمان..

هناك بشر، يولدون، يعيشون، يتحركون، ثم يموتون، فتنقضي حياتهم وهم لا يعرفون أن هناك شيئاً فاتهم.. هو الإيمان بالنفس..

هناك بشر، يتلقون في حياتهم وخصوصاً في طفولتهم ونشأتهم المبكرة، حقنات سلبية مركزة، شديدة الكثافة، تقول لهم إنهم فاشلون حتماً، إن الفشل هو توأم لهم، إنهم لن يتمكنوا من تغيير شيء أو تجديد شيء أو إضافة شيء إلى هذه الحياة..

الفقدان العابر للإيمان بالنفس ليس سيئاً بالضرورة.. فهو قد يكون حافزاً لدفعك نحو الأفضل، نحو صقل طاقاتك ومهاراتك على نحو أكثر إنتاجاً ووفرة.

هناك بشر، يكبرون بينما تغرس في عقولهم انه ليس بالإمكان ابدع مما كان.. فتنزع منهم فوراً احتمالية ان بإمكانهم – أو حتى بإمكان غيرهم - فعل ما هو افضل مما سبق وحدث..

هناك بشر، يوضعون في قوالب قصيرة منذ ولادتهم، قوالب تجعلهم أقزاماً، أو بالأحرى توهمهم أنهم أقزام، توهمهم أن إمكاناتهم قزمة، وان حدودهم ضيقة، وان اهدافهم بالتالي يجب أن تكون قزمة..

ولا ينتج عن هذا إلا بشر أقزام للأسف..

كان يمكن ان يكونوا عمالقة، لو انهم وضعوا في قوالب مختلفة..

لو أنهم آمنوا بأنفسهم..

هناك بشر، يتلقون في حياتهم وخصوصاً في طفولتهم ونشأتهم المبكرة، حقنات سلبية مركزة، شديدة الكثافة، تقول لهم إنهم فاشلون حتماً، إن الفشل هو توأم لهم، إنهم لن يتمكنوا من تغيير شيء أو تجديد شيء أو إضافة شيء إلى هذه الحياة..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

وماذا ستفعل لنفسك، أو لأي احد، لو انك لم تؤمن بنفسك..

ماذا سيكون بإمكانك ان تفعل، إن كنت لا تؤمن ان بإمكانك ان تفعل؟

كيف يمكنك أن تقود سيارة في شارع مزدحم بالسيارات إن كنت تعتقد أنك لا تعرف كيف تقودها؟

وكيف ستقود نفسك في رحلة الحياة، إن كنت تعتقد أنك لست مؤهلاً لذلك؟

كيف ستفعل اي شيء مهم في حياتك.. **إن كنت لا تؤمن بنفسك؟**

المشكلة أن هذا يحدث أحياناً حتى للمؤمنين بالله.

الناس عموماً لا تجد مشكلة في هذا، فهي لا تربط بين الإيمان بالله والإيمان بالنفس.. تجدهما منفصلين..

الإيمان بالنفس جزء من أركان الإيمان!

لكننا لو دققنا جيداً في أمر الإيمان بالنفس والإيمان بالله، لوجدناهما مرتبطين بأكثر مما نتوقع للوهلة الأولى..

الحقيقة هي أن **الإيمان بالنفس جزء من أركان الإيمان!**

كيف! وأركان الإيمان معروفة، وهي الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه والقدر خيره وشره، فكيف يكون الإيمان بالنفس من أركان الإيمان؟

في الحقيقة إنه جزء من الركن الأول من أركان الإيمان..

من الإيمان بالله..

لا يمكنك أن تكون مؤمناً به عز وجل دون أن تؤمن بحكمته..

ولكن الله، الذي تؤمن به، قد عين (النوع البشري)، الإنسان، ليكون الخليفة في الأرض.

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

إيمانك بالله يتطلب حتماً إيمانك بكونه الخالق القادر الحكيم.

لا يمكنك أن تكون مؤمناً به عز وجل دون أن تؤمن بحكمته..

ولكن الله، الذي تؤمن به، قد عين (النوع البشري)، الإنسان، ليكون الخليفة في الأرض.

وأنت، إنسان، أنت تنتمي لهذا النوع البشري الذي اختاره الله ليكون الخليفة

> عدم إيمانك بنفسك، يعني عدم إيمانك بأنك مؤهل لتكون الخليفة..

في الأرض.

عدم إيمانك بنفسك، يعني عدم إيمانك بأنك مؤهل لتكون الخليفة..

وعدم إيمانك بأنك مؤهل لتكون الخليفة يعني عدم إيمانك بحكمته عز وجل في اختيارك لهذا المنصب..

مرة أخرى: عدم إيمانك بنفسك وقدراتك يعني عدم إيمانك بنفسك كخليفة في الأرض..

وعدم إيمانك بنفسك كخليفة، مع علمك أنه عز وجل قد اختارك لهذا المنصب، يعني أنك لا تؤمن بحكمته..

الأمر بهذا الوضوح وهذه البساطة.

عدم إيمانك بنفسك، قد يكون خللاً عقائدياً..

قد يكون خللاً في إيمانك بالله..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

فلنرجع إلى لحظة التعيين الأولى..

(وإذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائكَةِ إنّي جاعلٌ في الأَرْضِ خَليفَةً قالُوا أَتَجْعَلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إنّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ) (البقرة:٣٠)

الملائكة تعبر عن تخوف ما هنا في هذه الآية، أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟

للوهلة الأولى، يبدو تخوف الملائكة كما لو كان تعبيراً عن عدم الإيمان

بالإنسان أيضاً..

ولكن الحقيقة غير هذا..

تخوف الملائكة كان من تمادي الإنسان في استخدامه لقدراته التي وهبها الله له.. في استخدامها على شكل خاطئ.. لكنها لم تشكك في امتلاكه لقدرات..

لكنه جل وعلا قال لهم: إني أعلم ما لا تعلمون..

سيكون هناك من هؤلاء البشر من يتجاوزون حدودهم، وسيكون هناك من يلتزم بها..

ولكن كلهم يملكون القدرات أصلاً، ما داموا من النوع الإنساني، ما داموا أولاداً لادم.. فسيبقى لديهم تلك الإمكانية..

هل ستقول إنك أعلم بنفسك! وإنك فتشت كثيراً عن قدرة ما في داخلك فلم تجد شيئاً مميزاً..

عز وجل، في علاه، يقول لك، كما قال للملائكة: إني أعلم ما لا تعلمون!

الله يعلم ما وضع فيك من قدرات، الله يعلم ما وضع من إمكانيات، عليك فقط أن تؤمن أولاً بنفسك..

ثم تبحث عن هذه القدرات..

لا تقل إنه ليس لديك شيء..

من خلقك، ووضعك كخليفة، يعلم ما لا تعلمون..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

كانت لحظة ما في بدء خليقتنا كبشر..

لحظة حاسمة، لم ترد في أي من الكتب السماوية قبل القرآن..

بعبارة أخرى: لم يأت في أي من الكتب السماوية السابقة، تنصيب الإنسان

خليفة في الأرض، كما لم يرد ذكر امر الله للملائكة بالسجود لآدم..

هذا المنصب، وهذه المكانة، جاءت فقط في القرآن الكريم.. كما لو أن البشرية قد بلغت سن رشدها مع الإسلام، وان أوان أن تتحمل مسؤوليتها..

وعندما لا تؤمن بنفسك، فإنك عملياً تنتمي إلى عهود ما قبل القرآن، قبل سن الرشد للإنسانية..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

في اربعة مواضع في القرآن الكريم، جاء قوله تعالى، على لسان أنبيائه عليهم الصلاة والسلام (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم).

اعملوا على مكانتكم!..

لدينا مكانة محددة، لدينا منصب رفيع وضعه الله لنا فوق كل المخلوقات.. ولكن هذه المكانة تتطلب ان نثبت أننا نستحقها، تتطلب أن نعمل كي ننالها..

وضع الله لنا المكانة العليا، ووضع لنا المؤهلات، مختلفة ومتفاوتة من شخص لآخر، نعم.. لكنها موجودة، موجودة هناك..

لو لم تؤمن انك تملك هذه المؤهلات، لو لم تؤمن بنفسك، فإن هذا يعني أنك لا تؤمن بحكمته عز وجل يوم اختارك لتكون الخليفة..

لو لم تؤمن بنفسك، فهذا قدح في إيمانك به..

حتى لو كنت تقضي وقتك في الصلاة والعبادة..

لو لم تؤمن بنفسك، فهذا قدح في إيمانك به..

حتى لو كنت تقضي وقتك في الصلاة والعبادة..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

هل تذكر يا صديق؟

يوم كنت غارقاً في إحساسك بالفشل؟

في إحساسك بأنك لا تصلح لشيء..

هل تذكر يوم مددت يدي لأهزك بعنف؟..

كنت أقول لك إني أرى فيك، رأي العين، شخصاً ناجحاً متألق النجاح، شخصاً يثير غيظ الحاسدين بنجاحه..

لا.. لم أكن أطلع على الغيب..

لقد كنت أؤمن بالله فحسب..

ولأني أؤمن بالله، فقد آمنت بك ذات يوم..

لأني أؤمن بالله، فإني كنت أعرف أن لديك ما يجعلك تنجح..

أؤمن بالله، وأؤمن بمن اختاره الله خليفة.. بالإنسان.. ولكني أعرف أيضاً أن الإنسان قد يتمادى، كما قالت الملائكة ذات يوم..

كلانا نعرف ذلك الآن..

هي معادلة دقيقة جداً.. عندما لا يكون إيمانك بنفسك جزءاً من إيمانك بالله، فإنك قد تتمادى.. عندما تفصل الإيمانين عن بعضهما، فإنك غالباً ستفسد في الأرض، بطريقة أو بأخرى..

لا ازال أؤمن بالإنسان.. لأن إيماني به هو جزء من إيماني بالله..

رغم كل ذلك..

لا ازال أؤمن بالإنسان.. لأن إيماني به هو جزء من إيماني بالله..

١٠

قصة حب

للتوبة في أذهاننا صورة رومانسية.. إن جاز التعبير.

هذه الصورة تشبه فيلماً رومانسياً حالماً، فيه دموع، مشاعر، وترتبط هذه الصورة غالباً بقصص التائبين التي ورثناها من السلف الصالح، قصة تبدأ عادة بموقف عادي بسيط، يحدث لشخص كان بعيداً عن الله، فتأتي التوبة كما يأتي الحب الذي يصفونه بأنه (من أول نظرة)، دون تمهيد ولا سابق إصرار وترصد.. أو حتى معرفة.

فكرتنا عن التوبة أنها تأتي كالصاعقة على الشخص، فتقلب كيانه وتغيره ١٨٠ درجة فوراً..

ولذلك، فالكثيرون ينتظرون تلك الصاعقة التي نادراً ما تأتي على هذا النحو..

بالضبط كما هو نادر جداً أن يكون حب النظرة الأولى جاداً..

الكثيرون يحبون الأفلام الرومانسية، خاصة عندما تكون بنهايات سعيدة..

لكن تعرفون، الواقع مختلف جداً عن الأفلام الرومانسية..

هذه هي الصورة التي في أذهاننا عن التوبة..

لكن كيف قدم القرآن التوبة؟

فلنذهب إلى سورة تحمل هذا الاسم، لكي نرى التوبة بنسختها القرآنية..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

سورة التوبة سورة غاضبة جداً.

ذلك واضح، **لدرجة أنها لا تبدأ بالبسملة.**

كل سور القرآن، كلها، تبدأ بالبسملة..

سورة التوبة سورة غاضبة جداً.
لدرجة أنها لا تبدأ بالبسملة.

إلا سورة التوبة، تدخل مباشرة في الموضوع دون الإشارة إلى (الرحمن الرحيم)..

وهي تسمى أيضا سورة (براءة).. والبراءة هنا هي القطيعة النهائية التي أعلنتها السورة مع المشركين..

عكس ما هو متوقع من سورة تحمل اسم التوبة، لا أثر لهذا الفيلم الرومانسي الذي سكن خيالنا في هذه السورة..

على العكس، ثمة فيلم من نوع آخر..

إنه فيلم حربي..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ربما للوهلة الأولى سنشعر بالخيبة.

نريد أن نجد في القرآن ما يؤكد نظرتنا المسبقة..

لكن لو مسحت الفيلم الرومانسي القديم من ذهنك، لو تركت هذه الفكرة الشاعرية عنها، وفكرت مجدداً بالتوبة، فستجد أنها ربما كانت أقرب فعلاً إلى فيلم حربي، منها إلى فيلم رومانسي..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

وبالتدريج ستفهم..

ستفهم أن هذا الفهم (الشاعري) للتوبة ليس حقيقياً ولا واقعياً البتة..

وأن التوبة هي أقرب فعلاً لفيلم حربي.. بالضبط أقرب لسياقات سورة التوبة، سورة براءة..

انس مؤقتاً أن السورة نزلت في قتال المشركين وفضح المنافقين..

ضع نفسك أو جزءاً من نفسك مكان من تواجههم هذه السورة.. مكان المشركين أو المنافقين.. اقرأها كما لو أنك تقرأ قصة صراعك مع نفسك، قصة صراعاتك الداخلية التي لا يعرف أحد عنها شيئاً سوى الله..

انس مؤقتاً أن السورة نزلت في قتال المشركين وفضح المنافقين..

اقرأها كما لو أنك تقرأ قصة صراعك مع نفسك، قصة صراعاتك الداخلية التي لا يعرِف أحد عنها شيئاً سوى الله..

انس أنها نزلت في المشركين والمنافقين، وتخيل أنك أنت مدينة كاملة، فيها المؤمنون وفيها المنافقون، ويتهددها الأعداء.. تخيل أن سورة التوبة قد نزلت فيك، عن هذا الصراع في داخلك..

ضع ذلك الجزء الضعيف منك، الجزء الذي يضعف أمام شهواتك.. أمام كسلك.. ضع هذا الجزء في موضع المشركين.. الذين تعلن السورة البراءة منهم، ومن ثم تحاربهم..

عندما تقرأ سورة التوبة على هذا النحو تجد فيها قصة حربك مع نفسك للخلاص من ذنوبها ومعاصيها، تقرأ فيها ذلك الجهاد المر لخلاصك من أدرانك..

غالباً ما تكون معركتك في داخلك.. غالباً ما تكون سرية لا يعلم بها أحد خارج عالمك الداخلي..

غالباً ما تكون معركتك في داخلك.. غالبا ما تكون سرية لا يعلم بها أحد خارج عالمك الداخلي..

لكن عنفها وصخبها في داخلك ليس أقل من أي حرب أخرى تخوضها..

لكن عنفها وصخبها في داخلك ليس أقل من أي حرب أخرى تخوضها..

في سورة التوبة، تقرأ قصة توبتك عندما تكون حقيقية.. عندما تكون صراعاً داخلياً..

تقرأ في السورة عن ساعة شدّة يمر بها المؤمنون، ساعة العسرة، عن سفر صعب بعيد في حر شديد.....[1] وترك للأهل والأبناء والأموال والثمار التي كان قد اقترب موسم حصادها.. ترك لأجل الذهاب في درب صعب وقتال بعيد..

كذلك في التوبة، في توبتك.. عليك أن تعلم دوماً أنها ليست نزهة في الحديقة.. إنها دوماً رحلة وعرة في المجاهل القصية من نفسك، في ظروف بالغة الصعوبة والقسوة، وقد تركت خلفك معاصي وذنوباً ربما صارت اقرب إليك من بعض أهلك..

> **دوماً هناك عهد من نفسك لنفسك بأن تكف عن هذه المعصية أو تلك، تمنحها المهلة تلو المهلة.. وتمر(المهلة) في هدوء، وتفاجئك نفسك بالغدر بعد المهلة.. تفاجأ بها تعود إلى المعصية بعد أن أجزلت الوعود والمواثيق**

تقرأ في آيات سورة التوبة عن عهود نكث بها المشركون[2].. فيجعلك هذا تتذكر عهودك لنفسك بأنك ستتوب، سيجعلك هذا تتذكر كم مرة خذلت نفسك فيها ونكثت بوعودها لك.. دوماً هناك عهد من نفسك لنفسك بأن تكف عن هذه المعصية أو تلك، تمنحها المهلة تلو المهلة.. وتمر(المهلة) في هدوء، وتفاجئك نفسك بالغدر بعد المهلة.. تفاجأ بها تعود إلى المعصية بعد ان أجزلت الوعود والمواثيق.. ها هي تنكث بكل ما قدمت.. وها هي تقترف ما قالت إنها لن تعود إليه مجدداً..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

وها أنت في لحظة حاسمة أمام قرار حاسم: هل ستواجه نفسك؟ هل ستحاربها

---

(١) آيات ٤٢ و ٨١

(٢) آية ١٢

ما دامت قد انسلخت من مواثيقها؟

توبتك تضعك في مواجهة مع نفسك: هل أنت مستعد حقاً لقتالها؟ هل أنت مستعد حقاً لقتل ما يجب قتله من نفسك حيث وجدت هذا الجزء؟ هل أنت مستعد لتحصر هذه الأجزاء التي تعوقك وتقعد لها كل مرصد؟

هل أنت على استعداد لأن تعلن براءتك من بعض نفسك؟

أم أنك ستبحث عن أعذار.. عن التأجيل.. عن التسويف..(سوف أتوب وسوف أكون أحسن وسوف... وسوف...) عن فتاوى من هنا وهناك.. عن الاستئذان بعدم المواجهة الذي يشي بما لا تريد مواجهته من حقيقة إيمانك..

> توبتك تضعك في مواجهة مع نفسك: هل أنت مستعد حقاً لقتالها؟ هل أنت مستعد حقاً لقتل ما يجب قتله من نفسك حيث وجدت هذا الجزء؟ هل أنت مستعد لتحصر هذه الأجزاء التي تعوقك وتقعد لها كل مرصد؟
> هل أنت على استعداد لأن تعلن براءتك من بعض نفسك؟

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ستقرأ في السورة أعذار أولئك الذين اختاروا أن لا يلتحقوا بالرسول والمؤمنين ساعة العسرة [٣].. ستتأمل الأعذار في رعب كما لو كانت لغماً أرضياً على وشك الانفجار في وجهك.. **سترى في تلك الأعذار شيئاً تعودت أن تقوله لنفسك أحياناً..**

ولكنك لا تريد أن تصنف مع هؤلاء..

أنت لست منافقاً..

---

(٣) آيات ٤٤ ، ٤٦ ، ٦٢ ، ٨٦.

ستحارب لكي تثبت لنفسك انك لست منافقاً..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

قد تحاول التخفيف عن نفسك بتذكيرها بما تقوم به احياناً من اعمال صالحة، لكن سورة التوبة ستصدمك بحديثها عن اعمال صالحة ايضاً كان يقوم بها المشركون [4]، عن سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، بل ستحدثك عن مسجد بناه المنافقون [5]، مسجد ضرار بنوه في اطراف المدينة لتفريق شمل المؤمنين.. ستشعر بالرعب، ستتفحص نواياك ودوافعك، **هل فعلت اعمالك الصالحة لأن الحسنات يذهبن السيئات؟ ام انك فعلتها لأن هذا الفعل يلهيك ويخدرك عن مواجهتك لمعاصيك؟**

أسئلة كهذه قد تكون مؤلمة جداً..

لكنها الحرب يا صديق.. الحرب..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

وفي لحظة ما..

ستكون كفة المعركة قد بدت لغير صالحك..

وستضيق عليك الأرض بما رحبت.. [6]

وستقول لنفسك إنك خاسر لا محالة.. وإنك لن تنجو قط من فخ المعصية واستعبادها لك..

ولكن، فجأة..

تتدفق التوبة من ثقب بحجم السماء في فضاءات روحك..

---

(٤) اية ١٩
(٥) اية ١٠٧
(٦) اية ١١٨

..ولقد تاب الله عليك

ستشعر بنوع مختلف من السعادة يغمرك كلك، نوع ربما لم تجربه في كل ما جربت من ملذات، ستشعر انك اقوى بهذه التوبة.. انك إنسان جديد.. اقوى من ذلك الذي خلفته وراءك..

الذي تخلصت منه في المعركة..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

نعم.

فيلم حربي..

لكن لا يخلو من قصة حب..

كما في كل الأفلام..

قصة حب، مع من يستحق الحب..

مع الله..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

البعض يريد أن يتوب من (قصة حب)!

والبعض الاخر، يريد من توبته أن تكون عظيمة، كقصة حب..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

وانت يا صديق..

هل ستبقى تؤجل حربك مع نفسك؟

هل ستبقى تأخذ الهدنة تلو الهدنة..

لن أقول لك (اخش الموت).. فهذا ما تعرفه جيداً..

وهو قد يأتي عند أقرب منعطف، من سائق متهور..

لكني أقول: (اخش نفسك).

ربما لن تطاوعك لاحقاً على أن تحارب جزءاً منها..

كل هدنة تعطيها لنفسك، كل تأجيل، يمنح الجزء السيئ من نفسك الفرصة لكي يتمكن أكثر، لكي يثبت نفسه أكثر في أعماقك..

ويوم يأتي يوم المواجهة، ستجد نفسك أضعف مما تخيلت، لقد غلبك ذلك الجزء الذي تركت له كل الطرق لتصله الإمدادات من كل مكان..

لا تغتر بقوتك، فبعض المعاصي كالسرطان.. والسرطان إن تُرِك استشرى وانتشر واستأسد..

لا يمكن تأجيل مواجهة السرطان.. لا يمكن إلا استئصاله..

فلا تؤجل توبة اليوم إلى الغد، فقد يكون للغد معصية أخرى!

لا تؤجل توبة اليوم إلى الغد، فقد يكون للغد معصية أخرى!

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

وهذه المرة أقول يا صديق..

ولكن شيئاً ما في نفسي يقول إني أحدث نفسي أيضاً..

يا صديق..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

وأقول لك..

لا تتب وحدك.. كما لم تكن معصيتك وحدك.

معركة التوبة في الداخل نعم، لكن الدعم الخارجي مفيد جداً كما تعلم..

فلنكن حلفاء، ضد عدو واحد.. فالحلفاء دوماً ينتصرون في الأفلام!

والمنتصر، كما تعلم، يأخذ كل شيء..

اختر نهاية الفيلم السعيدة، بنفسك يا صديق..

حياتك فيلم بعدة أجزاء، بطلها جميعاً أنت..

وفيلم التوبة منها قد يكون أهمها وأجملها جميعاً..

معركة التوبة في الداخل نعم، لكن الدعم الخارجي مفيد جداً كما تعلم..

فلنكن حلفاء، ضد عدو واحد.. فالحلفاء دوماً ينتصرون في الأفلام!

١١

في البئر.. وحيداً

في البئر ألقوا بك يا يوسف..

كان مظلماً.. وكنت وحيداً..

وكانوا اخوتك!

في البئر ألقوا بك يا يوسف..

لعلك توهمتها مزحة..

لعلك توقعت أن صمتهم مجرد خدعة..

لعلك قلت إنهم سيعودون..

وأن حبالهم ستطل بين لحظة واخرى..

لكن أصواتهم تلاشت يا يوسف..

وحبالهم لم تأت قط..

لعلك شعرت أن كل شيء انتهى هنا في البئر..

لعلك شعرت أن العالم قد انهار، وأنك قد فقدت اباك واخوتك وكل من تخيلت أنه سيكون في حياتك.

لكن أصواتهم تلاشت يا يوسف..
وحبالهم لم تأت قط..

لعل العالم بدا لك من البئر.. مظلماً جداً، بلا بصيص أمل..

لكن ذلك لم يدم طويلاً يا يوسف!

❋❋❋ ❋❋ ❋❋❋

كثيراً ما نمر بما يبدو انه اكبر كارثة في حياتنا.

كثيراً ما نشعر بخذلان الجميع.. نشعر أن عالمنا قد انهار وأن الكل، حتى أقرب الناس قد غدروا بنا.. أو على الأقل تخلوا عنا..

كثيراً ما نشعر بخذلان الجميع.. نشعر أن عالمنا قد انهار وأن الكل، حتى أقرب الناس قد غدروا بنا.. أو على الأقل تخلوا عنا..

كثيراً ما نعتقد أنها النهاية، وأن هذا المنعطف الذي مررنا به، قد قادنا إلى نهاية المطاف، إلى حيث لا عودة..

يأتي من يقول لنا، مواسياً، (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم)، ونحن نعرف هذه الآية قطعاً، لكن نقول: لا، ليس هذا الشيء بالتحديد والآية لم تقل كل ما نكره، بل قالت (وعسى أن تكرهوا شيئاً).. أما هذا الذي حدث لنا فهو شر مطلق، لن يمررنا إلى الخير أبداً.. لقد انتهينا، لقد دُمرنا.. إلى آخر الدراما المعروفة التي يشعر بها الكثيرون عندما يمرون بكوارثهم..

لكن، سنة أو اثنتان.. وتراهم وقد نسوا الأمر تماماً، وعندما تسألهم: ماذا حدث؟ ألم تكن حياتكم قد انتهت؟! سيقولون لك لا! لقد كان هذا أفضل ما حدث لنا على الإطلاق.

لم تكن نهاية كما توهمنا، بل لقد كانت البداية.. وذاك الذي توهمناه أسوأ ما يمكن أن يحدث لنا، مررنا من خلاله إلى أفضل ما حدث لنا على الإطلاق.

لم تكن نهاية كما توهمنا، بل لقد كانت البداية.. وذاك الذي توهمناه أسوأ ما يمكن أن يحدث لنا، مررنا من خلاله إلى أفضل ما حدث لنا على الإطلاق.

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

يحدث كثيراً..

كم من حبيب غدر، وتوهمت أن الحياة انتهت بغدره، وأنه لا أمان للبشر من بعده.. ثم جعلك هذا الغدر تتعرف على أكثر البشر إخلاصاً وحباً لك.

كم من مشروع فشل، وتوهمت أن هذه هي نهاية المشوار، فإذا بهذا الفشل يقودك إلى مشوار آخر، ومشروع آخر تحقق به نجاحاً لم تكن تحلم به أيام المشروع الأول عندما فشل، وحين توهمت أن الدنيا قد انتهت.

وكم من مشروع زواج فشل، فقاد هذا الفشل طرفيه إلى أن يبحثا عن شريكيهما بمواصفات أخرى، ليحققا معهما نجاحاً أكبر..

وكم من حلم أمومة أجهض عند أنثى، فقادها هذا الإجهاض إلى أن تحقق ذاتها عبر مشروع أكبر، عبر حلم يتجاوز الطفل الواحد، إلى المجتمع بأسره..

وكم من لاجئ ترك بلاده غريباً منكسراً وقد خلف وراءه كل جني عمره، ثم وجد في بلاد الآخرين كل ما لم يكن يحلم به..

يحدث هذا كثيراً..

انظر فقط حولك، في حياتك، في حياة من حولك، وستجد أن هذا يحدث كثيراً..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

وهذا ما حدث مع سيدنا يوسف..

نعم، كانت النبوة أيضاً قادته في طريقه، لكن، كما تعرفون، **قصص الأنبياء ليست حواديت نسمعها ونقول الله، بل هي دوماً أمثلة وعبر لنا أيضاً، والعبرة في قصة سيدنا يوسف شديدة الوضوح: إنها الإيجابية، إنها أن لا تيأس مهما حدث، إنها أن تصر على هدفك حتى تصل إليه..**

من البئر الفارغ في الصحراء المجدبة، إلى أعلى منصب في أعظم حضارة في

زمانه، مر سيدنا يوسف بمراحل متعددة، بيع بثمن بخس دراهم معدودة، تعرض للسجن، وللغواية، لكنه بقي متماسكاً مصراً على تحقيق هدفه..

بقي مصراً على الإيجابية التي لم تزيف له العالم بنظرة تفاؤل ساذجة يعاني منها الكثيرون اليوم..

بل إيجابية العمل، الإصرار على العمل..

من البئر، إلى القصر، رحلة طويلة قام بها سيدنا يوسف.

لكن تعرفون، لو حذفنا البئر، لما كان هناك من قصر!

قصص الأنبياء ليست حواديت نسمعها ونقول الله، بل هي دوماً أمثلة وعبر لنا أيضاً، والعبرة في قصة سيدنا يوسف شديدة الوضوح: إنها الإيجابية، إنها أن لا تيأس مهما حدث، إنها أن تصر على هدفك حتى تصل إليه..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

لكن حذار من الخلط بين الإيجابية والسذاجة!

فليس كل من يلقى في البئر سيصل إلى القصر!

وليس كل من دخل السجن يوسف.

البعض صار يتلذذ بدور الضحية خلطاً بين هذا الدور وبين دور يوسف..

لكن الحقيقة بعيدة عن هذا الخلط..

ثمة خيط رفيع يفصل بين السذاجة والإيجابية..

الإيجابية هي أن تدرس كل المصاعب التي تحيط بك وتعتبرها تحديات تستفز كل طاقاتك ومواهبك..

أما السذاجة فهي أن تنكر المصاعب الكامنة لحين وقوع المصائب..

وعندما تقع تعتبرها بشائر لنصر قريب!

وما أكثر الذين ضيعوا هذا الخيط الرفيع..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

وقصة سيدنا يوسف هي القصة الوحيدة من بين كل قصص الأنبياء التي عرضت مرة واحدة وبشكل كامل في القرآن الكريم، كل قصص الأنبياء الآخرين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، تقدم على نحو متفرق وعبر سور مختلفة وأحياناً يعاد عرض بعض المواقف من زوايا مختلفة.

لكن مع قصة سيدنا يوسف على وجه الخصوص، الأمر مختلف.

الإيجابية هي أن تدرس كل المصاعب التي تحيط بك وتعتبرها تحديات تستفز كل طاقاتك ومواهبك..

أما السذاجة فهي أن تنكر المصاعب الكامنة لحين وقوع المصائب..

تعرض القصة من الألف إلى الياء، من البئر إلى القصر، مرة واحدة وفي سورة واحدة، هي السورة التي تحمل اسمه عليه السلام.

حاشا لله أن يكون ذلك مجرد صدفة.

بل لقد حدث هذا **كي نرى الصورة الكاملة**، الرحلة الكاملة، من الألف إلى الياء في جملة واحدة، كما لو كنا نشاهد فيلماً يحكي قصة بطل من طفولته إلى تحقيقه للبطولة.. ولو أن قصة سيدنا يوسف عرضت متفرقة كقصة سيدنا موسى مثلاً، لما تمكنا من الربط بين البداية والنهاية بنفس الوضوح..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

بالمناسبة، تبدأ السورة، سورة سيدنا يوسف، بحلم، بمنام طفولي: **(إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) (يوسف: ٤)**

وتنتهي والحلم قد تحقق،

والمعنى واضح: لا تتخل عن أحلامك. لا تتنازل عنها، لا تقلل من سقفها.. تمسك بها، حتى لو بدت لك -أمام ما تمر به من مصاعب - أنها مستحيلة..

لا تتخل عن أحلامك. لا تتنازل عنها، لا تقلل من سقفها.. تمسك بها، حتى لو بدت لك - أمام ما تمر به من مصاعب - أنها مستحيلة..

قد تعلمك هذه المصاعب كيف تحقق هذه الأحلام..

قد ترى في دربك من سقط وانكسر حلمه، وعندما مات الحلم في داخله، مات هو أيضاً حتى لو بقي على قيد الحياة..

وقد ترى من سقط مرة وأكثر، ولكن بقي الحلم نبض قلبه ومحور حياته.. وظل مصراً على تحقيقه.. حتى نجح في ذلك..

فأي منهما تختار أن تكون؟

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ارادوا أن يكسروك يا يوسف..

أن يجعلوك تضعف..

أن تتوسل..

أن تنكسر ولو أمام نفسك

لو يعلمون!

..لو يعلمون أن كل تلك الليلة في البئر، جعلتك تكتشف قوتك الحقيقية

من لحظة البئر، أنت لم تعد أنت الذي كنت..

صرت شخصاً جديداً.. ولدت – عبر مخاض صعب مرير- في البئر وحدك..

❋❋❋ ❋❋ ❋❋❋

اكتشفت معنى أن يتدفق النور من داخلك، لا من فتحة في السقف..

اكتشفت معنى أن تجد في الله أنيساً ورفيقاً.. فزادك ذلك قوة على قوة.. ونوراً على نور..

في البئر اكتشفت قواك التي لم تعرفها.. اكتشفت أنه يمكنك أن تستغني عنهم.. وأن الأمر ليس صعباً كما توهمت.. اكتشفت أن علاقتك بهم تكون أغنى عندما تتعرف على الاستغناء عنهم..

في البئر عرفت معنى الجماعة، أن تكون على الحق، ولو كنت وحدك..

كل ذلك قبلها كان يشبه نظريات من البرج العاجي..

وفي البئر، تعانقت النظرية والتطبيق..

في البئر اكتشفت قواك التي لم تعرفها.. اكتشفت أنه يمكنك أن تستغني عنهم.. وأن الأمر ليس صعبا كما توهمت.. اكتشفت أن علاقتك بهم تكون أغنى عندما تتعرف على الاستغناء عنهم..

❋❋❋ ❋❋ ❋❋❋

لم تأت حبالهم التي انتظرتها طويلاً يا يوسف.

لكن جاء حبل آخر..

حبل آخر لم يره أحد، سواك..

حبل آخر تدلى من السماء، ووصل إلى أعماقك..

كان ذلك الحبل هو **إيمانك** يا يوسف..

دوماً كان هناك إيمانك.. دوماً علمك هذا الإيمان أن تواصل الطريق..

دوماً كان الإيمان رفيقك في دربك الطويل.. **ودوماً جعلك هذا الإيمان ترى الضوء في نهاية النفق الطويل المظلم..**



..وزادت قيمتك

زادت قيمتك بعد البئر..

كل شيء صار يبدو مثل ثمن بخس، دراهم معدودة.. بالمقارنة بما صارت عليه قيمتك..



ما كنت ستصل لما وصلت له يا يوسف..

لولا البئر..

..ولو علم أخوتك، لما ألقوك فيه



في داخل كل منا بئر..

وفي كل بئر يوسف..

..وأصوات تلاشت.. وحبال لم تأت

..يمكننا أن نجعل من ذلك مخاضاً، بحيث ستبدو كنوز العالم بأسره ثمناً بخساً أمامه

ويمكننا أن نرخص.. حتى يصير سعرنا

في داخل كل منا بئر..

وفي كل بئر يوسف..

..وأصوات تلاشت.. وحبال لم تأت

الحقيقي دراهم معدودة..

دوماً ثمة يوسف.. ثمة بئر..

وثمة أخوة ليوسف..

نختار دوماً (نهاياتنا)..

اعرف يا صديق..

انك كنت وحيداً في البئر..

اعرف اني لم أتمكن من مساعدتك..

كانت حبالي قصيرة، وكان قعر البئر عميقاً..

أو لعلي أتعذر فحسب..

لكني حاولت أن أوصل لك كلماتي، لا أعرف، هل وصلتك أم لا..

أردت أن أقول إن ثمة منجماً في داخلك

في الظلمة، في الخذلان ثمة منجم..

كلنا ندخل الأبار في تجاربنا الصعبة..

لكن قليلين هم من يكتشفون المنجم في داخلهم..

فهل وجدت منجمك في الداخل يا صديق؟..

كلنا ندخل الأبار في تجاربنا الصعبة..

لكن قليلين هم من يكتشفون المنجم في داخلهم..

١

١٢

دنيا الله

فلنعترف!

في ثقافتنا الموروثة، ثمة ذم كبير للدنيا..

وسواء كان ذلك مدعوماً بنصوص دينية أو أقوال علماء أو مجرد أمثال شعبية سائدة، فإنها حقيقة.. هناك «ذم كبير» للدنيا، وهذا الذم يؤدي حتماً إلى حدوث انفصال ما، بين السعي للدنيا، وبين السعي للدين، كما لو أن هناك عداءً بالضرورة بينهما، كما لو أن الحصول على الدنيا.. يتعارض بالضرورة مع الدين..

في ثقافتنا الموروثة، ثمة فصول كاملة، من كتب مهمة أثرت فينا وفي الأجيال المتعاقبة، تتحدث عن (ذم الدنيا)، بل تتخذ من هذا عنواناً لها..

كان لا بد أن يحدث انفصال في فهمنا، بين الدنيا والدين..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

تريدون دليلاً عملياً على وجود هذا الذم في ثقافتنا؟!

نذهب إلى محرك البحث غوغل.

نكتب ذم ال...

ولا نكمل.

ستأتي النتيجة حسب عدد مرات البحث التي أدخلت في المحرك بحثاً عن هذا الذم..

وسيكون ذم الدنيا في المرتبة الأولى.. غوغل سيكتب بالنيابة عنا.. تقصدون ذم الدنيا.. لأن هذا البحث متكرر جداً..

سيكون ذم الهوى في المرتبة الثانية..

وذم الكبر في الثالثة..

والكذب في الرابعة..

تخيلوا.. ذم الدنيا في المرتبة الأولى..

والكذب في الرابعة!

تخيلوا.. ذم الدنيا
في المرتبة الأولى..
والكذب في الرابعة!

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

فلنسأل أنفسنا هذا السؤال..

كم مرة ورد ذم للدنيا في القرآن الكريم؟

غالباً ستذهب إلى غوغل أو أي محرك بحث آخر أو إلى معجم مفهرس للقرآن كي تبحث عن آيات ذم الدنيا..

أنت واثق تقريباً من وجود ذم للدنيا في القرآن الكريم، لكنك لست متأكداً من عدد مرات الذم.

لا تتعب نفسك.

ليس من ذمٍ للدنيا في القرآن.

ولا مرة..

ولا مرة واحدة جاء فيها ذم للدنيا..

كيف؟!

ماذا عن (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (الأنعام: ٣٢).. كمثال..

نعم.. هناك ذم وذم كثير للحياة الدنيا في القرآن

لكن لا يوجد ذم، ولا مرة واحدة، للدنيا.

هل هناك فرق بين الدنيا والحياة الدنيا؟

ما دام ان القران الكريم قد فرق بينهما في التعامل، فذم واحدة ولم يذم أخرى، فهذا يعني ان هناك فرقاً بالتأكيد..

لكن دعونا الان نرى كيف تعامل القران مع الدنيا؟

(ومِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (البقرة: ٢٠١)

(فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (ال عمران: ١٤٨).

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) (النساء:١٣٤).

(واكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) (الأعراف:١٥٦).

(وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ) (النحل:٣٠).

اين الذم؟!.. اين الأوصاف التي تنال منها؟!.. اين ما تعودناه من الدونية في النظرة والتحذير من الدنيا باعتبارها الفخ الذي يجب الهروب منه إذا أردنا النجاة؟

لا شيء من هذا..

على العكس، ففي الدنيا حسب هذه الآيات **ننال احياناً رحمة من الله، وهناك ثواب فيها، ثواب دنيوي غير ثواب الآخرة، وفيها ينال من يستحق (عيسى عليه السلام) ان يكون وجيهاً**، كيف سيكون وجيهاً في الدنيا إن كانت الدنيا سيئة كما يتصور البعض؟؟!..

المؤمنون – حسب هذه الآيات - يريدون **حسنة في الدنيا، كما يريدون حسنة في الآخرة.. لا** يفصلون بين هذا وذاك، كما لا يفصلون بين دينهم وحياتهم.. (وهم لا ينالون تقريعاً ولوماً على كونهم يريدون الدنيا، كما يجب ان يحدث ذلك لو كانت الدنيا حقيرة كما افهمونا)..

المؤمنون – حسب هذه الآيات - يريدون حسنة في الدنيا، كما يريدون حسنة في الآخرة ·

وهناك، وعلى نحو شديد الوضوح، وفي آيات عديدة، **الدنيا التي ينال فيها المجرم والكافر عقابه وخزيه واللعنة.. إنها موضع لإحقاق الحق والعدل إذن.. وليست داراً دائمية للباطل ولأهل الباطل كما أوحت لنا، بل كما صرحت لنا، كل تلك الأقوال التي تتحدث عن ذم الدنيا..**

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

الذم القرآني إذن مخصص للحياة الدنيا فقط.. لا يوجد أبداً وعلى الإطلاق ذم للدنيا وحدها..

اما (الحياة الدنيا) فهي التي وُجِّه لها الذم،

فهي متاع الغرور الزائل.. وهي لعب ولهو وتفاخر.. ومن يؤثرها فقد طغى ونال الجحيم

كل ما قرأناه عن (ذم الدنيا) - كان **يقصد منه التوجيه إلى الحياة الدنيا..**

وليس الدنيا..

ما الفرق؟

الحياة الدنيا هي نمط حياة متدنٍ.. نمط حياة بمعايير متدنية جداً.. قريبة من الغرائز.. حياة لا ترى أكثر من السطح.. ببعد واحد..

أما الدنيا فهي أوسع من ذلك بكثير..

الدنيا عالم ثلاثي الأبعاد..

*** ** ***

الدنيا هي موضع استخلافنا..

هي موقع الامتحان، ومادة الامتحان في الوقت ذاته. هي ما سنختبر به، وهي (دنيا) لأنها قريبة منا، قربها محيط بنا كإحاطة السوار بالمعصم.. إنها (قريبة) منا قرب وجودنا إلينا.. هذا القرب هو ما يجعلها (دنيا).. وهو أيضاً ما يمنحنا فرصة لنحقق ما خُلقنا من أجله..

(الدنيا) بهذا المفهوم، وهو المفهوم الذي حدد قرآنياً، هي فرصتنا الوحيدة لأن نكون في وضع جيد في الآخرة..

الدنيا ليست مكاناً مثالياً بالتأكيد، لكن هذا هو الامتحان بالضبط، جعل الدنيا مكاناً أفضل هو الامتحان..

الدنيا ليست مكاناً مثالياً بالتأكيد، لكن هذا هو الامتحان بالضبط، جعل الدنيا مكاناً أفضل هو الامتحان..

الدنيا هي ما نفعله نحن بها.. يمكننا أن نحقق فيها العدل كما أمرنا العدل.. ويمكننا أن نحقق فيها (مخاوف الملائكة) يوم قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) و(رهان إبليس) يوم قال (فبعزتك لأغوينهم أجمعين)..

في الحالتين الدنيا لا يمكن أن (توصم) بسمة سلبية لأننا فشلنا في جعلها أفضل.. بل إنك لن تستطيع أن تجعلها أفضل لو كنت تؤمن بأن (الصفات السلبية) أصيلة فيها.. جزء أساسي منها..

كيف ستنجح في اختبارٍ ما إذا كنت تعتقد أن مادة الاختبار (تافهة) ولا

تستحق الدراسة؟..

الدنيا هي موضع استخلافنا.. وضع الله فيها الثروات والموارد لكي يمتحننا فيها.. لكي نرى كيف نعمل.. **ذَمُّ الدنيا هو تطاول على ما خلقه الله فيها.. على سننه وخططه وتدبيره..**

إنها - كما وصفها عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم - «حلوة خضرة، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون»..[١]

يمكن لك أن تجعل خضرة هذه الدنيا وسيلة لإنهاء الجوع في العالم، تزرعها قمحاً وشعيراً ونباتاتٍ ومزروعاتٍ يُستخرج منها الغذاء والدواء..

ولكن.. يمكن أيضاً أن تستخدمها لتجعل **النبتة مخدراً يلهيك عن الواقع.. أو خمراً تسكر بها وتفجُر..**

المشكلة ليست في الدنيا.. **بل في استخدامك أنت لها..**

وكلما آمنت بإيجابيات كامنة فيها، كان أداؤك فيها أفضل..

المشكلة ليست في الدنيا.. بل في استخدامك أنت لها..

وكلما آمنت بإيجابيات كامنة فيها، كان أداؤك فيها أفضل..

وعلى العكس، **كلما كنت مقتنعاً بسلبياتها، انعكس ذلك حتماً على أدائك فيها..** وربما فضلت الانزواء.. والتهرب من الامتحان بحجة تفاهته وعدم أهميته.

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ماذا عن ذم الدنيا في تراثنا؟ وقد قلنا إن هذا العنوان يتصدر بعض الكتب المؤسسة والمهمة في تراثنا..

---

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث (٧١٢٤).

غالباً نظرة ذم الدنيا تستند على فهم بشري لم يميز بين الدنيا والحياة والدنيا في القرآن الكريم، كما أن هذه النظرة اعتمدت أيضاً على كم كبير جداً من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والتي لا أصل لها.. تكرست هذه النظرة في وقت كانت فيه الحضارة الإسلامية تمر بمرحلة ترفها التي مهدت لسقوطها.. وبدلاً من نظرة التوازن المطلوبة التي لا تحارب الدنيا بل تحارب الإسراف، حدث نوع من رد الفعل الذي يذم الدنيا بالمطلق..[٢]

وعندما دخلت الحضارة الإسلامية في غروبها، كانت هذه النظرة التي تذم الدنيا قد انتشرت بالتدريج وتكرست..

وصارت مثل علاج مسكن للألم..

لقد ضاعت الدنيا منك أيها المسلم..

لذا سيكون ذمها حلاً مناسباً لكي لا تشعر بالألم لهذا الضياع..

لم يقصد أي علماء من الذين كتبوا عن ذم الدنيا شيئاً سيئاً أو سلبياً من كل هذا..

لقد كانوا على علو مكانتهم بشراً، يصيبون ويخطئون..

وكانوا مرآة لواقع كان قد أخذ بالتدهور..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

وماذا عن دنياك يا صديق؟

فلنعترف أن القصة معقدة قليلاً..

الطريق إلى الآخرة يمر بالدنيا حتماً.

لا يوجد طريق آخر..

(٢) للمزيد عن هذا، كتاب (سيرة خليفة قادم) للمؤلف.

ليس من طريق مختصر للآخرة تتجاوز فيه الدنيا..

لكنك لا تريد فقط أن تصل إلى الآخرة على أي حال.. أنت تريد مكاناً جيداً هناك..

وهذا يحتم على مرورك في الدنيا أن يكون مؤثراً..

لا يمكنك أن تنال مكاناً جيداً في الآخرة، إلا إن كنت قد ساهمت في جعل الدنيا أفضل..

لكن هل حددت ماذا تريد من دنياك؟

هل تريدها كما هي، بكل عيوبها، بكل أخطائها.. هل تريدها فحسب دون أن تشعر أنها يجب أن تكون أفضل؟

هل قالوا لك إن الدنيا يمكن أن تكون في يدك، ولكن احرص على عدم دخولها قلبك..

هذه المعادلة مستحيلة يا صديق، فلا تشغل نفسك بها..

ليس من طريق مختصر للآخرة تتجاوز فيه الدنيا..

لكنك لا تريد فقط أن تصل إلى الآخرة على أي حال.. أنت تريد مكاناً جيداً هناك..

وهذا يحتم على مرورك في الدنيا أن يكون مؤثراً..

لا يمكنك أن تنال مكاناً جيداً في الآخرة، إلا إن كنت قد ساهمت في جعل الدنيا أفضل..

لا يمكن للدنيا أن تكون في يدك، ما لم تكن في قلبك أيضاً.. لا يمكنك أن تفوز بما لا تكترث له..

يمكن للدنيا أن تكون في قلبك أيضاً.. لا تخف من هذا.. يمكنها أن تكون في قلبك لأنها (دنيا الله).. ولأنها الطريق الوحيد لـ (آخرته).. لكن عندما تكون الدنيا كما يريدها الله، عندما تكون حسب دينه عز وجل..

لا بد لك أن تحب الطريق الذي يوصلك إلى الآخرة..

تستحق الدنيا أن نحبها، وأن نحاول أن نجعلها أفضل..

ونستحق نحن ان نؤدي دورنا فيها..

ليس من طريق اخر للنجاة في الآخرة يا صديق..

تستحق الدنيا ان نحبها، وان نحاول ان نجعلها افضل..

ونستحق نحن ان نؤدي دورنا فيها..

١٣

التدلي صعوداً!

تستحق الدنيا أن نحبها، وأن نحاول أن نجعلها أفضل..

ونستحق نحن أن نؤدي دورنا فيها..

ليس من طريق آخر للنجاة في الآخرة يا صديق..

ليس سهلاً أن ترتقي وأن تصعد إلى الأعلى..

ليس سهلاً أن تكون في القمة..

ليس سهلاً أن تتسلق الجبال الوعرة الشاهقة..

ليس سهلاً أبداً، وقد يستنزف جهدك وعمرك وكل وقتك ومالك وأعصابك..

ولكن الأصعب من كل ذلك، أن تصل إلى القمة.. فتجدها مجرد هاوية..

الأصعب من كل هذا، أن تصل إلى قمة الجبل الشاهق، ثم تلقي بنفسك منه..

قد تستغرب هذا..

لكن هذا يحدث كثيراً..

في الحقيقة، بعض الارتقاءات تكون مصممة أصلاً لهذه الغاية..

تكون مجرد صعود إلى الهاوية..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

عندما نتحدث عن شخص تمت غوايته، أو تم إغراؤه.. فإن أول غواية ستخطر في بالنا هي الغواية الجسدية..

هي تعرض هذا الشخص لإغراء جسدي من نوع ما، ضعف أمامه وسقط في التجربة..

هكذا كرس الأمر في أذهاننا..

هكذا كرس في الأفلام وفي الروايات..

الغواية، غالباً جسدية..

لكن أول غواية في التاريخ، كانت مختلفة تماماً.. لم تكن غواية جسدية على الإطلاق..

كانت غواية فكرية!

اول غواية في التاريخ
كانت غواية فكرية!

وكانت نتائج هذه الغواية حاسمة، على تاريخ البشرية..

واستمرت نفس الغواية تحدث باستمرار عبر التاريخ، بنتائج حاسمة ايضاً..

لكن لا أحد يشير إلى الأمر على انه غواية..

وكل ما نعرفه هو الحديث عن الغوايات الأخرى، ذات النتائج الأقل تأثيراً.

٣

*** ** ***

نتحدث عن غواية إبليس لادم وزوجه..

كان من نتائجها خروجهما من الجنة..

ثمن باهظ حتماً..

إنها الغواية الأكثر تكلفة، عبر التاريخ..

(يا ادمُ اسْكُنْ أنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ) (الأعراف: ١٩ - ٢٢)

﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ (طه: ١٢٠)

لكن هذه الغواية لم تكن جسدية إطلاقاً..

بمعنى أن إبليس يوم تسلل إليهما، ليأكلا من الشجرة المحرمة، لم يدخل لهما من باب الغواية التقليدية التي تأتي في الأذهان..

بل دخل إليهما من بوابات أخرى.. نجحت معهما..

ماذا كانت هذه الغوايات بالضبط؟

أن تكونا ملكين..

أن تكونا خالدين..

ملك لا يبلى..

الحالات الثلاث، تشترك في شيء واحد..

إنها تعطي وعداً بالرقي.. بالتقدم..

مجرد وهم.. لكنها تعطي هذا الوعد..

أن تصبح ملاكاً يعني أن ترتقي من جنس البشر إلى جنس الملائكة..

وأن تكون خالداً يعني أن ترتقي من جنس معرض للفناء، إلى جنس آخر، محصن ضد الفناء..

وأن تملك ما لا يبلى، يعني أن ترتقي في ملكيتك، أن تملك أكثر وأكثر وأكثر..

ثلاثة وعود بارتقاء ما، في النوع، في الطبقة..

ونجحت الخطة..

وبدلاً من الخلود والتحول إلى ملاك والملك الذي لا يبلى..

حدث الخروج من الجنة..

تقول الآية الكريمة «فدلاهما بغرور»..

أي أوقعهما فيما أراد من خديعة..

وكلمة دلاهما هنا من إدلاء الدلو.. يدلي بدلوه..

الأمر يشبه إدلاء الدلو فعلاً..

نزول تدريجي كما يتدلى الدلو في البئر السحيق.. لقد جعلهما الشيطان يتدليان إلى القاع..

أوهام الترقي بعبارات مختلفة ووعود حديثة.. ولا نزال نهب خلفها، نتدلى بغرور، بينما نتوهم الصعود إلى الأعلى.. نكتشف متأخرين جداً، أنه مجرد صعود إلى الهاوية..

هذا بينما تكون الوعود مغايرة تماماً.. وعود بأن يكونا ملكين.. أن يكونا خالدين.. أن يكون لهما ملك لا يبلى..

هذه الوعود هي الموسيقى التصويرية الملازمة، لرحلة التدلي إلى القاع.. التي يتوهمها البعض أنها رحلة الصعود إلى القمة..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

لا يزال التدلي إلى القاع مستمراً، بنفس الوعود المعسولة، تقريباً..

لم تعد الغواية اليوم تقول لنا إننا سنصبح ملائكة، أو سنحوز الخلود..

لكن الفكرة واحدة في الحالتين..

إنها أوهام الترقي بعبارات مختلفة ووعود حديثة.. ولا نزال نهب خلفها، نتدلى بغرور، بينما نتوهم الصعود إلى الأعلى.. نكتشف متأخرين جداً، أنه مجرد صعود إلى الهاوية..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ماذا يقال اليوم؟

التقدم، التنمية، الترقي، التحضر..

وهل هناك من لا يريدها؟!

وهل هناك من يرفض أن يمضي في طريق التقدم والتنمية والترقي؟

هل هناك من لا يريد أن يكون مثل تلك الشعوب المتقدمة؟

نهب إلى ما نتوهم أنه القمة، ولكننا نتدلى بغرور إلى القعر..

لا تزال غواية إبليس تصعد بنا إلى الهاوية..

*** ** ***

من المهم أن نذكر أن الاستفادة من تجارب الشعوب الأخرى والحضارات الأخرى، والاقتباس مما تقدمت به، والاستفادة منه، أمر لا يعيب إطلاقاً. بل هو في الحقيقة أمر مطلوب شرعاً، وقوله عز وجل (قل سيروا في الأرض) لم يكن لغرض التجوال فيها بالتأكيد، بل لرؤية ما هو نافع وما هو ضار من تجارب الآخرين والتفاعل مع التجارب الحضارية على نحو يزيد تجربتنا قوة ومناعة..

لكن رحلة الصعود إلى الهاوية لا تمر حقيقة عبر الاستفادة من تجارب الآخرين، بل عبر تقليدهم، عبر تقليد قشورهم، عبر أخذ ما هو سطحي وتافه وعابر واعتباره المميز فيهم..

رحلة الصعود إلى الهاوية، تحت شعارات التقدم والترقي، لا تمر عبر العلم والتقنية، والمنجزات الحقيقية للحضارات الأخرى.. فهذه الأمور ليست جذابة جداً، وتحتاج إلى الكثير من العمل وبذل الجهد..

بل تمر عبر فقاعات لامعة، يروج لها كما لو كانت مصدر النور الحقيقي في الحضارة الغربية..

البحث العلمي والجهد العلمي لا يمكن أن يكون أداة جذب وإغراء للجماهير، رغم انه جوهر ما تقدم به الغرب، لذا لا يمكنك أن تستعمل البحث العلمي كأداة إغراء وأنت تريد أن تأخذ الناس إلى هاويتهم.. يمكنك ربما أن تغريهم بنتائج هذا البحث والجهد العلميين من منتجات ورفاهية.. يمكنك أيضاً أن تقول (تقدم وترقي) ولكنك ستقدم صورة الملابس والصرعات والإباحية..

كل ما هو سطحي، ويتعلق بالمظهر، سيكون جذاباً أكثر في رحلة التدلي بغرور إلى القعر..

ستتحدث حتى عن تفتيح لون بشرتك وتبييضها، بينما تقول (ترقي وتقدم).. كل ما هو سطحي، ويتعلق بالمظهر، سيكون جذاباً أكثر في رحلة التدلي بغرور إلى القعر..

ولا يزال التدلي مستمراً..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

عندما أحدثك عن تجربة شخصية مررت بها، فإنك يمكن فعلاً أن تستفيد منها، أن تأخذ العبرة..

لكن لا يمكنك أن تستنسخها، مهما فعلت. لا يمكنك أن تأخذها بحذافيرها.. لأني ببساطة مختلف عنك، ولأن ظروفي يوم مررت بتجربتي قد تختلف كلياً عن ظروفك..

يمكنك أن تستفيد، لا أن تستنسخ.. لا يمكنك أن تنقل تجربتي كما هي، لتدخل في وعيك وذاكرتك..

وإذا كان ذلك صحيحاً مع التجارب الشخصية، فهو صحيح من باب أولى مع تجارب الحضارات..

يمكنك أن تستفيد من تجارب الآخرين، أن تتفاعل معها، أن تلاحظ ظواهرها..

لكن لا يمكنك أن تستوردها كما تستورد الكاميرات ومعاجين الأسنان..

ببساطة، لا يمكن ذلك..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

قد يقول قائل: لكننا لسنا في الجنة! ومجتمعاتنا ليست فاضلة..

بالتأكيد، **مجتمعاتنا ليست مثالية ولا فاضلة، ومجتمعات الآخرين قد تكون أفضل منها في نواحٍ كثيرة جداً..**

لكن تحسين الوضع في مجتمعاتنا لن يكون عبر استيراد ملابس تلك المجتمعات وتفتيح بشرتنا..

ولا حتى بمحاولة استيراد ما لا يمكن استيراده..

يمكنك أن تستفيد من تجارب الآخرين، أن تتفاعل معها، أن تلاحظ ظواهرها..

لكن لا يمكنك أن تستوردها كما تستورد الكاميرات ومعاجين الأسنان..

لو أردنا أن تحسن مجتمعاتنا فعلاً، فعلينا أن نخوض تجاربنا بأنفسنا.. حتى لو استفدنا من تجارب الآخرين..

لكن علينا أن نخوض تجاربنا بأنفسنا.. مسلحين بقيمنا الإسلامية الحقيقية.. بقيم القرآن الكريم..

ليس عبر أوهام الترقي والتقدم.. التي تقود إلى الهاوية..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

فلننتبه هنا..

التدلي صعوداً لا يكون فقط بشعارات اللحاق بالغرب..

يمكن أن يكون ثمة إغراء آخر، بشعارات أخرى..

شعارات تغازل كل ما فيك من حنين إلى الماضي بكل أمجاده.. مجرد شعارات توهمك أن الترقي هو أن تعيد عقارب الساعة إلى الوراء.. يقولون لك (خلافة) فتتوهم أنك سترتقي بين الأمم لتعود إلى القمة..

يمكن أن يكون ثمة إغراء آخر، بشعارات أخرى..

شعارات تغازل كل ما فيك من حنين إلى الماضي بكل أمجاده.. مجرد شعارات توهمك أن الترقي هو أن تعيد عقارب الساعة إلى الوراء..

ولأنهم لا يعرفون عن الخلافة حقاً أكثر مما تعرف أنت عن الصينية، فستجد أن مشروعهم سينتهي إلى أن يكون تدلياً إلى القاع السحيق..

أكثر من هذا: سوء مشروعهم وكوارثه، سيكون مثل دعاية مجانية، لتجميل مشروع التدلي الآخر..

قعرهم، سيجعل القعر الآخر سيبدو كما لو كان قمة!

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

وأنت يا صديق؟

بأي دلو تدليت يا صديق..

من أي مدخل دخل إبليس لك يا ترى؟

من باب الترقي والتقدم؟ من باب حريتك

بأي دلو تدليت يا صديق..

من أي مدخل دخل إبليس لك يا ترى؟

الشخصية؟ من مبدأ أنك أهم شخص في حياتك؟

أم أنك كنت أسهل من كل هذا؟!

وبدأت رحلة سقوطك بمجرد شهوة عابرة..

لا أدري يا صديق.. لا أريد أن أعرف..

لكني أرجو أن لا تكون وصلت للقعر..

وإن كنت وصلت، فأرجو أن تتمكن من التسلق..

القعر ليس مكانك يا صديق..

والقمة تنتظرك..

١٤

عقلي وقلبي!

لدينا أوهام معاصرة، عن معارك لم تحدث حقاً بين العقل والإيمان.. أو بين العقل والقلب.

ولكن لأن ثمة تأكيدات مستمرة عليها، فإننا تقريباً تعرضنا لغسيل دماغ بخصوص العلاقة بينهما.

صرنا شبه واثقين من وجود خلاف وخصومة بين طرفين..

أحياناً يقولون لنا إن الحرب بينهما باردة، وأحياناً تكون ساخنة.. وأحياناً يقال لنا إنه لا علاقة أصلاً، لأن كلاً منهما يعيش في كوكب مختلف عن الآخر..

ولكن الحقيقة أن العلاقة بين الاثنين، مختلفة تماماً عن كل هذا..

نعم هما مختلفان، لكن العلاقة بينهما مختلفة جداً عن هذا الصراع الوهمي.

❀❀❀ ❀❀ ❀❀❀

فلنتخيل الآن توأمين افتراضيين.. ملتصقين ببعضهما.. ثمة رأس واحد، وجسدان..

الرأس ملتصق بجسد، والقلب موجود في الجسد الآخر، الذي لا يلتصق به رأس.

بعبارة أخرى: هناك جسد فيه رأس، وهناك جسد فيه قلب..

لو حاولنا الفصل بينهما، فإن المخلوقين سيموتان..

لا بد من الإبقاء عليهما بهذا الشكل..

أو نقل القلب إلى الجسد الذي فيه رأس..

لا يمكن أن يعيش أحد دون هذين العضوين..

هذا المثال الافتراضي، ينطبق علينا جميعاً.. هناك من يحاول أن يوهمنا أننا

يمكن أن نفصل بين عقلنا وقلبنا، هذا وهم.. فأي إيقاف لأي منهما سيقتلنا..

العلاقة بينهما علاقة تكامل..

وليست علاقة تناحر..

والإيمان، لا يسكن القلب وحده، كما يشاع..

الإيمان لديه عنوانان.

إنه يعمل في العقل..

ويذهب ليستريح في القلب..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

هناك من يعتبر القلب موضعاً حصرياً للإيمان.

ويعتبر العقل موضعاً لغير ذلك، بل يعتبر العقل موضعاً للشكوك والتشكيك بالإيمان وكل الأفكار الهدامة..

وعلى هذا الأساس، فإن البعض يعتبر العقلانية تهمة منافية للدين، يكفيك أن تتحدث عن مكانة العقل في القرآن والإسلام، ليتهمك أحدهم بأنك (عقلاني)! وبأنك تريد أن تهدم النصوص الدينية..

كيف يحدث هذا، والإسلام هو أكثر الديانات قرباً من العقل وتأكيداً على أهميته..

للأسف القصة طويلة.. ومؤسفة..

الإيمان، لا يسكن القلب وحده، كما يشاع..

الإيمان لديه عنوانان.

إنه يعمل في العقل..

ويذهب ليستريح في القلب..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

مرتان فقط، في القرآن الكريم، تم (تعليل) نزول القرآن، أي ربط إنزاله بكلمة (لعل)..

المرة الأولى كانت في سورة يوسف، وقد كان الربط بالعقل..

(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (يوسف: ٢)

والمرة الثانية كانت في سورة طه، وقد كان الربط بالتقوى..

(وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا) (طه: ١١٣)

مرة للتقوى، ومرة للعقل..

فقط..

لا يوجد ثالث لهذين السببين..

تخيلوا الآن أن يتحدث أحد عن أهمية التقوى ومكانتها في الإسلام، فيأتي من يتهمه بأنه يروج لأفكار هدامة..

هذا لا يحدث مع التقوى بالطبع..

بينما يحدث مع العقل!

رغم أن القرآن قد أنزل من أجلهما معاً!

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

هل ستقول إن كلامنا هو عن العلاقة بين العقل والقلب.. فما علاقة التقوى؟

دعونا لا ننسى حديثه عليه الصلاة والسلام، يوم أشار إلى قلبه، وقال (التقوى ها هنا..)

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

لو استعرضنا مشتقات كلمة عقل في القرآن الكريم، لما وجدنا (كلمة عقل)

مرة واحدة، لا يوجد المصدر عقل ولا حتى مرة واحدة، كل المشتقات، وهي تكاد تبلغ الـ ٦٠، كلها في صيغة فعل.. تعقلون، يعقلون، نعقل... إلخ. كلها أفعال..

لا بد أن يكون هناك معنى في ذلك.. وحاشا لله أن يكون في كتابه ما لم يكن لمعنى وحكمة..

والمعنى واضح، أن العقل في القرآن في حالة فعل، في حالة عمل دائم، ليس في حالة جامدة، لذا لا يأتي إلا في صيغة فعل..

هذا القرآن، نزل لكي يجعلنا نعقل..

من أجل إعمال العقل!

هذا القرآن، نزل لكي يجعلنا نعقل..
من أجل إعمال العقل!

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

كيف نشأ إذن التصور بأن ثمة تناقضاً بين العقل والدين أو بين العقل والنصوص الدينية؟..

كان يا ما كان، في عهد ازدهار الحضارة الإسلامية، أن نشأ جدال: أيهما أولاً: العقل أم النقل (أي النصوص الدينية)؟

فريق ذهب إلى تقديم العقل.

وفريق ذهب إلى تقديم النقل.

والحقيقة أن الأمر لا هذا ولا ذاك.

فالعقل والنقل مثل التوأمين اللذين تحدثنا عنهما آنفاً، لا مفر من بقائهما معاً..

دون العقل، لا يمكن فهم النقل أصلاً..

فالعقل والنقل مثل التوأمين اللذين تحدثنا عنهما آنفاً، لا مفر من بقائهما معاً..
دون العقل، لا يمكن فهم النقل أصلاً..

تخيلوا شخصاً بلا عقل، هل سيفهم كلمة

مما يقال له، فضلاً عن أن يفهم النص الديني ويعرف مراده؟

وبالمقابل، فإن العقل، مثل أي آلة، يحتاج إلى كتيب استعمال، كتيب إرشادات.. ودون هذه الإرشادات سيتعرض إلى سوء الاستعمال وربما العطب.

والنقل، النصوص الدينية، تقدم دور كتيب الإرشادات للعقل.. تقدم (نظام التشغيل) كما قلنا في مرة سابقة..

إذن العلاقة متداخلة، لا غنى لأحدهما عن الآخر..

ولا غنى لنا نحن عنهما معاً..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ورغم كل منجزات العقل، وكل مكانته، إلا أن خضوعه لله عز وجل لا شك فيه بالنسبة لنا. العقل أداة تعمل في مجالات محددة، مجالات واسعة ومهمة ولكنها محددة، ولكن هناك مجالات أخرى لا يستطيع العمل فيها ليس لقصور فيه، بل لأنه ببساطة لم يخلق لها، بالضبط كما لا يمكن لجهاز الراديو أن يستقبل بث القنوات الفضائية، ليس لعيب في أدائه، بل لأنه ببساطة لم يصنع أو يصمم لهذا..

وهكذا فالعقل الذي يصول ويجول في ميادين الطبيعة وعلومها، لن يتمكن من تجاوز هذه الحدود واقتحام عالم الإلهيات.. لا يمكنه ذلك.. لا يمكنه أن يتخيل الإله أو يخطو خطوة واحدة في ذلك..

ونحن، ١٧ مرة كل يوم، نعبر عن ذلك في صلاتنا، **نركع، أي نحني رؤوسنا، والرأس هو موضع العقل، لنعبر عن خضوعنا لله، ونقول أثناء ذلك: سبحان ربي العظيم..**

والعظيم، في لسان العرب، هو الذي لا يمكن تصوره..

العقل، يرفع الراية البيضاء في هذه الحدود، حدود تصور الله..

لكنه يرفع راية النصر في المجالات التي خلق لها.. مجال الطبيعة.. العلوم

الطبيعية..

●●● ●● ●●●

في الأمثال الشعبية مثل رائع عن هذا..

الله ما شافوه بالعين. لكن عرفوه بالعقل..

وهذا هو دور العقل حقاً. أن تعرف الله وعظمته وقدرته وإبداعه اللا متناهي في مخلوقاته وخلقه. لا يمكنك أن تفهم النصوص الدينية عن عظمة الخالق إن لم يكن لديك عقل يبحر في العالم من حوله ويرى هذه النصوص مطبقة في عالم خلقه الله..

العقل، يرفع الراية البيضاء في هذه الحدود، حدود تصور الله..

لكنه يرفع راية النصر في المجالات التي خلق لها.. مجال الطبيعة.. العلوم الطبيعية..

نعم، عينك لم تر الله..

ولكن عقلك عرفه، رآه في خلقه، في جمال الطبيعة. في روعة الفجر. أمام حضور البحر لحظة الشروق، في طفل يولد للتو فتولد معه الحياة. في قلبك يدق منذ أن ولدت ولم يتوقف مرة واحدة حتى هذه اللحظة.. في عاطفة الأمومة.. في الحصاد.. في صمت الليل.. في مشاعر تتسلل إلى قلبك بالتدريج.. في أملك، في قدرتك على تحدي المستحيل..

عينك لم تره، لكن عقلك عرفه، وقلبك صدق ذلك، وآمن به..

لا يمكن لإيمان ان يكون حقاً في القلب فقط..

لا بد أن يكون هناك شيء منه في العقل..

●●● ●● ●●●

أولئك الذين يهاجمون العقل ويحطون من قدره، وهم يتصورونه خطراً على

الإيمان، لا يدركون أنهم إنما يقتلون أحد توامين..

وأن موت الثاني، مسألة وقت.. لو مات الأول.

*** ** ***

عينك لم تره،
لكن عقلك عرفه،
وقلبك صدق ذلك،
وآمن به..

لا يمكن لإيمان أن يكون حقاً في القلب فقط..

لا بد أن يكون هناك شيء منه في العقل..

نعيش في الكثير من الصراعات أحياناً في داخلنا..

بعضها تكون فعلاً بين العقل والقلب..

يميل قلبك إلى شيء، ويقول لك عقلك: مستحيل.

وأنت تعرف أن عقلك يقول الصواب، لكن قلبك يملك عواطفك.. وهو يملك تأثيراً عليك، وأحياناً على سلوكك..

أغلب البشر، يمرون في حياتهم بهذا الصراع بين ما يقوله القلب وما يقوله العقل.. ويعانون من هذا الصراع وربما يخرجون معاناتهم في أعمال إبداعية..

لكن ربما كانت قلوبنا وعقولنا **تنقصها مهارات التواصل فيما بينها..**

ربما كنا بحاجة إلى إدخالهما، العقل والقلب، في دورة لتنمية هذه المهارات، مهارات التواصل فيما بينهما..

لا، لا تحتاج إلى دفع مبلغ باهظ يا صديق.. الدورة ليست في فندق خمس نجوم..

إنها في ذلك الكتاب، الذي أنزل من أجل أن نعقل، ومن أجل نتقي، والتقوى عمل القلب..

كما لو أن الكتاب أنزل ليعقد صلحاً بين عقلك وقلبك..

عندما تعرفه، بهذا المعنى يا صديق..

عندما تنتبه انه يخاطب عقلك وقلبك، معاً، بلا تفريق..

ستجد قلبك يقول لك ذات يوم: نعم..

وعقلك يرد عليه: بالتأكيد نعم..

أغلب البشر، يمرون في حياتهم بهذا الصراع بين ما يقوله القلب وما يقوله العقل.. ويعانون من هذا الصراع وربما يخرجون معاناتهم في أعمال إبداعية..

١٥

الطريق إلى الطمأنينة

تخيل شخصاً يعاني من الأرق المزمن، يهرب من السبب الحقيقي الذي يدفعه إلى الأرق، فيقوم بتغيير نوع وسادته او لونها او نوع مرتبة السرير الذي ينام عليه..

ليس غريباً جداً، فهو يحدث، وأحياناً تعتمد الإعلانات المروجة للمراتب على هذا الأمر.. هذه المرتبة لن تشعر بالأرق معها..

كما لو ان دافع الأرق ليس في اعماقك، ليس شيئاً ما في داخلك يقلقك ويعكر نومك..

لكن الكثير من البشر يفضلون التصور أن المشكلة هي في مرتبة السرير.. او في الوسادة، لأن هذا سيوفر عليهم مواجهة حقيقة في داخلهم ربما لا يرغبون في مواجهتها..

> الكثير من البشر يفضلون الطريق الخاطئ في حل مشاكلهم..
>
> لأن الطريق الصحيح قد يمر بما لا يريدون مواجهته أو حتى معرفته..

الكثير من البشر يفضلون الطريق الخاطئ في حل مشاكلهم..

لأن الطريق الصحيح قد يمر بما لا يريدون مواجهته أو حتى معرفته..

يحدث كثيراً..

أكثر مما نتخيل..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

يعلمنا القرآن أن نواجه الحقيقة، مهما كانت مقلقة..

ان لا نهرب منها بحثاً عن تطمينات عابرة.

يعلمنا أن المواجهة، مهما كانت صعبة، فهي تؤدي إلى الحل..

إلى الطمأنينة الحقيقية..

> **يعلمنا القرآن أن تواجه الحقيقة، مهما كانت مقلقة..**
>
> **أن لا نهرب منها بحثاً عن تطمينات عابرة.**
>
> **يعلمنا أن المواجهة، مهما كانت صعبة، فهي تؤدي إلى الحل..**
>
> **إلى الطمأنينة الحقيقية..**

٥

*** ** ***

فنأخذ مثالاً منتشراً.. لكن هناك نوعاً من التكتم على انتشاره..

وهذا التكتم هو نوع من الهرب أصلاً..

أن ننكر وجود المشكلة بتقليل حجمها أو عدم الحديث عنها..

المثال المنتشر هو: الشك.

نعم.. الشك.. واقصد الشك في الثوابت الدينية..

أو حتى الشك، في الله عز وجل.

*** ** ***

يعامل الشك كما لو كان مقدمة حتمية إلى الإلحاد..

وبدلاً من مواجهة أسباب الشك ومحاربتها، فنحن نعلن غالباً محاربتنا للشك نفسه..

والشك غالباً نتيجة، وليس سبباً..

ومحاربة النتيجة، بدلاً من مواجهة أسبابها، أمر لا فائدة منه..

يشبه الأمر أن تطارد البعوض، وتحاول قتله بعوضة بعوضة، بدلاً من تجفيف المستنقع الذي يجلب كل البعوض..

فضلاً عن أن الشك، ليس طريقاً حتمياً إلى الإلحاد كما يتوهم البعض..

بل هو أحياناً طريق إلى الطمأنينة، إلى الإيمان..

*** ** ***

يضعنا القرآن في مواجهة صريحة بين واحد من أهم الرسل والأنبياء مع حقيقة كانت تقلقه..

لم يهرب منها.. لم يتهرب من مواجهتها.. لم يطلب المغفرة على القلق الذي كان يعاني منه كما لو كان إثماً..

لقد واجه الحقيقة بشجاعة الحريص على الوصول إلى الحل مهما كانت النتيجة..

الشك، ليس طريقاً حتمياً إلى الإلحاد كما يتوهم البعض..
بل هو أحياناً طريق إلى الطمأنينة، إلى الإيمان..

نتحدث عن أبي الأنبياء..

سيدنا إبراهيم، عليه الصلاة والسلام..

*** ** ***

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) (البقرة: ٢٦٠)

قال: ليطمئن قلبي..

قلبه عليه السلام لم يكن مطمئناً..

ربما لم يكن يسأل عن إحياء الموتى، ربما قلبه كان مطمئناً من ناحية قدرة الله على إحياء الموتى.. ولكنه كان يسأل عن كيفية إحياء الموتى.. قلبه كان يريد أن يطمئن من هذا..

لم يهرب من هذا السؤال..

لم يواجه عدم طمأنينته بإنكارها..

بل خاطب ربه: أرني كيف تحيي الموتى..

أولم تؤمن..

بلى، ولكن ليطمئن قلبي..

رب العزة كان يعرف الجواب، وهو العليم بما في الصدور، لكن هذا الحوار حدث ونقل لنا لكي نتعلم منه، لكي لا نهرب مما يقلقنا بعدم مواجهته، بل بكشف ما يعتمل في صدورنا وقلوبنا، كي نصل إلى العلاج.. إلى الحل..

❀❀❀ ❀❀ ❀❀❀

٥

تخيلوا شاباً في مقتبل العمر، يذهب إلى شخص أكبر منه. فلنقل يذهب إلى معلم يحترمه أو شخص من أقاربه أو حتى إمام مسجد الحي..

تخيلوه يبوح بعدم طمأنينة قلبه تجاه شيء كالذي عبر عنه سيدنا إبراهيم.. أو شيء أكبر حتى..

كيف تتخيلون رد الفعل سيكون؟

غالباً رد الفعل سيكون: اطرد هذه الوساوس، ابتعد عن أصدقاء السوء، أكثر من قراءة القرآن، ركز على المعوذتين، ولا تنس الأذكار..

هذه الأجوبة مؤكدة.. الأمر مجرب تماماً.

أي تعبير عن (عدم الطمأنينة) سيواجه في أحسن الأحوال برد فعل كهذا..

وكثيراً ما يكون هناك نوع آخر من رد الفعل.. سلبي جداً.. يواجه عدم الطمأنينة بالاتهامات والتهديدات..

رد الفعل الأول، لا يمكن وصفه بالسلبي، فقراءة القرآن والابتعاد عن أصدقاء

السوء أمور مفيدة للجميع وفي كل الحالات.. لكن رد الفعل هذا لم يكن قرآنيا بمعنى مواجهة سبب المشكلة ووضع اليد عليها..

أما رد الفعل الثاني، المتهم المهدد، فهو غالباً ما يقود إلى رد فعل أسوأ.. ويساهم في دفع من لم يطمئن قلبه إلى المزيد من عدم الطمأنينة.. وربما الإلحاد..

يحدث أكثر مما تتخيلون..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

كيف كان يجب أن يكون الجواب؟

بالمواجهة.

كما فعل سيدنا إبراهيم.. لقد اعترف بأن قلبه لم يكن مطمئناً لشيء ما..

كيف كان الرد الإلهي؟ هل جاء الرد مطالباً بالاستغفار والتوبة كما لو أن عدم الطمأنينة ذنب يجب التوبة عنه؟

أبداً..

لقد وجهه عز وجل إلى (مثال عملي)، يبرهن على قدرة الله.. مثال هو أقرب إلى التجربة العملية التي ستجعل قلب إبراهيم عليه السلام يطمئن..

بعبارة أخرى: **لقد جاء الرد موجهاً إبراهيم إلى البحث في الطبيعة.. وليس إلى المزيد من الشعائر مثلاً أو الاستغفار..** دون التقليل من أهميتهما في سياقات أخرى.

الجواب الذي تريده عن قدرة الخالق ليطمئن قلبك موجود هناك.. في الطبيعة.. في التجارب العملية العلمية.. جوهر كل النهضات ومحركها الأساسي..

الجواب الذي تريده عن قدرة الخالق ليطمئن

فليعك موجود هنالك.. في الطبيعة.. في التجارب العملية العلمية.. جوهر كل النهضات ومحركها الأساسي..

لم يكن هناك في وقت سيدنا إبراهيم آليات بحث تجريبي علمي كما اليوم..

لذا كانت التجربة بسيطة وحدث فيها تدخل إلهي مباشر..

لكن اليوم لدينا من الوسائل والآليات ما يجعلنا نغوص في الطبيعة ونتبحر في قدرة الخالق عز وجل على الخلق والإبداع..

يمكنك أن تحمل (عدم طمأنينتك) إلى الطبيعة وقوانينها، وستخبرك بالكثير مما سيزيل عدم طمأنينتك..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

٥

وقد تقول: لكن الكثير من العلماء ملحدون أصلاً!

فكيف نتأكد من أن العلم سيزيل الشكوك ويزرع الطمأنينة..

لا ضمان هناك في أي شيء..

لكن ذهابك إلى العلم وأنت مملوء بنية أن تعرف المزيد عن قدرة الخالق.. سيجعلك تقترب منه عز وجل في كل خطوة في طريق العلم.. وهو أمر يختلف عن ذهابك للعلم وفي ذهنك الاتهامات والتهديدات التي ربما قالها لك البعض، يوم عبرت عن (عدم طمأنينتك)..

يمكنك أن تحمل (عدم طمأنينتك) إلى الطبيعة وقوانينها، وستخبرك بالكثير مما سيزيل عدم طمأنينتك..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ولقد قال عليه الصلاة والسلام، في حديث صحيح، متفق عليه..

نَحْنُ أحقُّ بالشكِّ مِنْ إبْراهيم إذْ قالَ: (رَبِّ أرِني كَيْفَ تُحْيي المَوْتَى قالَ أوَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبي)..

نحن أحق بالشك من إبراهيم!

من يقول هذا؟

إنه عليه الصلاة والسلام، خاتم الرسل والأنبياء..

الحديث صحيح، بل ومتفق عليه، البخاري ومسلم!

وهو لا يقول هنا إن إبراهيم عليه السلام قد شك..

أو أنه هو - عليه الصلاة والسلام - قد شك..

لكنه يدافع عن حقنا في ذلك..

يدافع عليه الصلاة والسلام عن حقي وحقك في الشك وفي أن يقودنا هذا الشك إلى البحث وأن يقودنا البحث إلى الطمأنينة..

إنه يدافع عن حقنا في أن نعبر عن قلق ما، عن عدم الطمأنينة، عن الحاجة إلى إعادة النظر في شيء ما من أجل نظر أدق وأكثر صواباً..

كان يفكر بنا، بأجيال جاءت وهي تبحث عن يقين حقيقي يشبع جوعها..

كان يفكر بأجيال لن تقتنع بأي جواب جاهز تجده أمامها..

كان يدافع عن حقك في أن يقودك انعدام طمأنينتك، إلى الطمأنينة..

كان يدافع عن حقك في شك إيجابي.. يؤدي إلى الإيمان.

كان يدافع عن حقك في شك إيجابي.. يؤدي إلى الإيمان.

❋❋❋ ❋❋ ❋❋❋

لديك شكوك يا صديق؟

لا تنم عليها.

لا تتركها تكبر فيك بصمت.

لو تركتها، لو نمت عليها دون مواجهة، فإنها قد تنفجر فيك كما القنبلة الموقوتة..

أفضل سيناريو يمكن أن ينتج عن الترك وعدم المواجهة هو أن تستمر في أداء شعائرك بفتور، تذهب إلى الصلاة فترفع يدك وتضعها وتحرك لسانك لكن دون أن يهتز قلبك..

هذا هو أفضل سيناريو يمكن أن يحدث فيما لو نمت على شكوكك ولم تواجهها..

لديك خيار أفضل يا صديق..

خيار أن تواجه وساوسك وأفكارك.. أن تبحث.. أن تقرأ.. أن تبذل جهداً للوصول.. إن غضب البعض من أسئلتك واتهمك فستجد حتماً من يفتح قلبك له..

بالتأكيد الطريق إلى الطمأنينة ليس سهلاً..

لكن مهما شككت، لا تشك في أن الأمر يستحق العناء!

١٦

النصر على قدر الاستعداد

كلما حدثت ورطة في مواجهة غير متكافئة، تداعى البعض ليذكرونا بآية (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ) وبموقف يوم بدر الذي كان الكفار فيه يفوقون عدد المسلمين وعدتهم..

للأسف، لا تأتي النتائج غالباً كما يريد هذا البعض، ولذلك فهم بعدها يستخدمون آيات أخرى، لتخفيف نتائج هذه الورطة، أو حتى لتحويل مفهوم النصر بحيث ينطبق على النتائج الكارثية التي حدثت..

ربما علينا أن نتفحص من جديد، ما حدث حقاً في بدر، بدلاً من أن نستمر في هذه العقلية التي تقود إلى الكوارث باسم الدين وأحداث السيرة النبوية..

ربما علينا أن نركب آلة الزمن، لنذهب إلى بدر.. عام ٢ هجرية، لفهم ما حدث حقاً هناك..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

عندما يقولون لك باختصار إن المسلمين قد انتصروا على المشركين في يوم بدر رغم الفارق الكبير في العدد (٣٠٠ وبضعة عشر رجلاً وفرسان من المسلمين) مقابل (ألف رجل و٢٠٠ فرس من المشركين).. عندما تنقل لك هذه الأرقام باختصار ودون توضيح دقيق لما حدث، فإنك فعلاً قد تقتنع بما يريد إقناعك به البعض..

لكن الحقيقة ليست هكذا بالضبط..

عندما خرج المسلمون بهذا العدد، لم يخرجوا لملاقاة جيش المشركين الأكبر حجماً.. بل خرجوا لاعتراض طريق قافلة لقريش يقودها أبو سفيان..

بعبارة أخرى: عندما خرجوا من المدينة، كان عددهم وعدتهم أكبر بكثير من عدد وعدة من كان في حراسة قافلة قريش.. إذ لم يكن يزيد عدد القافلة عن سبعين راكباً..

وبعبارة أخرى أيضاً: ما كان رسول الله عليه الصلاة والسلام، سيزج المسلمين في مواجهة غير متكافئة.. على العكس لقد خرج بهم وهم الطرف الأقوى في المواجهة..

هذه النقطة مهمة جداً، **لأن البعض يكاد يسرع إلى المواجهات غير المتكافئة كما لو كانت من سنته عليه الصلاة والسلام..**

الأمر ليس كذلك أبداً..

لقد خرج الرسول عليه الصلاة والسلام، والمسلمون هم الطرف **الأكثر استعداداً..**

❀❀❀ ❀❀ ❀❀❀

فلننتبه هنا إلى أنه عليه الصلاة والسلام كان يتابع أخبار قافلة قريش.

كانت القافلة قادمة من الشام.. ولكي تصل إلى مكة، كان لا بد أن تجتاز المدينة..

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يتابع..

وجاءت الفرصة عندما أخذ أبو سفيان طريق الساحل..

لأن هذا سيجعله أقرب إلى المدينة..

لو أنه أخذ الطريق الآخر، لكان الأمر أصعب على المسلمين.. في طريق الساحل هو ضمن منطقة ضيقة يسهل على المسلمين اللحاق به..

ما كان رسول الله عليه الصلاة والسلام، سيزج المسلمين في مواجهة غير متكافئة.. على العكس لقد خرج بهم وهم الطرف الأقوى في المواجهة..

هذه النقطة مهمة جداً

لكن الطريق الآخر، سيكون مفتوحاً على نحو يصعب ملاحقة القافلة..

وكان عليه الصلاة والسلام يعرف عدد ركاب القافلة، وقائدها المهم في مكة.. وبالتالي كمية الثروات التي تحملها معها.. ويذكر الطبري بوضوح أنه عليه الصلاة والسلام كان قد ندب إلى أصحابه قلة عدد من في القافلة.. وكثرة الأموال فيها..

وهذا يعني أنه عليه الصلاة والسلام كان قد جمع المعلومات الكافية عن خصمه في هذه المواجهة..

فكيف نتخيل أنه سيزج صحبه ودعوته كلها في مواجهة غير متكافئة؟!

❋❋❋ ❋❋ ❋❋❋

لكن لِمَ هذه المواجهة أصلاً، حتى لو كان المسلمون هم الطرف الأقوى؟

ليس فقط لأن قريش كانت قد صادرت أموال المهاجرين، بل لأن مواجهة قوافل قريش إلى الشام، وقطع طريق تجارتها الأهم، في رحلة الصيف، كان ينذر بتحول موازين القوى الاقتصادية في شبه الجزيرة العربية..

وكان هذا يعني أن المدينة يمكن أن تسحب البساط من مكة في تجارة الشام.. وأن بقية قبائل العرب ستتعامل بالتدريج مع هذا الوضع على نحو يقوي المدينة ويعزز مكانتها..

هذا التفكير الاستراتيجي بعيد المدى، **لا يمكن أن يكون تفكير من يزج بنفسه وصحبه في مواجهة غير متكافئة أبداً..**

على العكس..

❋❋❋ ❋❋ ❋❋❋

الذي حدث أن أبا سفيان – الذي لم يكن سهلاً هو الآخر – علم بخروج المسلمين لقطع طريق القافلة، فأسرع بتغيير طريق قافلته والخروج من الفخ الذي كاد أن يوقع نفسه فيه..

ولكنه لم يكتف بذلك..

فقد ارسل إلى قريش يبلغها بما علم.. ويحشدها للمواجهة..

لعله كان يعلم ان الأمر أكبر من مجرد غنائم قد تسقط في يد المسلمين..

بل إنه موقع مكة التجاري الاقتصادي.. وبالتالي هيبتها ومكانتها بين العرب..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

الان وقد حشدت قريش وجاءت، فإن الأمر مختلف.

التراجع كان سيجعل الأمور اسوأ.. ليس فقط على الصعيد النفسي.. بل ربما كان سيجعل جيش قريش يتمادى ليصل إلى المدينة، بينما الخسارة في ساحة المعركة (لو حدثت) ستكون اقل وقعاً بالتأكيد..

التراجع لم يكن وارداً..

كان لا بد من المواجهة..

وقد علم عليه الصلاة والسلام، عبر جمعه للمعلومات، ومعرفته كم ينحر المشركون كل يوم أن عددهم قرابة الألف..

اي ثلاثة أضعاف عدد المسلمين تقريباً..

وهو أمر كان يجب أن يعالج..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

فلنتذكر هنا أن قريشاً لم تكن على قلب رجل واحد..

رغم كل شيء، كان هناك من كفار قريش من لا يريد أن يحارب اقاربه وابناء عمومته من المسلمين..

وكان هناك ايضاً من يرى أن الهدف من خروجهم كان حماية القافلة التي

اصبحت في مأمن فعلاً.. فلم القتال إذن؟..

بل ان احد قادة قريش، وهو عتبة بن ربيعة، كان رأيه ان يرجع جيش قريش إلى مكة وقد حقق هدفه دون مواجهة.. ما دامت القافلة قد اصبحت بعيدة وفي مأمن.

اضف إلى ذلك، ان وجود بني عبد المطلب في صفوف قريش، وقد كان ينظر لهم على انهم بطريقة ما متعاطفون مع المسلمين، وكان هذا يشكل شرخاً في صفوف قريش.. بالإضافة إلى تلك الرؤيا التي كانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأتها في مكة عن خراب كبير يصيب قريش.. انتشرت هذه الرؤيا في مكة وأزعجت ساداتها، ولعل عاتكة لم تكن قد رأت حقاً أي شيء، لكنها تعمدت أن تنشر هذا الفزع في صفوف قريش كي تساهم في منعهم من ابن أخيها.. وكان العرب يصدقون هذه الرؤى ويتشاءمون منها..

كل هذا كان يجعل الألف أقل حقاً من الف..

وكان يقلل من الفجوة (العددية) بين الجيشين..

كان يقلل من الفجوة (العددية) بين الجيشين..

الفجوة كانت عددية فقط.. على مستوى الأشخاص وعلى مستوى عدتهم أيضاً..
كانت السيوف عند الطرفين، والرماح عند الطرفين..
كل الأسلحة كانت تنتمي لنفس السياق التاريخي..
ولكنها كانت عند المشركين أكثر عدداً..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

فلنحدد هنا أمراً مهماً..

الفجوة كانت عددية فقط.. على مستوى الأشخاص وعلى مستوى عدتهم أيضاً..

بعبارة أخرى: كانت السيوف عند الطرفين، والرماح عند الطرفين.. كل الأسلحة كانت تنتمي لنفس السياق التاريخي.. ولكنها كانت عند المشركين أكثر عدداً..

بعبارة أخرى: لم يكن لدى المشركين دبابات وطائرات ومدرعات، بينما المسلمون في سيوفهم وحرابهم وخيولهم..

كان الطرفان متساويين تقنياً..

التفوق للمشركين كان عددياً فقط..

هذا الأمر مهم جداً لأن البعض اليوم، لا يراعي أن طرفي بدر كانا متساويين تقنياً متفاوتين عددياً..

وهو بهذا يروج – دون أن يدري - لمواجهات غير متكافئة وخاسرة، عبر نموذج بدر الذي انتصرت فيه الفئة القليلة..

كما لو أن فوارق اليوم عددية فقط..

❀❀❀ ❀❀ ❀❀❀

على أرض المعركة.. كان المسلمون أقوى من المشركين برغم قلة عددهم،

كيف؟

لقد كان طرف المشركين متفرقاً على نحو يقلل عدده، بينما كان طرف المسلمين متوحداً على نحو يزيد من عدده..

كان المسلمون يعرفون أنها حرب حياة أو موت.. صراع من أجل البقاء.. وكان هذا

لقد كان طرف المشركين متفرقاً على نحو يقلل عدده، بينما كان طرف المسلمين متوحداً على نحو يزيد من عدده..

يقوي عزيمتهم بالمواجهة.. بينما كان البعض في قريش يعتقد أنها مجرد قافلة تم تأمينها.. فلماذا الحرب؟..

وكانت خطوة المسلمين بالسيطرة على آبار بدر وتمركزهم فيها وحرمان جيش المشركين منها؛ خطوة تكتيكية حاسمة في المواجهة..

كل هذا قلل كثيراً من الفجوة العددية..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ثم وقف عليه الصلاة والسلام ليدعو ربه ذلك الدعاء الشهير..

(اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد أبداً).

بعد كل الاستعدادت والخطط، وقف ليدعو ربه..

أكرر: بعد كل الاستعداد والخطط، وقف ليدعو ربه..

الدعاء مهم، لكنه يأتي بعد أن تنتهي استعداداتك وتجهيزاتك.. بعد أن تفعل كل شيء..

الدعاء مهم، لكنه يأتي بعد أن تنتهي استعداداتك وتجهيزاتك.. بعد أن تفعل كل شيء..

البعض يدخل مواجهاته وامتحاناته اليوم وهو لم يفعل إلا الدعاء..

البعض يدخل مواجهاته وامتحاناته اليوم وهو لم يفعل إلا الدعاء..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ثم جاء النصر.. منحة إلهية مستحقة لمن فعل كل ما يمكنه فعله، ودخل في مواجهة محسوبة، وحاول قدر الإمكان تقليل الفجوات والفوارق بين طرفي المواجهة..

لكن مهم جداً هنا أن نفهم: ما هو النصر؟

كلمة النصر تعني اليوم في استعمالنا الدارج: الفوز، الغلبة.

لكنها لا تعني ذلك ابداً في لسان العرب..

كلمة نصر تعني العون، الظهير.. أن تنصر أخاك يعني أن تساعده.. أن تمده بالعون، هو يقوم بعمل ما، تساعده أنت فيه..

وهكذا، عندما نقول جاء النصر، فإننا نقصد جاء العون والمنحة والمساعدة لطرف بذل كل ما في وسعه، أقصى ما يمكنه..

وهكذا، عندما نقول جاء النصر، فإننا نقصد جاء العون والمنحة والمساعدة لطرف بذل كل ما في وسعه، أقصى ما يمكنه..

سواء كان شكل هذا العون في مدد من الملائكة..

او مدد بثقة في النفس وطاقة جعلت المسلمين أقوى..

الأمر واحد..

لقد جاء..

كانت المعونة على قدر الاستعداد..

النصر على قدر الاستعداد..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

كف عن لعب دور الضحية يا صديق..

لم يعد ذلك مجدياً..

يخيل لي أحياناً أنك قد أدمنت الدور..

كف عن الدخول في مواجهات تعرف سلفاً أنها خاسرة..

ربما مواجهتك الأهم الآن هي مع نفسك، مع مفاهيمك.. مع استعداداتك..

مع حقيقة انك لا يمكن أن تطلب النصر او حتى تتوقعه ما لم تراجع مفاهيمك عن كيفية الوصول له.. عن أن الله لن يمدك بالعون ما لم تعن أنت نفسك بنفسك أولاً.. عليك أن تفعل الممكن إلى أقصى حد ممكن قبل أن تمد يدك بالدعاء..

ربما بعدها..

تكون مواجهتك اللاحقة، مختلفة النتائج..

ربما مواجهتك الأهم الآن هي مع نفسك، مع مفاهيمك.. مع استعداداتك..

مع حقيقة أنك لا يمكن أن تطلب النصر أو حتى تتوقعه ما لم تراجع مفاهيمك عن كيفية الوصول له.. عن أن الله لن يمدك بالعون ما لم تعن أنت نفسك بنفسك أولاً.. عليك أن تفعل الممكن إلى أقصى حد ممكن قبل أن تمد يدك بالدعاء..

١٧

الصورة الكبيرة

كثيراً ما يحدث أن نركز على جزء صغير من صورة كبيرة..

نترك كل ما فيها.. لا ننتبه لها، ولا ننظر إلا إلى هذا الجزء..

يحدث هذا كثيراً في حياتنا الشخصية، يحدث مع من نحب ويحدث مع من نكره..

عندما نحب أحداً ما، نركز على إيجابياته، نركز على جزء معين جميل ولائق ومناسب من صورته، ونترك أجزاءً كثيرة، قد تكون غير جميلة، أو على الأقل غير مناسبة..

ويحدث أيضاً مع من نكره.. نركز على جزء سلبي منه، نضخمه على نحو يجعله يطغى على كل ما يمكن أن يكون فيه من إيجابيات.. فلا نرى فيه غير هذه السلبيات.

لا يكون الأمر واعياً في الغالب..

بل هي في الغالب **عواطفنا اللاواعية، تتحكم في تكبيرنا لهذا الجزء من الصورة، أو تصغيرنا لهذا الجزء..**

ويحدث كثيراً، أن نصطدم لاحقاً بما كنا نتجاهله.. تلك الأجزاء من الصورة التي حاولنا أن نغض أبصارنا عنها.. نكتشف فجأة متأخرين أنها تفوق بحجمها وأثرها ذلك الجزء الذي ركزنا عليه وأخذنا معه الصور التذكارية وكتبنا فيه الشعر والقصائد..

عندما نحب أحداً ما، نركز على إيجابياته، نركز على جزء معين جميل ولائق ومناسب من صورته، ونترك أجزاءً كثيرة، قد تكون غير جميلة، أو على الأقل غير مناسبة..

تنهار القصص فوق رؤوسنا غالباً.. وننتهي بجروح وكدمات وخيبات أمل..

ولو كنا حاولنا أن ننظر إلى الصورة الكبيرة ككل منذ البداية، لكانت الصدمة أقل، والكدمات أقل، والخيبة أقل..

وقد لخص الشاعر العربي كل ما قلته في بيت موجز..

وعينُ الرِضا عن كلّ عيبٍ كليلة ... وَلَكِنَّ عَينَ السُخطِ تُبدي المَساوِيا

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

إذا كانت العاطفة تتحكم في رؤيتنا لما سبق، فإن الأمر أحياناً يكون مدفوعاً بالتعود، نتعود أن نرى جزءاً صغيراً من الصورة الكبيرة، الكل يتحدث عن هذا الجزء، الكل يدقق في هذا الجزء، الكل يقيم المؤتمرات والندوات ومراكز الأبحاث لأجل هذا الجزء..

عم نتحدث؟

عن الجهاد.

للجهاد صورة كبيرة جداً..

لكن ثمة جزءاً صغيراً من هذه الصورة، تعودنا أن ننظر إليه، حتى اعتقدنا أن لا شيء غيره في الصورة.. لقد اختزلت الصورة كلها في هذا الجزء، حتى لم نعد نتخيل وجود شيء آخر في الصورة.

للجهاد صورة كبيرة جداً..
لكن ثمة جزءاً صغيراً من هذه الصورة، تعودنا أن ننظر إليه، حتى اعتقدنا أن لا شيء غيره في الصورة.. لقد اختزلت الصورة كلها في هذا الجزء، حتى لم نعد نتخيل وجود شيء آخر في الصورة.

بالضبط: صارت كلمة الجهاد مساوية تماماً لهذا الجزء من الصورة..

ما هو هذا الجزء؟

تعرفونه.. إنه ذلك الجزء الذي سيتبادر إلى أذهانكم فور أن نقول كلمة (جهاد).. أو (مجاهدين).. أو أي اشتقاق مقارب..

إنه الجزء الخاص بالعمل العسكري، بالحرب، بالسيوف والرماح والنبال والرشاشات والصواريخ، بالعدة العسكرية التي نراها في أفلام الأكشن عادة.

كلمة الجهاد ارتبطت جذرياً وعلى نحو أساسي بهذا الجزء الصغير من الصورة الكبيرة للجهاد، بالجزء العسكري منه، حتى أن الترجمة الحالية لكلمة (جهاد) في الإنجليزية هي (الحرب المقدسة)!..

حتى نحن، كمسلمين، صرنا أحياناً لا نكتفي بربط الجهاد بالجانب العسكري منه فحسب..

بل صرنا أيضاً، عندما تذكر كلمة جهاد، **نتذكر فوراً تلك الإساءات المنسوبة للجهاد** والتي يرتكبها بعض من يسمون أنفسهم (مجاهدين)..



كل الاختزالات مخلة وظالمة.

عندما تختزل شخصاً ما إلى صفة واحدة من صفاته المتعددة.. سواء كانت هذه الصفة سلبية أو إيجابية، فإن هذا الاختزال ظلم.

كل شخص هو حكاية كبيرة، مجموعة من الصفات والمواهب والعيوب والتفاعلات، واختزال كل هذا إلى صفة واحدة أمر ظالم..

كذلك المفاهيم، خاصة المفاهيم الكبيرة، اختزالها إلى جزء واحد، إلى جزء صغير منها، أمر ظالم جداً لجوانب أخرى قد لا تقل أهمية عن هذا الجزء الواحد.. وقد تزيد..

كل الاختزالات مخلة وظالمة.

لعل (الجهاد) هو واحد من أهم تلك المفاهيم التي تعرضت للاختزال والتقزيم..

لن نكذب على أنفسنا فنقول إنه لا وجود

لجهاد عسكري (وفق ضوابط حددها القرآن بوضوح) في الصورة الكبيرة للجهاد، لن ننفي وجود هذا الجزء في الصورة..

لكننا نقول فقط إن الصورة الكبيرة تتضمن أيضاً أجزاء أخرى، لم يعد أحد ينظر إليها أو يذكرها..

فلنضع كلمة (الجهاد) تحت المجهر.

كلمة (الجهاد) مشتقة من الفعل (جهد)، ويعني: بذل الجهد أو الطاقة.

هذا في الأصل اللغوي..

فهل يمكن أن نقول إن الاستخدام القرآني للفظة (الجهاد) هو الذي حدد معنى (الجهاد) بالجزء العسكري؟

هناك من سيقول ذلك ويؤكده..

وهناك بعض الآيات القرآنية تعني ذلك فعلاً..

لكن هناك أيضا شيئاً آخر..

❀❀❀ ❀❀ ❀❀❀

أول مرة تعرف خلالها المسلمون على كلمة (الجهاد)، لم يكن هناك قتال..

كانوا لا يزالون في مكة.. في المرحلة التي كانت فيها الدعوة سلمية تماماً، قبل الهجرة إلى المدينة، قبل بدر أو أحد أو أي معركة خاضها المسلمون لاحقاً..

نزلت آية، تحدثهم عن الجهاد، قبل أن يكون هناك إذن أصلاً بالقتال.. وهو الإذن الذي نزل لاحقاً قبيل معركة بدر..

أول مرة تعرف خلالها المسلمون على كلمة (الجهاد)، لم يكن هناك قتال..

كانوا لا يزالون في مكة.. في المرحلة التي كانت فيها الدعوة سلمية تماماً

ما الذي يعنيه هذا؟!

هذا يعني أن الجهاد، في المعنى الكبير له، في الصورة الكبيرة له، أوسع من مجرد القتال..

المعنى الأوسع، لا ينفي القتال..

لكنه ينفي أن نترك كل شيء، كل التفاصيل الممكنة، كل الأجزاء غير القتالية، ونركز فقط على جزء القتال..

*** ** ***

نزلت آية (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (العنكبوت: ٦٩) في مكة إذن..

كانت تتحدث عن بذل الجهد والطاقة في سبيل الله..

(جاهدوا فينا) كانت تقول الآية.. جاهدوا في الله.. ولم يكن هناك وقتها سيوف أو رماح، لكن كانت هناك دعوة، كان هناك هدم لأفكار الجاهلية وأخلاقياتها وسلوكياتها وعقائدها، وزرع لأفكار وقيم جديدة..

المعنى الأوسع، لا ينفي القتال..

لكنه ينفي أن نترك كل شيء، كل التفاصيل الممكنة، كل الأجزاء غير القتالية، ونركز فقط على جزء القتال..

ولكن مرة أخرى، الآية لا تقصر الجهاد على مفهوم الدعوة وتغيير الأفكار، بل تترك الجهاد مفتوحاً على الأفق، تقول الآية (لنهدينهم سبلنا).. السبل متعددة إذن، ليست سبيلاً واحداً لا شيء سواه، ليست فقط العمل العسكري، وليست فقط العمل الدعوي، **ولكن الجهاد هو كل عمل يبذل جهداً – في مواجهة شيء مضاد – والنية في هذه المواجهة هي لله..**

البحث العلمي والكشوفات العلمية في مختلف المجالات هي جهاد أيضاً.. ما دامت النية فيها لله، وما دامت تبذل جهداً في ذلك وتواجه شيئاً مضاداً لما

تريد تكريسه.

تقليل الفقر، محاربة الأمراض، مساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة، نشر العدل..

كلها جهاد.. كلها سبل الله، وبذل الجهد فيها، جهاد..

ما دامت النية فيها لله..

الآية الكريمة تكمل (وإن الله مع المحسنين)..

والإحسان هو المرادف القرآني لما نسميه اليوم الإبداع..

الإحسان هو تجاوز الإتقان إلى الإبداع..

والإحسان هو المرادف القرآني لما نسميه اليوم الإبداع..

الإحسان هو تجاوز الإتقان إلى الإبداع..

وكل هذه السبل، لكي تجاهد فيها، لكي تترك فيها بصمة وأثراً على العالم، تحتاج إلى إبداع.. أو كما يقول القرآن: إلى إحسان..

وهناك يكون الله معهم.. مع المبدعين.. أو المحسنين..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

نعم، ترتكب باسم الجهاد أحياناً جرائم كثيرة، كما ترتكب باسم كل المفاهيم، باسم الحرية والديمقراطية وكل شيء..

ولكن الجريمة التي مهدت لكل الجرائم التي ارتكبت باسم الجهاد كانت هذا الاختزال، كانت طمس الصورة الكبيرة للجهاد وتحويله إلى الجزء العسكري فقط..



غالباً يا صديق انت حالياً بين جهتين..

جهة تحاول غسل دماغك لكي تمارس جزءاً صغيراً من الصورة، تقول لك من خلاله إن هذا هو الجهاد، وتحاول إقناعك بموت في سبيل الله، رغم انه غالباً موت لا يأتي بنتيجة يريدها الله..

وجهة اخرى، تحاول غسل دماغك ايضاً، تجعل حياتك خالية من اي معنى او هدف.. تجعلك تخوض مع الخائضين.. تعيش، تتسوق، تلهو قليلاً، تتزوج، تنجب اطفالاً يكبرون ليكونوا مثلك.. وهكذا.. بلا هدف.

ولكن هناك جهة آخرى يا صديق..

هناك جهة ثالثة..

أن تعيش الصورة الكبيرة كلها..

أن تعيش في سبيل الله..

١

الله لم يخلقك لتموت في سبيله موتاً مجانياً لن يجلب نتيجة أفضل لعباد الله ولشرع الله وللعدل الذي يريده الله..

بل أن تبذل الجهد، في كل سبل الله، أن تكون مبدعاً..

الله لم يخلقك لتموت في سبيله موتاً مجانياً لن يجلب نتيجة أفضل لعباد الله ولشرع الله وللعدل الذي يريده الله..

بل أن تبذل الجهد، في كل سبل الله، أن تكون مبدعاً..

هناك خيار، أن يكون جهادك مما يدخل في الأفلام الوثائقية، في الناشيونال جيوغرافيك، في ترشيحات نوبل للفيزياء والكيمياء، بل في أن يكون لديك جائزة باسمك يتسابق عليها المبدعون من كل دول العالم كما يتسابقون على نوبل..

هناك خيار، أن يكون جهادك اختراعاً يغير

تاريخ البشرية، يطرح الشفاء لمرض عضال، يسهل حياة المعاقين..

لا يلغي هذا الخيار الجهادي، الجهاد الآخر بالضرورة، ولكن يتكامل معه..

هناك حياة جهاد في انتظارك، ليست في الكهوف وبين الأحراش بالضرورة، بل في حياتك اليومية العادية، ولكن عندما تعيشها لله.. تبدع فيها من اجل الله..

١٨

أقزام وعمالقة

عندما تؤمن بمفاهيم كبيرة، مفاهيم عملاقة

فإنك تصير عملاقاً بالتدريج..

فالمفاهيم التي تؤمن بها، تصير أفكارك، وأفكارك تصير بالتدريج سلوكك، وسلوكك ما يلبث أن يصير أنت، أن يصير ما يعرفك وما يعرفك الناس به..

لذلك، فالمفاهيم العملاقة، تنتج بشراً عمالقة.. أو قادرين على أن ينتجوا أعمالاً عملاقة..

بالمقابل، فإن **المفاهيم السطحية، المفاهيم القزمة، ستفعل الشيء نفسه مع أولئك الذين يؤمنون بها، ستجعلهم سطحيين،** تافهين، أقزاماً، لا ينتجون إلا ما لا يرى بالعين المجردة.. لا يتركون أثراً وراءهم..

مشكلتنا مع مفاهيمنا الدينية مزدوجة..

فهي في الأساس مفاهيم عملاقة، أنتجت أجيالاً عملاقة، وغيرت العالم وقدمت منجزات حضارية وعدالة اجتماعية غير مسبوقة..

لكننا قمنا بتقزيم هذه المفاهيم، وتسطيحها، وتقديم أكثر التفسيرات سطحية لها..

فالمفاهيم التي تؤمن بها، تصير أفكارك، وأفكارك تصير بالتدريج سلوكك، وسلوكك ما يلبث أن يصير أنت، أن يصير ما يعرفك وما يعرفك الناس به..

وكانت النتيجة، لا تسر حبيباً، وتسر عدواً بالتأكيد!

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

من هذه المفاهيم العملاقة التي تعرضت لمحاولة تسطيح وتقزيم، مفهوم العبادة.

والعبادة مفهوم مهم جداً، ولا يمكن تخيل يوم يمر في حياتنا دون أن نمر به هذه الكلمة أو مشتقاتها أو معانيها..

اليوم، لو ذكرنا كلمة العبادة، وسألنا أغلب الناس عن معناها، بل لو أننا سألنا أنفسنا، مهما كانت قراءاتنا متعمقة في الموضوع، لو سألنا أنفسنا ماذا يأتي في أذهاننا فور ورود كلمة العبادة، لكان الجواب غالباً **متعلقاً بالشعائر..**

صلاة، صيام، حج، زكاة... إلخ.

لا ننكر هنا أن هذه الشعائر هي من العبادة.

لكن ننكر جداً أن يتم ربط العبادة حصرياً بها..

وهذا هو الحاصل غالباً للأسف.

*** ** ***

فلنحاول الآن تطبيق هذا المفهوم الشعائري للعبادة، على آية قرآنية مهمة جداً في هذا الخصوص..

ولنر نتائج هذا التطبيق..

الآية هي:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: ٥٦)

عندما نربط العبادة باعتبارها صلاةً وصياماً وحجاً (فقط) بهذه الآية، فإننا سننتهي إلى اعتبار أن الهدف من خلقنا، هو أن نصلي ونصوم ونؤدي فريضة

> مشكلتنا مع مفاهيمنا الدينية مزدوجة..
>
> فهي في الأساس مفاهيم عملاقة، أنتجت أجيالاً عملاقة، وغيرت العالم وقدمت منجزات حضارية وعدالة اجتماعية غير مسبوقة..
>
> لكننا قمنا بتقزيم هذه المفاهيم، وتسطيحها، وتقديم أكثر التفسيرات سطحية لها..
>
> وكانت النتيجة، لا تسر حبيباً، وتسر عدواً بالتأكيد!

الحج..

سننتهي إلى أن الله خلقنا لكي نقوم بهذه الشعائر..

علينا أن نعترف أن هذا غريب جداً، أن يكون هذا هو الهدف من خلقنا..

رغم ذلك، فهذا الفهم شائع، وقد سمعته بأذني مرات عديدة على المنابر، حيث يقال إن الله خلقنا لكي نصلي ونصوم ولم يخلقنا لكي نكون أطباء أو مهندسين..

القصد: أن أمور تحصيل المعاش وكسب الرزق هي من باب تمشية الحال والأمور الثانوية..

لكن كون الهدف من خلقنا هو أن نصلي يبدو هدفاً غريباً على الله الحكيم العزيز.. من الصعب جداً أن تقتنع بذلك لو فكرت به حقاً..

للأسف يؤمن البعض بهذا دون بذل محاولة للتفكير.



لكن الآية تقول هذا فعلاً.

تقول (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

صدق الله العظيم.

لكن العبادة مفهوم عظيم جداً، تضم الشعائر المذكورة حتماً، ولكنها أوسع منها أيضاً..

الخطأ في فهمنا نحن..

في تقزيمنا لمفهوم العبادة، وليس في الصلاة أو الصيام ولا حتى في ربط هدف الخلق بالعبادة..

العبادة هي كل عمل إيجابي، يقصد منه الله عز وجل.

كل عمل إيجابي فيه نية لله عز وجل.

إذا كان حديث الرسول عليه الصلاة والسلام واضحاً تماماً في أن أول خطوة من خطوات الإيمان، **هي إزاحة الأوساخ من الشوارع!**

فكيف لا تكون العبادة هي **كل عمل إيجابي، النية فيه لله عز وجل..**

فلنتذكر..

عمل إيجابي.. ولله.

العبادة هي كل عمل إيجابي، يقصد منه الله عز وجل.

كل عمل إيجابي فيه نية لله عز وجل.

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

لكن، كيف وصلنا إلى أن معنى العبادة لا يقف عند الشعائر، بل يمكن أن يشمل كل ما تفعله على نحو إيجابي وتكون فيه النية لله؟

عبر آية قرآنية أخرى، أراها متممة للمعنى في آية (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) وموضحة له..

آية قرآنية، تتحدث أيضاً عن الهدف من الخلق، فإذا بها توضح لنا معنى العبادة المقصودة في الآية الأولى..

إنها الآية رقم ٣٠ من سورة البقرة.

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة:٣٠)

إنه الهدف من الخلق.

مرة (ليعبدون).

ومرة (جاعل في الأرض خليفة).

وهذا يعني أن العلاقة بين العبادة، وبين (الاستخلاف في الأرض) هي علاقة مساواة.

وهذا يقودنا إلى مفهوم عملاق آخر، تم تسطيحه وتقزيمه..

الاستخلاف!

❀❀❀ ❀❀ ❀❀❀

تخلط كثيراً بين الاستخلاف (كمفهوم عام) وبين الخلافة كمرحلة تاريخية مرتبطة بنظام حكم سياسي نشأ في ظروف تاريخية معينة..

تخلط كثيراً بين الاستخلاف (كمفهوم عام) وبين الخلافة كمرحلة تاريخية مرتبطة بنظام حكم سياسي نشأ في ظروف تاريخية معينة..

ويؤدي هذا إلى أن نعامل مفهوم الاستخلاف كما لو كان **فيلماً تاريخياً**، بديكورات تعود إلى عصور سابقة، والحقيقة أن هذا **تسطيح وتقزيم للمعنى**، فالآية التي قال فيها الله للملائكة إنه جاعل في الأرض خليفة لم تكن تتحدث بالتأكيد عن **نظام حكم**، بل عن المسؤولية الملقاة على عاتق النوع الإنساني، على أداء الإنسان لدوره (كخليفة) في إعمار الأرض وجعلها مكاناً أفضل..

الاستخلاف هو أداء دور إيجابي في هذه الأرض، ولكن مع وجود النية في أن ذلك لله.. وأن هذا العمل الإيجابي هو جزء من هذا الاستخلاف..

تقزيم المعنى العظيم للاستخلاف وتحويله إلى ديكور وإكسسوارات تاريخية، أنتج لنا **ما يستحق أن يوضع في متحف التاريخ الطبيعي من الظواهر البشرية المتطرفة التي تتوهم أنها يمكن أن تعيد التاريخ إلى الوراء بمجرد ارتداء ملابس تعود إلى ألف سنة من الآن..**

وهذا طبعاً تعبير مخفف جداً عما آلت إليه الأمور عند البعض..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

فلنتذكر أن العلاقة بين النسخة العملاقة من مفهوم العبادة والنسخة العملاقة من مفهوم الاستخلاف هي علاقة (تساوي)..

العبادة = الاستخلاف!

وهذا لا يحيد الصلاة أو الصيام أو أي من الشعائر عن العبادة..

لكنه يجعلها في مكانها الأساسي من الدائرة الأوسع التي تضم الأعمال الإيجابية التي تتغير من وقت إلى آخر، ومن مكان إلى آخر، ومن حاجة إلى أخرى..

على العكس، هذا المعنى لا يقلل أبداً من مكانة الشعائر..

فهي ستكون مثل **الداينمو الذي يمد بالطاقة لعمل بقية الأمور الإيجابية** المندرجة ضمن مفهوم الاستخلاف الذي يساوي العبادة..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

أعود لحديثه عليه الصلاة والسلام..

(الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ)..

قال لنا عليه الصلاة والسلام، ما هي المرتبة الدنيا، وما هي المرتبة العليا.. **لكنه لم يخبرنا عن المراتب السبعين بينهما..**

والسبعون هنا رقم يستخدم عند العرب للتكثير، أي أن المراتب ليست محددة بالضبط، لكنها كثيرة..

الجمع بين المرتبة الدنيا (تنظيف الشوارع) وبين المرتبة العليا (توحيد الله) سيمنحنا الفكرة عن بقية المراتب..

لم يقل لنا عليه الصلاة والسلام ما هي هذه المراتب التي تقع بين الدنيا والعليا..

لكنه بمثاله الأول عن تنظيف الشوارع، **قدم لنا النموذج الذي سيعبر عن بقية المراتب..** تنظيف الشوارع هو عمل إيجابي، وهو يعود بالنفع على الناس، وهو في الوقت نفسه عمل بسيط، يمكن لأي كان أن يمارسه دون خبرة بالضرورة..

وهذا يعني أن المراتب التالية، ستكون بنفس النموذج، **العمل الإيجابي الذي ينفع الناس، ولكن مع المزيد من متطلبات الخبرة والمهارة في هذا العمل بالتدريج..**

ربما تكون عملاً تطوعياً في محو الأمية؟ في مساعدة مرضى السرطان؟ في اكتشاف عقار جديد يعالج المرضى من مرض جديد؟ في نظرية اقتصادية تقلل البطالة؟ في محاربة الفقر..

ربما..

لكن كل ذلك سيكون تحت المرتبة الأعلى:

لا إله إلا الله.. أن تكون النية لله..

مرة أخرى:

العبادة والاستخلاف، وجهان لعملة واحدة..

عمل إيجابي.. نية لله.

> **العبادة والاستخلاف، وجهان لعملة واحدة..**
>
> **عمل إيجابي.. نية لله.**

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

تستطيع أن تكون قزماً.. وتستطيع أن تكون عملاقاً يا صديق..

لا علاقة للأمر بطولك..

بل بالمفاهيم التي تحملها في رأسك..

المفاهيم التي تؤمن بها وتتبناها وتطبقها على سلوكك..

فهذه المفاهيم هي التي ستحدد طولك الحقيقي..

وليس جيناتك التي ورثتها من والديك..

بإمكانك ان تكون مثل ناطحة سحاب يا صديق..

حتى لو كان طولك بالسنتيمترات اقل من المعتاد لأقرانك..

اختر مفاهيم عملاقة.. ولا تلتفت إلى التافه منها..

باختصار: كبر عقلك!

تستطيع ان تكون قزماً.. وتستطيع ان تكون عملاقاً يا صديق..

لا علاقة للأمر بطولك..

بل بالمفاهيم التي تحملها في راسك..

١٩

سبعة أيامٍ وسبعُ ليالٍ

نتعود على بعض الأشياء دون أن نفكر في معانيها..

وعندما نبحث عن هذا المعاني، نجد كنزاً هائلاً، نستغرب كيف لم ننتبه له من قبل..

من هذه الأشياء التي تعودناها كل جمعة، قراءة سورة الكهف، وقد جاء في الحديث الحسن

(مَن قَرَأ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْم الْجُمُعَة أضاء لَهُ النُّور مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ)* .

فما الذي في سورة الكهف تحديداً، يجعلها مناسبة لبداية أسبوع جديد؟

لا بد أن يكون ثمة شيء في الكهف.. يجعله منجماً لأسبوع جديد، يفترض أن يكون حافلاً بالمنجزات..

●●● ●● ●●●

١

في الكهف أربع قصص أساسية، قد تبدو للوهلة الأولى غير مرتبطة ببعضها.. تبدو كما لو أن مجرد ما يربطها هو أنها وردت في سورة واحدة.

القصة الأولى هي قصة الفتية الذين آمنوا بربهم في مجتمع لم يكن يؤمن بالله ولا يكتفي بذلك، بل يحارب الإيمان، انسحب الفتية إلى الكهف ليكونوا في مأمن، وقد شاء الله أن يطول مأمنهم لأكثر من ثلاثمائة سنة.. ويوم استيقظوا من نومهم كان الإيمان قد ساد مجتمعهم..

لا بد أن يكون ثمة شيء في الكهف.. يجعله منجماً لأسبوع جديد، يفترض أن يكون حافلاً بالمنجزات..

* حسنه الألباني في تمام المنة.

القصة الثانية هي قصة صاحب الجنتين، وحوار صاحبه معه، صاحب الجنتين المثمرتين كان كافراً بأنعم الله عليه، وكان رافضاً للإيمان بالآخرة.. وكان صاحبه المؤمن يحاوره ويذكره.. فلنضع هنا خطاً تحت صاحبه المؤمن، نعم كان هناك صاحبان، واحد منهما مؤمن والآخر كافر، وهناك أيضاً حوار بينهما، وهذا الكلام ليس من عندي بل هو من نص السورة.

القصة الثالثة هي قصة سيدنا موسى عندما التقى بمجمع بالبحرين بالعبد الصالح الذي تعود الناس على تسميته بالخضر، وما حدث بينهما من حوادث، انتهت بالفراق بينهما بعد تفسير العبد الصالح لسيدنا موسى كل ما لم يستطع عليه صبراً: الغلام الذي قتل دون ذنب واضح، السفينة التي خرقها، الجدار الذي لم يأخذ على إعادة بنائه أجراً..

نعم كان هناك صاحبان، واحد منهما مؤمن والآخر كافر، وهناك أيضاً حوار بينهما

القصة الرابعة هي قصة ذي القرنين، وبنائه حضارة قوية عادلة ووصوله إلى مطلع الأرض ومغربها، وتمكنه من الأسباب، والإشارة القرآنية إلى (زبر الحديد) هنا مهمة، حيث كان للحديد والتمكن من استخراجه واستخدامه أثر حاسم على تطور الحضارة الإنسانية وتقدمها إلى الأمام.. أثر لا يقل عن أثر الكهرباء والاتصالات – مجتمعين - في عالمنا المعاصر..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

اربع قصص إذن، تبدو كما لو كانت بلا رابط واضح.

بعضها لا نعرف متى حدث ولا حتى أين..

ولا يبدو ذلك مهماً.. فالمهم هو جوهر كل قصة..

ولو وضعنا كل قصة تحت المجهر.. لوجدنا أنها تشكل أطواراً ومراحل متدرجة في الحصول على القوة.. القوة التي تحمي الفكرة.. القوة التي تحمي العقيدة..

في القصة الأولى، نحن مع المرحلة الأولى، الفتية كان لديهم إيمان بالفكرة والقضية، لكن كان ذلك مجرداً عن القوة.. كانوا ببساطة في مرحلة ضعف، وكان لا بد لهم أن ينسحبوا كي يحافظوا على الفكرة.. أي نزول مبكر للفكرة، في وقت غير مناسب، كان سيؤدي إلى إجهاضها، وربما تأخير موعد نزولها أكثر وأكثر..

الفتية كان لديهم إيمان بالفكرة والقضية، لكن كان ذلك مجرداً عن القوة.. كانوا ببساطة في مرحلة ضعف، وكان لا بد لهم أن ينسحبوا كي يحافظوا على الفكرة..

وهكذا فإن **أفضل المشاريع والأهداف يمكن أن تجهض لو وضعت في البيئة الخاطئة أو التوقيت الخاطئ..** بالضبط كطفل يمكن أن يموت لو أنه ولد قبل أوانه..

كان الكهف هو الحاضنة للفتية وأفكارهم، الحاضنة التي تمنح الفكرة الوقت اللازم للنضوج.. ببساطة البيئة لم تكن مستعدة لتقبل الفكرة، وكان لا بد من حاضنة..

أفضل المشاريع والأهداف يمكن أن تجهض لو وضعت في البيئة الخاطئة أو التوقيت الخاطئ..

في القصة الأولى، كان الفتية الذين آمنوا بالفكرة، بالعقيدة، بلا قوة تحميهم، **لذا كان لا بد من عزل الفكرة، حمايتها، بدلاً من أن تتعرض للمواجهة التي ستؤدي إلى ضياعها وضياع من يؤمن بها..**

في القصة الثانية، نرى **المؤمن والكافر يتحاوران.. إذن المؤمن صار قوياً هنا..** لم يعد خائفاً على إيمانه من أن يتعرض للأذى فيما لو جهر به.. **لقد صار المؤمن والكافر ندين هنا من ناحية القوة، تمكن المؤمن من أن يمتلك القوة اللازمة ليكون صوته مسموعاً ويحاور الكافر..**

بل ها هو يحاوره ويعرض حجته.. القوتان متساويتان.. لكن المؤمن يستخدم

قوته فقط لكي يكون صوته مسموعاً.. لا يستخدمها لقتل الكافر مثلاً.. **القوة هنا هي التي تحمي المؤمن وتوفر له الحماية ليكون صوته مسموعاً وليكون قادراً على إيصال حجته بوضوح..**

المرحلة الثالثة، مختلفة.

لم يعد مهماً أن تزيد القوة في المرحلة الثالثة، بل **صار من المهم أن تكون هذه القوة حكيمة، تكون واقعية، تفهم الواقع وتشعباته ومتطلباته.. هذه المرة زيادة القوة كانت بزيادة الحكمة.**

المرحلة الثالثة وهي مرحلة نزول سيدنا موسى ولقائه بالعبد الصالح هي مرحلة تطبيق النصوص على الواقع.. وإن لم يكن هذا التطبيق **مرتبطاً بحكمة في فهم النص وفهم الواقع، فإن ذلك قد يؤدي إلى كوارث..**

فلنأخذ مثالاً من نفس المرحلة.. سفينة في البحر يعمل عليها مساكين.. حسب الشريعة لا يجب الإضرار بها.. فهذا تخريب وإيذاء للمساكين.. لكن العبد الصالح يضع فيها عيباً ما، (خرق).. يعترض موسى.. لكن فهم الواقع يقول إن هذا العيب هو الذي سيحافظ على السفينة بالذات.. لأن الملك الظالم لن يغصبها من هؤلاء المساكين بسبب هذا العيب.. لو أننا طبقنا مثلاً النص دون فهم للواقع، لكان الملك قد غصب السفينة.. وهنا يكون قد تم تطبيق النص الذي يمنع إلحاق أذى بالممتلكات، ولكن ضاعت الممتلكات.. وهكذا سيحدث مع كل نص يطبق دون فهم للواقع..

المرحلة الرابعة هي مرحلة ذي القرنين، هي المرحلة الأعلى.. لقد بنى ذو القرنين حضارة عظيمة مترامية الأطراف.. وكانت حضارة عدل واتباع للأسباب والسنن في الوقت نفسه.. اي أنها **حضارة إيمان وعلم وقوة وعدل في وقت واحد..**

حضارة ذي القرنين هي النموذج الأعلى للقوة المتوازنة المرجو الوصول إليها..

إنها ليست قوة صواريخ ودبابات، وإن كانت لا تستثني ذلك..

لكنها قوة اتباع أسباب، الحق والقوة والعدل وفهم الواقع، كلها معاً.. أوصلت لهذا النموذج الأعلى.. قمة سورة الكهف..

لقد بدأت سورة الكهف بفتية خائفين على إيمانهم.. وانتهت بذي القرنين.. صاحب حضارة قوية مؤمنة وعادلة..

*** ** ***

وهكذا تقدم لنا سورة الكهف هذه المحاور الأربعة كما لو كانت مراحل أو أطواراً لتشكل الحضارة، منذ الطور الأول الذي تكون فيه الحضارة مجرد فكرة وليدة بحاجة إلى حاضنة تحميها من الإجهاض، إلى أن تصل لتكون النموذج الأعلى الأكثر إنارة والأكثر بريقاً..

لقد بدأت سورة الكهف بفتية خائفين على إيمانهم.. وانتهت بذي القرنين.. صاحب حضارة قوية مؤمنة وعادلة..

سورة واحدة ـ تقدم لنا قصة الحضارة..

بالتأكيد ليس لأنها قصة مسلية علينا أن نسمعها لكي نستمتع بها..

*** ** ***

تقدم لك سورة الكهف كما قال عليه الصلاة والسلام (نوراً) بين جمعتين.

ما معنى هذا؟

يمكن أن يكون هذا النور، كالكشاف الضوئي.. **كالمصباح اليدوي، يمنحه إياك القرآن لكي تستكشف طريقك بين جمعتين.. لكي تعرف أين أنت بالضبط من هذه المراحل.. لكي تساهم في البدء فيها..**

سورة واحدة ـ تقدم لنا قصة الحضارة..

لكي تعرف موقعك من الإعراب.. لكي تساهم في تكوين جملة مفيدة في هذه المراحل الحضارية المتتابعة..

تراك في الكهف؟ هل أنت هناك كي تنضج فكرتك أكثر، لا تريد أن تزج بها في بيئة غير مناسبة قد تجهضها وترجعك إلى الوراء.. هل هناك من يخدعك ويشجعك على أن يخرجك من الكهف وهو يعلم أن نهايتك ستكون بذلك؟

أم أنك فقط في الكهف لأنك تريد أن تخلد إلى النوم.. لأنك اعتبرته مكاناً ملائماً لنوم طويل..

هل أنت في مرحلة صاحب الجنتين؟ هل أنت ند يناقش الآخر حتى لو كان مخالفاً لكل مبادئك؟ وهل أنت متمسك بثوابتك وبالحوار في الوقت نفسه؟ أم أنك تفضل أن تقضي على هذا الآخر بالضربة القاضية منهياً الحوار ولو أدى ذلك إلى القضاء عليك أيضاً وعلى المرحلة بأسرها؟.. أم لعلك تحاور الآخر وأنت مبهور به، وقد تخليت تماماً عن كل ثوابتك وقضيت أيضاً على المرحلة بأسرها؟..

هل أنت في مرحلة موسى والعبد الصالح؟ النزول إلى الواقع؟ أم أنك لا تزال في برج عاجي بعيداً عن هموم الناس وتطلعاتهم وهواجسهم؟

أم أنك في الواقع لكنك تخوض مع الخائضين فيه، تتركه يؤثر فيك بدلاً من أن تؤثر فيه؟

وهل تفكر بالإسهام في الوصول إلى ذلك النموذج الحضاري الأعلى؟ نموذج ذي القرنين؟ هل تحاول أن تحصل على تلك التوازنات في حياتك، هل تحاول اتباع الأسباب؟.. أم أنك قد انبهرت أصلاً بالنموذج الحضاري السائد، الذي لا شك في وجود فضائل له، وصار كل همك أن توفق بين هذا النموذج وبين مبادئك..

كل هذه الأطوار أمامك، لا يشترط دوماً أن ينتهي طور لكي يبدأ آخر، أحياناً يكون ثمة تداخل، أحياناً يكون هناك أكثر من طور في وقت واحد..

اين انت؟

اين انت؟

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

تمنحك سورة الكهف نوراً، مصباحاً يدوياً، بين جمعتين.. في سبعة أيام وسبع ليال!

خذ المصباح، ووجهه إلى أعماقك..

فتش فيها عن الطور الأكثر ملاءمة لك حالياً..

ولا تنس الأطوار الأخرى.. يا صديق!

٢٠

اختر قدرك الليلة..

قد تكونين ليلة القدر..

وقد لا تكونين..

لا ادري..

لكني اعرف اني أريد، الليلة، ان اكون شخصاً اخر، ان اكون أفضل، ان ابدأ من جديد..

لا..

لا اريد أن الغي ماضيّ بالضبط..

أريد أن اعيد صياغته.. أريده ان يكون جزءاً من مستقبلي..

نعم..

بعض ما في ماضيّ أريد أن ألغيه تماماً..

وابقي فقط على الندم والحسرة.. كي يمنعني ذلك دوماً من العودة إلى القاع..

بعض ما في ماضيّ أريد أن ألغيه تماماً..
وابقي فقط على الندم والحسرة.. كي يمنعني ذلك دوماً من العودة إلى القاع..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

قد تكونين ليلة القدر..

وقد لا تكونين..

لكني اريد لقدري أن يولد الليلة، بين أحضان ليلة القدر..

أتذكر قول عمر بن الخطاب، يوم امر الصحابة أن لا يدخلوا مدينة فيها وباء،

فسألوه: انفرّ من قدر الله؟

فأجابهم: نفرّ من قدر الله إلى قدر الله..

اريد لنفسي ان افرّ من قدر الله، إلى قدر الله،

اريد ان اختار قدراً يرضاه الله لي،

قدراً هو جزء من «إني جاعل في الأرض خليفة».. جزء مما اراده الله لي ان اكون..

ثمة اقدار كثيرة كما تعلمون..

وفي ليلة القدر، نساهم في الاختيار..

نقرر بدعائنا، اين نريد حقاً أن نكون..

اريد لنفسي ان أفرّ من قدر الله، إلى قدر الله،
اريد ان أختار قدراً يرضاه الله لي،
قدراً هو جزء من «إني جاعل في الأرض خليفة».. جزء مما أراده الله لي أن أكون..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

قد تكونين ليلة القدر..

وقد لا تكونين..

لا ادري..

لكني أحاول أن ألملم شتات نفسي..

احاول ان ارمم شظايا روحي..

احاول ان اركز..

ان أستجمع كل ذرة من ذرات كياني ووجودي..

كل خلية عصبية.. كل نبض في كل شعيرة دموية..

ان استشعر بك تسرين في عروقي وشراييني واوردتي..

ربما ليست ليلة القدر..

لكن مجرد محاولتي أن استشعرك تجعلني أكثر قرباً منك..

ربما ليست ليلة القدر حقاً..

لكن، الآن فقط، في خضم تركيزي،

في محاولتي أن استجمع نفسي المتشظية،

أجد معنى قوله عليه الصلاة والسلام أن «تحرّوها».

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

تحرّوها..

لا تعني أن تتحرّاها بأن تنظر في السماء،

أو في نشرة الأنباء..

بل ستتحراها في نفسك بالتأكيد..

أن تشعر أنها هي، شيء يقول لك إنها هي، هذه المرة شيء ما في داخلك، في خشوعك، في دموعك، يقول لك إنها هي.. بمعزل عن الفردي والزوجي في أيام رمضان.. قلبك دليلك هذه المرة، وفي ليلة القدر بالذات لا تملك إلا أن تصدق قلبك..

تحرّوها..
لا تعني أن تتحرّاها بأن تنظر في السماء،
أو في نشرة الأنباء..
بل ستتحراها في نفسك بالتأكيد..

أفهم الآن «التمسوها»..

أن أطلب لمسها..

وعندما تطلب لمسها، فإنك تعلم جيداً أن عليك أن تكون في أفضل حالاتك..

لن تجرؤ على (محاولة اللمس) إن لم تكن كذلك..

وبكلمة افضل حالاتك.. فاني اعني على الأقل ان تحاول ذلك..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ربما تكونين ليلة القدر..

وربما لا..

لا أعرف..

لكني أعرف أنك حتماً ليلة من ليالي العمر المحسوبة..

أذكر كيف كان يتحادث بعض الزملاء يوماً ما..

قبل نحو عقدين من زمان مضى ولن يعود،
عن رحلة نهرية في دجلة،

وعن مطرب ما وفرقته يصدحان،

قالوا يومها إنها كانت (ليلة من العمر)..

كنت في الجوار..

أسمع دونما تلصص..

وصدمت!.. (ليلة من العمر)!

> ليس من (ليلة من العمر) إلا عندما يقود (ليلكِ) إلى (الفجر) حقاً.. إلى منعطف للضوء في رحلة حياتك..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ليس هناك (ليلة من العمر) إلا عندما تبحر في ذلك النهر الصاعد إلى أعالي الروح..

ليس من (ليلة من العمر) إلا عندما يصاغ عمرك من جديد..

ليس من (ليلة من العمر) إلا عندما يقود (ليلك) إلى (الفجر) حقاً.. إلى

منعطف للضوء في رحلة حياتك..

ربما ليست الليلة ليلة القدر..

وربما نعم، هي ليلة القدر..

لكن من قدر ليلة القدر أن تبقى هكذا،

زئبقية الطبيعة، نبقى نتوق لها،

من قدر ليلة القدر
أن تبقى هكذا،
زئبقية الطبيعة،
نبقى نتوق لها

نتلمسها، نتحراها.. تلمسنا، تحررنا، نذوق شيئاً ما نقسم أننا نعرفه ولا نعرفه..

نكون واثقين لبرهة كالأزل.. ثم نقول ربما لا..

ربما هناك قمة أعلى.. ربما لم تكن ليلة القدر..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

قدر (ليلة القدر) أن لا تكون واثقاً منها..

قدرها أن تتلاءم تماماً مع سلبيات الطبيعة البشرية.. في الكسل والاتكال..

لو حددت بوضوح.. في ليلة واحدة محددة بعينها، **لاجتهد الجميع في التعبد في تلك الليلة فحسب..** وتركوا بقية الليالي.. إنها طبيعة البشر..

لذا تبقى زئبقية..

تبقى مثل غزال شارد..

تسيل لعاب الروح والتوق المستديم إلى المزيد المستحيل.

قد تكونين ليلة القدر..

وقد لا تكونين..

لكن هذا جزء من تعريفك..

أن لا نكون متأكدين!

ليلة القدر، ربما الليلة.. وربما لا..

.. إنها الليلة التي منحت فيها البشرية خيارها الأخير في أن يكون لها خيارها الصحيح

إنها الليلة التي منحت فيها البشرية، بوصلتها النهائية الأخيرة الخاتمة..

القرآن الكريم، الذي نزل في ليلة القدر.

❋❋❋ ❋❋ ❋❋❋

ولماذا سميت ليلة القدر بـ (ليلة القدر)..

يقال إن ذلك من أجل قدرها، مكانتها، فهي ليلة القدر، ليس أي قدر، بل القدر.. بالتعريف، المكانة الأعلى.. إنها الليلة التي أنزل فيها القرآن، لذا فهي صاحبة المكانة الأعلى..

ويقال أيضاً إن ذلك من أجل أن فيها يكتب ما سيقدر في تلك السنة.. أي الأقدار..

والقولان لا يستندان على حديث شريف بل على تفسيرات وأقوال لعلماء..

هل لنا أن نجمع بين القولين؟ بين نزول القرآن، وتقدير ما سيحدث؟

ربما..

فلنتذكر (نفرّ من قدر الله إلى قدر الله)..

فلنتذكر أن ثمة مفترقات طرق كثيرة، وخيارات كثيرة، وأقدار كثيرة، كلها أقدار الله..

في هذه الليلة، ليلة الأقدار، سنجعل من الكتاب الذي أنزل في هذه الليلة، يساعدنا على أن نختار، أي قدر سنختار.. أي قدر سندعو به..

القرآن، هو الكتاب الذي يعلمك أي طريق تختار عندما تكون في مفترق الطرق..

إلى أي قدر من أقدار الله تفر..

سلام هي حتى مطلع الفجر..

بالتأكيد.. حتى لو كانت نشرات الأخبار تحمل أخباراً عن قتلى وضحايا..

لأن السلام ببساطة، لا يعني (السلم) (عدم وجود حرب) كما يفهم اليوم على نحو واسع، بل تعني ببساطة (الخلو من العيوب)..

سلام هي حتى مطلع الفجر..

> القرآن، هو الكتاب الذي يعلمك أي طريق تختار عندما تكون في مفترق الطرق..
>
> إلى أي قدر من أقدار الله تفر..

السلام بمعنى التخلص من العيوب..

في هذه الليلة.. ربما أهم دعاء ندعوه يجب أن يكون موجهاً لعيوبنا..

أهم ما يمكن أن نطلبه هذه الليلة هو أن نتخلص من آفاتنا وعيوبنا وأمراضنا، سواء تلك التي يعلمها الجميع أو التي سترها الله..

وسيتطلب ذلك أن تواجه نفسك، بكل عيوبها، بصراحة من لا يملك إلا أن يعترف لأنها فرصته الأخيرة في التخلص من أمراضه..

سيكون ذلك صعباً بلا شك..

لكن من قال إن الوصول إلى السلام سهل؟

سلام، هي، سلام صعب أحياناً، حتى مطلع الفجر..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

وليس غريباً أن يكون الدعاء المأثور هذه الليلة هو

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني..

والعفو، هو المحو، والطمس..

انت لا تسأل الله هنا المغفرة فحسب..

انت تسأله محو وطمس ذنوبك كما لو انها لم تكن..

بالتأكيد..

أنت هنا لا تريد ان تفتح صفحة جديدة..

بل تريد ان تبدأ بكتاب جديد!

❋❋❋ ❋❋ ❋❋❋

عما قليل، يبدأ الثلث الأخير من ليلة قد تكون ليلة القدر..

وقد لا تكون..

مدهش كيف يتكثف العمر في ليلة، والليلة في ثلث،

مدهش كيف يتلخص التنفس في شهقة، وتتركز حياتك في لحظة..

لحظة واحدة ترتقي فيها إلى الأعالي..

مدهش كيف يمكن للأبد ان يبدأ في ليلة، وان تشعر به وهو يبدأ..

..مدهش كيف تتقاطع الأشياء، تتداخل العوالم

تتلاحم الأكوان، في ليلة واحدة.. فيها يفرق كل أمر حكيم..

مدهش كيف لا أجد شيئاً أقوله عن الليلة التي قد تكون وقد لا تكون الليلة،

إلا قصيدة صغيرة لشاعرة عراقية عملاقة*،

مدهش كيف يتكثف العمر في ليلة، والليلة في ثلث،

مدهش كيف يتلخص التنفس في شهقة، وتتركز حياتك في لحظة..

لحظة واحدة ترتقي فيها إلى الأعالي..

* هي الشاعرة لميعة عباس عمارة.

صابئية لكنها نشأت في محيط ثقافة إسلامية.

قالت:

كل ليالي العمر تصغر

.. إلا ليلة القدر

!.. ليست تصغر

نعم

..

كل ليالي العمر تُصغر

إلا ليلة القدر

وقد تكون الليلة

وقد لا تكون

اختر قدرك الليلة..

اختر قدراً من أقدار الله تفر إليه الليلة بدعائك..

اختر ما تريد أن تحققه وأن تكونه.. وليكن مناسباً لما خلقك الله من أجله..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ولأنها قد تكون ليلة القدر، فأقول لك يا صديق..

اختر قدرك الليلة..

اختر قدراً من أقدار الله تفر إليه الليلة بدعائك..

اختر ما تريد أن تحققه وأن تكونه.. وليكن مناسباً لما خلقك الله من أجله..

وأقول لك أيضاً.. لا تنس أن تدع لي في سجودك.. فأنا سوف أدعو لك..

أو أقول لك: ادع لي حتى لو لم أدع لك!

افعلها لله، بلا مقابل، في ليلة ربما تكون هي ليلة القدر..

٢١

الوجه الآخر من الحكاية

لكل حكاية أوجه متعددة، كل يرويها من وجهة نظره، من الزاوية التي رآها وشهد أحداثها..

وأحياناً يسود وجه واحد لهذه الحكاية، وينتشر، ويعرفه الكل ويقتنعون به، حتى لا يعود في إمكانهم تصور وجود وجه آخر لها، بل قد يستغربون هذا الوجه الآخر ويستنكرونه ويدافعون عن الوجه الذي عرفوه..

وأحياناً لا يوجد تناقض حقيقي بين الوجه المنتشر للحكاية والوجه الآخر لها، بل ربما يوجد تكامل، ربما كل وجه يكمل الآخر ويعطي الحكاية كلها روعتها وأثرها الكبير..

لكن الإنسان كما تعلمون عدو لما يجهل..

هذه المرة، سنحاول أن نكون أصدقاء لما نجهله ولكن يجب أن نتعرف عليه..

هذه المرة، سنحاول أن نحط على النصف الآخر من القمر الذي لا يواجه الأرض..

هذه المرة سنتعرف على الوجه الآخر من الحكاية..

فلنتذكر: الوجه الآخر من الحكاية، الذي سنتعرف عليه، لن يلغي بالضرورة الوجه الذي تعودناه

بل غالباً سيكمله..

الوجه الآخر من الحكاية، الذي سنتعرف عليه، لن يلغي بالضرورة الوجه الذي تعودناه بل غالباً سيكمله..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

تعرف التقوى عادة بأنها: **امتثال أمر الله واجتناب نهيه، فالمتقون هم: الذين اتقوا بفعل ما أمرهم الله، وترك ما نهاهم عنه.**

ويقال ايضا «لا يبلغ العبدُ حقيقة التقوى حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس».

وهذا كله لا جدال فيه..

ولكن الوجه المنتشر للحكاية، جعل من هذا التعريف **محصوراً بالامتثال بنوع معين من الأوامر، والامتناع عن نوع معين من النواهي..**

الوجه المنتشر من الحكاية يحدد الأوامر على نحو شديد المباشرة، مثل: الشعائر، الصلاة، الصيام، الأذكار، النوافل..

والنواهي يحددها على نحو شديد المباشرة أيضاً: الخمر، الزنا ومقترباته وكل ما يؤدي إليه، السرقة.. وهكذا..

الوجه المنتشر يطبق هذا التعريف للتقوى على هذه الأوامر والمنهيات، وهي أوامر ومنهيات حقيقية..

لكن المشكلة أنه يتعامل معها **كما لو كانت هي كل الأوامر وكل المنهيات..**

هذه هي مشكلة الوجه المنتشر من الحكاية..

إنه يقدم التقي لنا بصورة الذي يصلي على الوقت ويصوم بإتقان ويكثر من النوافل، ويذهب إلى البعد الأقصى الأبعد من كل منهيات الخمر والزنا والسرقة وما شابهها..

لكن..

هناك أيضاً أوامر ومنهيات أخرى، سقطت سهواً من هذا الوجه المنتشر من الحكاية..

وسنجدها في الوجه الآخر من الحكاية..

أوامره عز وجل تشمل كل ما سبق، ولكنها أيضاً تشمل العمل، تشمل الأخذ بالأسباب، تشمل إعمار الأرض، تشمل رعاية كل ما استخلفنا فيه في الأرض.

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

أوامره عز وجل تشمل كل ما سبق، ولكنها أيضاً تشمل العمل، تشمل الأخذ

بالأسباب، تشمل إعمار الأرض، تشمل رعاية كل ما استخلفنا فيه في الأرض.

ومنهياته عز وجل، تشمل كل ما سبق من زنا وسرقة وكذب وشرب خمر، ولكنها تشمل أيضاً الكسل، تشمل أيضاً عدم العمل، تشمل البطالة، تشمل أن تبقى حيث أنت، بينما العالم كله يتقدم ويخلفك وراءه..

الوجه الآخر من الحكاية لا يلغي أن التقوى تشمل الصلاة والصوم والنوافل وتشتمل تجنب الزنا والخمر والكذب والسرقة، لكنها تشمل أيضاً أن لا تدع الآخرين يسرقونك أو يتفوقون عليك.. تشمل أيضاً أن تعمل لتحقق ما أراده الله منك..

النصف الآخر من القمر لن يلغي بالتأكيد نصف القمر الآخر المواجه لنا..

لكنه قد يكون أكثر إشعاعاً وإضاءة..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

تقول الآية الكريمة «وتزودوا فإن خير الزاد التقوى».

كلنا نعرف هذه الآية وكلنا سمعناها بالتأكيد..

ولكن، كلما سمعنا، فإن الصورة الذهنية للتقوى، لخير الزاد، سترتبط بالوجه المنتشر من الحكاية، بالتقوى باعتبارها الامتثال لأوامره عز وجل في أداء الشعائر والبعد عن المنهيات مثل الزنا والخمر... إلخ.

لكن لو تأملنا في سبب نزول هذه الآية بالتحديد، لوجدنا أنفسنا نحط على النصف الآخر من القمر..

وسنجد وجهاً آخر، شديد الإضاءة والتميز..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

جاء في سبب نزول الآية في حديث في صحيح البخاري عن ابن عباس «كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَحُجُّونَ وَلاَ يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ، فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ

سألوا النّاس، فأنْزَل الله تعالى: (وتزوّدوا فإنّ خيْر الزّاد التّقوى).

إذن كانت هناك مجموعة من المسلمين، يمضون في طريق الحج الطويل من اليمن إلى مكة، من دون أن يتزودوا بالحاجة التي لا بد منها من الماء والغذاء، ويدعون هذا توكلاً، ويعتمدون على ما يسألونه الناس في الطريق إلى مكة وفي مكة عند وصولهم لها..

الآية لا تصحح مفهوم التوكل فقط، بل تصحح مفهوم التقوى.

الحج، ومن يحج إلى بيت الله، يفترض به أن يكون تقياً، على الأقل هو يؤدي ما فرضه الله عليه..

الآية تقول لنا إن التزود تقوى أيضاً، إن **الأخذ بالأسباب تقوى أيضاً، وإن الأخذ بالأسباب لا يقل أهمية عن أداء الشعائر، وأنهما يجب أن لا يتعارضا وألا نضع كل منهما في خانة منفصلة أصلاً..**

الشعائر أمر منه عز وجل..

والأخذ بالأسباب أيضاً أمر منه عز وجل..

والالتزام بالأمرين، في الحالتين، يصب في التقوى..

> الشعائر أمر منه عز وجل..
> والأخذ بالأسباب أيضاً أمر منه عز وجل..
> والالتزام بالأمرين، في الحالتين، يصب في التقوى..

هذا هو الوجه الآخر من الحكاية، الوجه الذي سقط سهواً، عندما حدثونا عن التقوى.

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ولو طبقنا الوجه الآخر من الحكاية على أي آية ترد فيها لفظة التقوى، لوجدنا المعنى يتوهج ويزداد عمقاً، دون أن يتناقض أو يتعارض مع المعنى السائد..

فلنأخذ آية معروفة ومتداولة جداً، ولنحاول المقارنة بين وجهي الحكاية في فهمها..

(ومَنْ يتَّقِ اللهَ يجعلْ لهُ مخرجا) (الطلاق: ٢)

الآية تفهم على نطاق واسع بأن من يكون في ضيق أو مشكلة، عليه أن يتقي الله بأداء المزيد من الشعائر والنوافل، ويمتنع عن المزيد من المعاصي والمنهيات، وهناك، فجأة، سيجعل الله له مخرجاً من حيث لا يحتسب.

بالتأكيد أداء الشعائر والنوافل والامتناع عن المعاصي أمر إيجابي دوماً وفي كل الأحوال..

لكن ماذا عن الوجه الآخر من الحكاية؟ ماذا عن التقوى بمعنى الأخذ بالأسباب التي خلقها الله؟ ماذا عن التقوى بمعنى الامتناع عن الكسل والركود والبقاء حيث أنت؟

ان تتقي الله بمعنى ان تفعل كل ما بوسعك، ان تأخذ بكل أسبابه، أن تفعل الممكن إلى اقصى الممكن، وأن تقوم أيضا بالشعائر والامتناع عن المنهيات، أن تلتزم بوجهي الحكاية دون تقصير في أي منهما..

فكر بالأمر: **ان تتقي الله بمعنى ان تفعل كل ما بوسعك، ان تأخذ بكل أسبابه، أن تفعل الممكن إلى أقصى الممكن، وأن تقوم أيضا بالشعائر والامتناع عن المنهيات، أن تلتزم بوجهي الحكاية دون تقصير في أي منهما..**

هنا سيكون المخرج الذي يجعله لك الله، منسجماً مع فهمك المتكامل، وفعلك الذي لم يقتصر على أداء الشعائر في انتظار المعجزة من السماء..

كل ما لدينا الآن هو التقوى..

التقوى بوجهيها.. لا بوجه واحد..

حياتك، حياتنا، يا صديق هي رحلة..

رحلة من المهد، إلى اللحد، مروراً بأشياء كثيرة، ومحطات مختلفة..

أحياناً يبدو كما لو أن الطريق هو الذي يقود رحلتنا..

وأحياناً نستطيع أن نتحكم في الاتجاه، في السرعة، في الخيار في مفترقات الطرق..

حياتنا رحلة يا صديق، فيها الربح وفيها الخسارة، فيها الغدر وفيها الخيانة، فيها معارك تنتصر فيها، وحروب تخسر فيها، فيها أصدقاء حتى الأعداء أشد حناناً منهم عليك، وفيها أصدقاء حقيقيون، أشد حناناً حتى من أهلك عليك..

حياتنا رحلة يا صديق، لا خيار لنا في الرحلة، منذ أن تولد، منذ أن تدخل في هذه الدنيا، وهناك تأشيرة سفر لا يمكنك أن تلغيها.. هناك سفر عليك أن تقوم به..

في هذه الرحلة، يمكنك أن لا تتزود بشيء مهم، تترك الأمر لما ستجده في الرحلة، دونما تخطيط..

قال عليه الصلاة والسلام وهو يشير إلى قلبه الشريف: التقوى ها هنا..

والقلب كما تعرفون، مكون من نصفين.. يكمل أحدهما الآخر..

وهذه هي التقوى حقاً، وجهان متكاملان للحكاية..

ويمكنك أيضاً أن تأخذ معك خير الزاد.. التقوى..

لكن تذكر، وجه واحد من التقوى لن يكون خير الزاد حقاً..

خير الزاد، الزاد الذي يوصلك لما تريد في رحلتك.. يكون عبر الوجهين..

نعم، أداء شعائر وامتناع عن منهيات.. ولكن أيضاً أخذ بالأسباب وامتناع عن الكسل والقعود..

قال عليه الصلاة والسلام وهو يشير إلى قلبه الشريف: التقوى ها هنا..

والقلب كما تعرفون، مكون من نصفين.. يكمل أحدهما الآخر..

وهذه هي التقوى حقاً، وجهان متكاملان للحكاية..

نصفان يتكاملان مع بعضهما..

ولا فائدة حقاً في نصف قلب.. نصف القلب لا يمكن أن يدق أو ينبض، لا بد من نصفين..

لا بد من الوجه الآخر للحكاية..

٢٢

العالم من ثقب الباب

تخيل انك تتحدث عن شخص ما، إنسان صديق لك، فلا تتحدث إلا عن جزء منه..

تخيل ان تتحدث عن ذراعه فقط، او عن يده.. أو أذنه..

سيبدو ذلك غريباً وهو لا يحدث.

لكنه يحدث كثيراً، ولكن ليس عن جزء عضوي من الإنسان.. يحدث كثيراً أن نختزل الأشخاص إلى صفة معينة واحدة فيهم..

نقول عن شخص ما إنه عصبي أو حاد المزاج..

وهو كذلك فعلاً، لكنه كذلك واكثر، هو عصبي وحاد المزاج، ولكنه أيضاً حنون، كريم، ولديه صفات إيجابية كثيرة أخرى.. كما له أيضاً سلبيات أخرى.

لكننا، لأسباب كثيرة، نركز على صفة واحدة فقط.. ونتقبل ذلك..

رغم أن الأمر نفسه لا يكون منطقياً.. عندما نختزل الإنسان إلى جزء عضوي منه..

فلمَ نتقبل الاختزال إلى جزء سلوكي.. ونرفض الاختزال إلى جزء عضوي؟

في الحالتين الاختزال غير منطقي..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

للأسف بعض هذه الاختزالات التي نمارسها تعتقل الشخص الذي نختزله في تصنيف يصعب عليه التخلص منه.

يقتنع هذا الشخص تدريجياً بالتصنيف، يقتنع انه هويته، وانه يتعرف بها، وأن هذا هو التصنيف الملائم له، وانه يضم حقيقته الشخصية، أو انه يضم أبرز ما فيه..

بالتدريج قد تضمر بعض صفاته الاخرى، التي قد تكون فيها إيجابيات مهمة، لكن لأنها تم تجاوزها في التصنيف، فهي تصبح اقل اهمية.. وبالتالي يقل استعمالها، ومثل كل شيء يقل استعماله، تضمر، تضمحل، وتتعطل نهائياً..

امر سلبي جداً، قد يساهم فيه معظمنا دون شعور، تجاه الآخرين..

واحياناً، حتى تجاه انفسنا..

*** ** ***

المؤسف أكثر في الأمر ان هذا يحدث باسم الدين.

وكل ما يحدث باسم الدين، يمتلك سلطة أكبر، وسطوة أكبر، وبالتالي نتائج أكبر..

ورغم ان ديننا يدعو إلى الإنصاف في التعامل مع الناس حتى لو كان تعاملهم سلبياً معنا

(وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) (المائدة: ٩)

إلا اننا، وبسبب من فهمنا الخاطئ للدين، كثيراً ما ننجر إلى تعميمات واختزالات وتصنيفات خاطئة للكثير من البشر حولنا..

اتحدث عن تصنيف منتشر جداً نضع فيه الكثيرين ونعتقلهم في داخله..

إنه تصنيف (اصحاب المعاصي).

*** ** ***

لو اننا وضعنا كلمتي (أصحاب المعاصي) للبحث في أي من محركات البحث التي تبحث في القرآن الكريم والحديث النبوي، لجاءت نتيجة البحث صفراً.

هذا التعبير لم يرد أبداً في اي حديث شريف، في أي آية قرآنية كريمة..

بالتأكيد هناك (معاصي) وكبائر، وهناك بشر يقومون بفعلها، وفعلهم مستنكر

ومستهجن وله عواقبه، ولكن هذا التصنيف، أصحاب المعاصي، الذي يختصر هؤلاء البشر إلى معصيتهم وفعلهم لها، غير موجود..

ليس من العدل مطلقاً أن تختزل إنساناً ما بمعصية يفعلها..

وما أكثر ما نفعل ذلك. فلان يشرب، فلانة غير محجبة، فلان يفعل كذا.. وأحياناً يكون التصنيف بناء على أمر لا يوجد نص شرعي في تحريمه، وإنما قد يكون مستهجناً اجتماعياً فحسب.

ليس من العدل مطلقاً أن تختزل إنساناً ما بمعصية يفعلها..

ما أكثر ما نختصر شخصاً بمعصية يفعلها، ربما هو يفعلها فعلاً، بل ربما هو يجاهر بها، لكن هل يمكن اختصاره بها؟ هل سجله خالٍ إلا من هذه المعصية؟ هل اطلعنا على سجله ووجدناه خالياً حقاً؟ أم أننا نسارع إلى وصم الناس بأقرب تصنيف سلبي يعطينا الشعور بأننا أفضل منهم؟!

ربما هم بحاجة إلى التوبة..

ونحن بحاجة إلى العلاج!

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

كل إنسان هو عالم كامل، عالم مليء بإيجابيات وسلبيات، حكايات مرة وأخرى حلوة، صراع بين الخير والشر، فوز للخير هنا وربح للشر هناك..

كل إنسان هو عالم كامل، عالم مليء بإيجابيات وسلبيات، حكايات مرة وأخرى حلوة، صراع بين الخير والشر، فوز للخير هنا وربح للشر هناك..

كل إنسان في روحه لا يزال ثمة نفخة من الله عز وجل..

وفي الوقت نفسه، يجري منه الشيطان مجرى الدم..

> **لا يمكنك أن تفهم العالم من حولك، لو نظرت إليه من ثقب الباب.. ناهيك عن أن تساهم في تغييره.**
>
> **كذلك هو الإنسان، إنه عالم كامل، لا يمكنك أن تنظر إليه من ثقب الباب..**

كل إنسان هو رواية طويلة، رواية رائعة أو رواية بشعة..

لكن اختزال هذه الرواية إلى كلمة واحدة، إلى صفة سلبية، مشكلة كبيرة.

لا يمكنك أن تفهم العالم من حولك، لو نظرت إليه من ثقب الباب.. ناهيك عن أن تساهم في تغييره.

كذلك هو الإنسان، إنه عالم كامل، لا يمكنك أن تنظر إليه من ثقب الباب..

وعندما تصنف شخصاً ما بكونه صاحب معصية، فإن هذا يشبه أن تنظر له من ثقب الباب..

لا ترى منه غير معصيته.. تختصره إلى معصيته، كما لو أن حياته قبلها وبعدها وأثناءها لا وجود لها إلا في لحظة المعصية..

والأمر ليس كذلك حتماً.

بالمناسبة: هذا لن يجعلك تصلحه، لو كان هدفك الإصلاح أصلاً..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

فلنتفق أن بعض المخالفات الشرعية تكون واضحة جداً بحيث يصعب جداً عدم الانتباه لها..

الأمثلة كثيرة جداً، بعضها يكون واضحاً جداً، مثل ما يتعلق بالمظهر، وبعضها اقل وضوحاً، ولكنه واضح بالتدقيق قليلاً..

حسناً، طبيعتنا البشرية تجعلنا ننتبه لهذا.. لا يمكن لك أن تهرب من ملاحظة ما هو جهري..

لكن علينا ان ننتبه.. أن نفكر بشكل واع. أن لا ننزلق إلى تصنيف شخص ما إلى معصيته..

أن نتذكر أننا لو رضينا بالتصنيف، فإننا جميعاً، ما دمنا من نسل جدنا آدم، فإننا أصحاب (معاصي)..

كل ما في الأمر أن البعض منا مبتلى بـ (معاصي) ظاهرة..

بينما يحسن الباقون إخفاءها..

كلنا أصحاب (معاصي) بطريقة أو بأخرى، وليس من الإنصاف تصنيف الناس فيما نكره أن نجد أنفسنا فيه..

❋❋❋ ❋❋ ❋❋❋

تصنيف (أصحاب المعاصي) يتحول إلى حقيقة مع الوقت.

إنه يخلق نوعاً من الجدار بين الشخص الذي وضع داخل هذا التصنيف، وبين الآخرين، أو بين من يضعونه داخل هذا التصنيف على الأقل..

وهذا يجعل من الشخص الموضوع داخل هذا التصنيف، منساقاً أكثر فأكثر في المعاصي.. وربما إلى (معاصي) أخرى غير التي جعلته يدخل التصنيف..

> **تصنيف (أصحاب المعاصي) يتحول إلى حقيقة مع الوقت.**

هذا التصنيف، يشبه المعتقل..

عندما تضع أحدهم فيه، بجرم معين، فإنه غالباً ما يتعلم في داخل المعتقل سلوكيات قد تكون أشد سوءاً من التي دخل من أجلها المعتقل..

بتصنيفك له، فقد أدخلته المعتقل مظلوماً..

سيحتج البعض بحوادث للرسول الكريم قام فيها عليه الصلاة والسلام بمقاطعة بعض من ارتكب المعاصي..

لكن المقارنة خاطئة تماماً..

كانت المقاطعة يومها حافزاً للامتناع الفوري عن المعاصي، كان الأمر لا يستغرق ساعات..

اما اليوم، فهي في الحقيقة عديمة الجدوى من ناحية الامتناع عن المعصية، وغالباً ما تؤدي إلى المزيد من المعاصي بالنسبة لمرتكبيها، والمزيد من العزلة بينهم وبين المجتمع..

في حال استمر هذا التصنيف واستمر التعامل مع اخطاء البشر على هذا النحو، فإن العزلة غالباً ستكون من نصيب من يطلق على الناس لفظة أصحاب المعاصي..

سيجد أنه قد وضع نفسه داخل جدران عالية.. واعتزل التفاعل مع الآخرين، او إصلاحهم..

❀❀❀ ❀❀ ❀❀❀

تخيلوا لو أن الجيل الأول من الصحابة كان لديهم نفس هذا التصنيف الذي يضع مرتكب المعصية في معتقل يعزله عن الآخرين..

لو حصل هذا، لكانت معركة القادسية خسرت فارساً مغوارا من فرسانها.. أبو محجن الثقفي.. لم يكن أبو محجن قد شرب الخمر مثلاً مرة واحدة، بل كان شرّاباً للخمر، اقيم عليه حد الخمر ٨ مرات!!

رغم ذلك، لم يوضع داخل هذا التصنيف الذي يمنعه من أن يكون فاعلاً في خدمة الإسلام.. لقد التحق بجيش القادسية رغم أنه يشرب الخمر، ورغم انه كان معروفاً بذلك، بل إنه كان قد جلبها معه سراً إلى ساحة المعركة! لم ينظر له الباقون نظرة ازدراء وتعالٍ: شرّاب خمر! صاحب معصية!.. بل تعاملوا معه على انه بشر يخطئ ويصيب.. وكان ممن شهدوا المعركة الحاسمة، وكانت له صولات وجولات فيها..

لكن بالتأكيد ما كان الجيل الاول من الصحابة سينظر للإنسان هكذا..

فمن قام بفتح العالم، لا يمكن ان ينظر إلى العالم من ثقب باب!

*** ** ***

فمن قام بفتح العالم، لا يمكن أن ينظر إلى العالم من ثقب باب!

وانت يا صديق..

كيف تعرف نفسك..

كيف تنظر لها..

هل تجد ما تختصر نفسك به؟ هل هو عيب من عيوبك؟ أم هو صفة إيجابية من إيجابياتك؟

هل ترى نفسك من خلال معصية ترتكبها ويجلدك كل يوم إحساسك بالذنب بسببها..

لا يا صديق..

انت اكبر من أن تختصر، لديك مشاكلك نعم، يجب أن تجد لها حلاً نعم، لكن هذا حالنا جميعاً..

لا تنس..

أنت اكبر من أن تختصر، لديك مشاكلك نعم، يجب أن تجد لها حلاً نعم، لكنِ هذا حالنا جميعاً..

لا تنس..

فيك انطوى العالم الأكبر..

فيك انطوى العالم الأكبر..

فلا تنظر له، من ثقب باب..

ولا تنظر للآخرين ايضاً من ثقب الباب نفسه..

افتح الباب، سيبدو العالم أوضح..

وستكون أنت اقوى..

٢٣

لن أعيش في جلباب أبي

كثيراً ما يحدث ان نرى صوراً قديمة لنا، فنستغرب من انفسنا..

هل حقاً لبسنا هذه الملابس الغريبة التي كانت رائجة وقت التقاط الصورة؟..

هل حقاً كنا نصفف شعرنا هكذا؟..

هل حقاً كنا نرتدي هذه النظارة غريبة الشكل التي لن نفكر أصلاً في شرائها اليوم؟..

أشياء كثيرة من هذا النوع، سننتبه لها لو تمكنا من مراجعة صورنا القديمة..

أشياء يمكن أن نضعها جميعاً في ملف اسمه (أشياء كانت تبدو مناسبة في وقتها).

أشياء كانت مناسبة وقت ارتديناها، لم تكن مضحكة او غريبة..

لكنها ببساطة لم تعد كذلك.

لم تعد مناسبة.

(أشياء كانت تبدو مناسبة في وقتها).

أشياء كانت مناسبة وقت ارتديناها، لم تكن مضحكة أو غريبة..

لكنها ببساطة لم تعد كذلك.

لم تعد مناسبة.

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

الأمر واضح مع الملابس والأشياء المادية أكثر..

لكن ملف (الأشياء التي كانت تبدو مناسبة وقتها) يمكن ان يتوسع فيشمل أموراً أعمق وأقل وضوحاً..

ربما هذا الملف يمكن أن يضم مواقف أو أفكاراً تبنيناها ذات يوم بحرارة، ونضحك منها اليوم، لكنها ببساطة كانت تبدو - لنا على الأقل - مناسبة..

وربما يضم أشخاصاً أدخلناهم في حياتنا وجعلنا منهم أصدقاء، كانوا يبدون مناسبين جداً وقتها، والآن نتأمل في الاختلافات والفوارق الصارخة ونقول: رباه! كيف كنا نفكر؟!

وربما هذا الملف يضم مشاريع فاشلة دخلناها بحماس ونحن نحلم بنجاحات كبيرة. ننظر اليوم إليها ونقول: كيف لم ننتبه إلى أن فشلها كان حتمياً.. وأن كلمة فشل كانت مكتوبة على جبين المشروع!

إنه ملف واسع جداً.. ملف (الأشياء التي كانت تبدو مناسبة وقتها) هذا.. ولو تأملنا في حياة كل منا، لوجدنا أن أشياء كثيرة في حياتنا، تستحق أن توضع فيه..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

وإذا كان هذا صحيحاً في حياة كل شخص، فهو من باب أولى أن يكون صحيحاً بين الأجيال المختلفة.

بعبارة أخرى: إذا كان ما بدا لك مناسباً لك وأنت في العشرين من عمرك، لم يناسبك وبدا مضحكاً في الثلاثين، فكيف سيكون الأمر يا ترى مع ما كان يناسب والدك عندما كان في العشرين من عمره؟

الأمر بديهي، وشديد الوضوح، ومن الصعب أن يختلف عليه اثنان.

لكننا للأسف لا نجد خلافاً فحسب بين اثنين.

بل نجد صراعاً للأجيال حوله..

رغم أنه بديهي، وبسيط، ومنطقي..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

يحدث كثيراً أن نرى أن ثمة جيلاً، يريد أن يفرض رؤيته للحياة على الجيل الأصغر..

وغالباً تكون هذه الرؤية غير مقتصرة على هذا الجيل، بل إنه قد ورثها أيضاً من الجيل الذي سبقه..

دائرة مفرغة من التكرار والرتابة..

دائرة تلتف مثل حبل خانق على رقبة الحياة نفسها..

اغلب الخلايا في جسم الإنسان تتجدد باستمرار. تتجدد بمعنى أنها تستبدل بأخرى، بعضها يتجدد كل بضعة اسابيع، وبعضها يتطلب وقتاً أطول، لكن عملياً، وباستثناء خلايا الدماغ، فإن كل الخلايا الحية في جسم الإنسان تستبدل عدة مرات في حياة كل إنسان.. **وهذا التجدد علامة من علامات الحياة نفسها..**

استمرارية الحياة تتطلب التجديد، والاستمرار بالرؤية الموروثة عبر الأجيال دون تجديد، **انتحار بطيء..**

انتحار مع سبق الإصرار والترصد..

> يحدث كثيراً أن نرى أن ثمة جيلاً، يريد أن يفرض رؤيته للحياة على الجيل الأصغر..
>
> وغالباً تكون هذه الرؤية غير مقتصرة على هذا الجيل، بل إنه قد ورثها أيضاً من الجيل الذي سبقه..
>
> دائرة مفرغة من التكرار والرتابة..
>
> دائرة تلتف مثل حبل خانق على رقبة الحياة نفسها..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

٢

هذا الانتحار البطيء، متنكر غالباً بشعارات حب الأجداد وتمجيدهم وتكرار مناقبهم وتعداد منجزاتهم..

وربما ستكون هناك نصوص دينية تستخدم لتبرير هذا الانتحار..

لكن الحقيقة، لو نظرنا لها من زاوية أخرى، ستكون مختلفة تماماً..

فالأجداد أنفسهم، ما كان لهم أن يحققوا ما حققوه من منجزات تستحق الفخر لو أنهم التزموا بهذه النظرة، لو أنهم التزموا برؤية من سبقهم..

الأجداد أنفسهم، ما كان لهم أن يحققوا ما حققوه من منجزات تستحق الفخر لو أنهم التزموا بهذه النظرة، لو أنهم التزموا برؤية من سبقهم..

لقد حققوا ما حققوه، لن أقول عبر كسر رؤية من سبقهم من أجداد فحسب، فقد كانت هناك عناصر وأدوات أخرى، لكن ما كان يمكن لهم أن ينجزوا لو أنهم بقوا أسرى في تلك الدائرة الضيقة التي تلتف مثل الحبل على رقبة الإبداع والتطور..

أما بخصوص النصوص الدينية، فالأمر معاكس أيضاً..

فقد حذرنا القرآن دوماً من هذا الانتحار البطيء.. الذي يسميه البعض الآبائية.. ويمكن أن نسميه أيضاً: اتباع الآباء، فقط لأنهم آباء..

وليس لأنهم على صواب.. مثلاً.

أو أن تعتقد أنهم على صواب، فقط لأنهم الآباء..

❋❋❋ ❋❋ ❋❋❋

في أكثر من عشرين آية قرآنية كريمة، تم تحذيرنا من هذا الانتحار البطيء.. تم تحديد الأمر بوضوح.. لا تنتحروا بأن تتبعوا من سبقكم لمجرد أنه سبقكم.. دون بصيرة، دون وعي..

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) (البقرة:١٧٠)

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ

آباءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ) (المائدة: ١٠٤)

(إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ) (الأنبياء: ٥٢-٥٣)

(بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ) (الزخرف: ٢٣- ٢٢)

(قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) الأعراف:٧٠))

آية بعد آية، النقاش يستمر مع غير المؤمنين، لكن النقاش يصطدم فوراً بحجر كبير يجعله غير مُجدٍ، ما لم تتم إزاحة هذا الحجر..

هذا الحجر هو أن هؤلاء يتبعون آباءهم.. لا يدافعون عن موقفهم بعقل أو علم أو برهان منطقي..

كل حجتهم هي أنهم يتبعون الآباء..

هي أنهم تعودوا على ما ورثوه من الآباء..

بأي منطق ستحادثهم عن الإيمان بالله، إذا كان هذا الحجر يوقف أي عملية تفكير منطقية؟

عليك أن تزيح هذا الحجر أولاً..

عليك أن تكسر هذه الدائرة المفرغة من التقليد، لتكمل بعدها النقاش..

عليك أن تخرجهم من جلباب آبائهم الذي يغلق عقولهم ويمنعها من التفكير..

بعدها، يمكن أن يقرروا أي شيء سيرتدون..

ربما يقررون أن جلابيب آبائهم ستبقى الأكثر مناسبة!

المهم أن يكون هذا قرارا اتخذوه بأنفسهم..

لا يفتح القران النار على الاباء!

بل يفتحها على الابائية..

والفرق كبير..

يفتحها على تقليدهم لمجرد التقليد.. على السير خلفهم خطوة خطوة كما يقاد الأعمى.. دون وعي او بصيرة..

لا يفتح القران النار على الاباء!

بل يفتحها على الابائية..

ينسف القران هذه العلاقة من اساسها، ولا ينسف الاباء انفسهم او مكانتهم..

يزيل هذا الحجر المعوق من الطريق، فيفتح امامك مفترقات الطرق..

بعدها يمكن ان تقرر اي طريق ستأخذ!

قد يكون الاباء على حق!..

لكن هذا لا يمكن ان نصل له، قبل آن نزيح الحجر..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

وقد يعترض معترض على الربط بين هذه الآيات وبين ما نقول عنه إنه صراع أجيال حالياً..

سيقول إن كل هذه الآيات تتحدث عن أناس اتبعوا آباءهم المشركين.. بينما اباء اليوم مؤمنون..

وبالتالي، فالأمر لا يمكن ان يشبه اي (صراع اجيال) حالي..

لا نشكك في إيمان أحد قطعاً..

لكن الابائية، كمرض، كسلوك، كانتحار بطيء، هي سلوك.. يمكن أن يتكرر مع اي شيء لا يعاد النظر فيه ولا يجدد..

نعم.. هؤلاء الاباء مؤمنون..

لكن من قال إنهم فهموا الإيمان على النحو الأكمل.. من قال إن فهمهم للنصوص الدينية هو الصواب المطلق الذي لا يأتيه الخلل أو الخطأ من أي مكان..

من قال إنه ليس هناك فهم آخر، ربما لا يتعارض مع فهمهم بالضرورة.. لكنه يقدم إدراكاً جديداً يتفاعل مع واقع مختلف فيثريه ويزيده خصوبة..

علينا أن نجرب.. أن نقرر أولاً.. أن نعيد النظر، لا لغرض الهدم بالضرورة، بل لإعادة التقييم.. والبناء..

الأبائية، كمرض، كسلوك، كانتحار بطيء، هي سلوك.. يمكن أن يتكرر مع أي شيء لا يعاد النظر فيه ولا يجدد..

❀❀❀ ❀❀ ❀❀❀

أعرف يا صديق..

أن جلباب أبيك قد ضاق كثيراً على أحلامك..

أعرف ذلك وأتفهمه..

بل أؤيدك فيه..

نعم، جلباب أبي وجلباب أبيك لم يعودا مناسبين.. ضاقا كثيراً على عالم تغير كثيراً منذ أن لبسهما الجد الأول الذي ارتدى جلباب أبي وأبيك..

أفهم أنك لم تحتمل ذلك.. ولا أنا أيضاً أحتمله صراحة..

لكن خروجك من العيش في جلباب أبيك..

علينا أن نجرب.. أن نقرر أولاً.. أن نعيد النظر، لا لغرض الهدم بالضرورة، بل لإعادة التقييم.. والبناء..

لا يجب ان يكون لمجرد الخروج، واختيار اي شيء اخر..

الأمر ليس في ان تمارس التمرد لمجرد التمرد.. بلا هدف غير التمرد نفسه..

المهم هو: ماذا سترتدي كبديل؟.. كيف ستعيش بعد ان قررت أنك لن تعيش في جلباب أبيك؟..

يمكنك أن ترتدي الجينز.. أو أي شيء حديث مما تطرحه دور الأزياء..

لكن المهم هو: كيف ستعيش حياتك بهذا الجينز؟.. ماذا ستفعل في حياتك بعد أن خرجت من جلباب أبيك؟..

هذا هو ما سيحدد إن كان خروجك من جلباب أبيك مجرد مراهقة طائشة.. فقط لتثبت لنفسك انك رجل وتعملها! فقط لأن لديك عقدة من جلباب ابيك تزيدها تعقيداً عبر خروجك الطائش..

او إن كان خروجك خروجاً إلى الأفضل..

بالمناسبة..

خامة جلباب أبيك، جيدة..

يمكنك ان تستفيد بها، وأن تعيد تفصيلها.

لكن خروجك من العيش في جلباب أبيك.. لا يجب أن يكون لمجرد الخروج، واختيار اي شيء آخر..

الأمر ليس في أن تمارس التمرد لمجرد التمرد.. بلا هدف غير التمرد نفسه..

المهم هو: ماذا سترتدي كبديل؟.. كيف ستعيش بعد أن قررت أنك لن تعيش في جلباب أبيك؟..

٢٤

المعادلة المتوازنة

انصاف الجُمل احياناً، تقول شيئاً معاكساً لما ستقوله الجملة كاملة.

لذلك يسهل أن تنقل جزءاً من جملة، تزيلها عن تتمتها أو عن سياقها الأصلي، لتجد أن معناها قد تغير تماماً.. أو صار مناقضاً تماماً للمعنى الأصلي المراد من الجملة..

يحدث هذا مع كل ما يقال أو يكتب..

ويحدث هذا أيضاً مع القرآن الكريم..

بل إن الناس قد تعودوا على أن تستخدم عبارة (ويل للمصلين) كمثال على الاجتزاء الذي يغير المعنى.. فالله عز وجل قال (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون).. وهنا المعنى تام ومفهوم، أما من يأخذ أول كلمتين فقط فسيتصور أن ثمة وعيداً وويلاً ينتظر المصلين..

(ويل للمصلين) مثال معروف جداً على ما يحدث..

لكن هناك آيات أخرى، استُعمِل جزء منها واشتهر على نطاق واسع، ولم يتم استخدام تتمة الآية.. وكان لهذا أثر كبير على المفهوم العام الصحيح للآية..

نتحدث اليوم عن آية أخـرى، معروفة ومستعملة جداً.. بنفس الاستعمال المجتزئ.

أنصاف الجُمَل أحياناً، تقول شيئاً معاكساً لما ستقوله الجملة كاملة.

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

وبسبب قرب هذه الآية من آيات الصوم، فإنها كثيراً ما تتكرر خلال رمضان، وخاصة أنها ترتبط بالدعاء، والدعاء من العبادات التي تكثر في رمضان، فإن هذه الآية نسمعها كثيراً في رمضان.

وغالباً ما نسمعها دون تتمتها..

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)..

نسمعها كثيراً.. ومعناها واضح.

وهي تقول لنا إن الله عز وجل يستجيب لدعوة الداعي..

وهذا يجعلنا ندعوه.. فقد قال لنا إنه قريب، يجيب دعوة الداعي إذا دعاه..

وهكذا نفعل.. ونفعل.. ونفعل..

وقد قالوا لنا أيضاً، في تفسير تأخر الاستجابة، إن ذلك يعود لأن الله يمتحن صبرنا، أو لأنه يؤجل الاستجابة لوقت أفضل.. أو لأنه سيعوضنا بما هو خير..

كل ذلك محتمل ووارد..

ولكن هنالك احتمالاً آخر..

هو اننا لم نتم قراءة الآية الكريمة!

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة: ١٨٦)

هذه هي الآية بتمامها.

(أجيب دعوة الداع إذا دعان).. نعم.. لم تنته الجملة هنا.. بل:

(فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)!

أجيب دعوتهم إذا دعوني.. فليستجيبوا لي وليؤمني بي!

بعبارة أخرى: إجابة لله للدعاء ليست مرتبطة بدعوة الداعي فقط.. كما فهمنا للأسف خطأ..

بل الأمر مرتبط أيضاً باستجابة الداعي لله، أي لأوامر الله.. ولإيمانه به..

الأمر ليس معادلة مبنية على أن تدعو الله فيستجيب لك..

الأمر أعقد.. ولتوازن المعادلة فلابد من أن يكون لك دور أكبر من مجرد الدعاء..

دوماً نفهم الاستجابة لأوامر الله على أنها الاستجابة لأوامره بأداء الشعائر والفروض. وهي أمر مهم بالتأكيد.. لكن الله لم يأمرنا بذلك فقط. لقد أمرنا أيضاً بالعمل وإصلاح الأرض وعمارتها ونشر العدل فيها. قال لنا (وقل اعملوا) وكان الأمر بالقراءة أول ما أنزل من وحيه الخاتم. وجعل رسوله الكريم من إزالة الأوساخ أبسط درجة من درجات الإيمان..

كل هذه أوامر لله. وليس فقط أوامره بالصلاة والصوم.. لذلك فمقياس استجابتنا لله لا تقاس بالشعائر فقط. بل بكل ما أمرنا به..

الأمر هنا، أشبه بصفقة كاملة، لا يمكن تجزئتها. تدعو الله عندما تؤمن به، وتؤمن به إذا كنت تستجيب له. وتستجيب له لا يعني استجابة جزئية وقتية.. بل أن يكون الأمر نمط حياة لك.. لا أحد كاملاً بالتأكيد. وكبشر فلا بد لنا أن نقر بأننا سنخطئ جميعاً بكل الأحوال. لكني أتحدث هنا عن نمط حياة يغلب عليه الاستجابة لأوامر الله. وأكرر أن أوامره لا تقتصر على الشعائر..

الفكرة هي أن ترفع يدك بالدعاء، عندما تكون معروقة من العمل..

لا أن يكون ارتفاعها بالدعاء، هو عملها الوحيد!

عندما يحدث كل هذا، تتوازن المعادلة. ويمكن فهم الآية في سياقها الصحيح.. الآية كاملة غير منقوصة..



الفكرة هي أن ترفع يدك بالدعاء، عندما تكون معروقة من العمل..

لا أن يكون ارتفاعها بالدعاء، هو عملها الوحيد!

❊❊❊ ❊❊ ❊❊❊

دعونا لا نهون من شأن الفهم الخاطئ لأمر الدعاء..

أحياناً يمر البعض بأزمات كبيرة، بمحن شديدة، فتقال لهم هذه الآية على النحو غير المكتمل، فيتوهمون أن الحل في الدعاء.. ويدعون، ويدعون.. ثم لا تحدث استجابة.. ليس لأن الله لم يستجب لدعائهم، بل لأنهم ببساطة لم يفهموا ما عليهم فعله.

بعضهم ينتكس إيمانه.. المعادلة المنقوصة قرنت له بين قرب الله وإجابة الدعاء.. والدعاء لم يستجب له.. إذن لعل الله ليس قريباً كما قالوا له، هكذا سيتوهم تعالى الله عن هذا الظن علواً كبيراً..

ولعله سيذهب أبعد في ظنونه.. وسيبتعد أكثر.. وسيؤدي هذا الفهم الخاطئ الذي روج له البعض عن حسن نية.. إلى ابتعاد هذا الشخص عن الإيمان بالله كلية.. بسبب أنه تصور أن الدعاء لا بد أن يستجاب، حتى لو لم يؤد قسطه من المعادلة..

> الآية تقول لنا، إن هذه العلاقة المتوازنة، بين الدعاء والاستجابة لأوامر الله، هي العلاقة الناضجة بيننا وبينه عز وجل، هي عبوديتنا الراشدة له..

❊❊❊ ❊❊ ❊❊❊

والآية في خاتمتها تقول (لعلهم يرشدون)..

والرشد هو النضج كما هو معلوم، عندما نقول عن شخص ما إنه راشد، أو بلغ سن الرشد، فإننا نقصد أنه صار ناضجاً..

والآية تقول لنا، إن هذه العلاقة المتوازنة، بين الدعاء والاستجابة لأوامر الله،

هي العلاقة الناضجة بيننا وبينه عز وجل، هي عبوديتنا الراشدة له..

نعم ندعوه أن يستجيب لنا، لكننا سنكون غير راشدين، غير ناضجين، لو دعوناه دون أن نستجيب لأوامره..

أما الرشد، فهو أن نكون قد استجبنا لأوامره.. ومن ثم ندعوه.. ليستجيب لنا..

المعادلة المتوازنة، تساعدنا في أن نكون راشدين.. في أن ننضج.. وعندما تنضج في علاقتك بالله عز وجل، فإنك ستنضج في علاقتك بكل شيء..

المعادلة المتوازنة، تساعدنا في أن نكون راشدين.. في أن ننضج.. وعندما تنضج في علاقتك بالله عز وجل، فإنك ستنضج في علاقتك بكل شيء..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

هذا هو الدعاء المستجاب حقاً..

ليس كلمات محددة تقال في يوم محدد كما في الكتيبات الرائجة التي لا تستند إلى حديث صحيح..

بل أن يكون جزءاً من نمط حياة.. حياة راشدة!

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ماذا عن آية أخرى تعطي معنى قريباً؟

(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر:٦٠)

نفس المعادلة المتوازنة، فالاستكبار عن العبادة هو المعادل في هذه الآية لـ (فليستجيبوا لي)..

من لم يستجب لله، لأوامره، قد استكبر عن ذلك.. ولا استجابة لدعوته..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

وعندما تمر الأمة بأزمة كبيرة، يأتي من يذكرنا بالدعاء لمن في صلب الأزمة وبأن الله قريب وانه سيستجيب لدعائنا..

والله قريب بالتأكيد، لكن استجابته للدعاء محكومة بسنن وضعها هو، **بعضها نعرفه وبعضها لا نعرفه..**

ولكنه عز وجل قد أخبرنا عن جزء من سنن استجابة الدعاء..

وهذه السنن هي أن نستجيب له اولاً، كي يستجيب لنا..

بعض أزمات الأمة ندعو لها منذ ٨٠ عاماً..

تعرفون لِمَ لمْ يُستجب الدعاء رغم أن الله قريب وهو يجيب دعوة الداعي إذا دعاه..

لأننا ببساطة لم نستجب له..

تصورنا أن العمل المطلوب منا هو الدعاء..

والحقيقة أن الدعاء مطلوب، لكن مع العمل..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

لن يخذلك الله يا صديق..

لو توجهت له بصدق، وطلبت منه بصدق، لن يخذلك..

حاشاه..

لكن صدقك في الطلب، وصدقك في التوجه.. يتطلب منك اولاً ان لا تخذل نفسك..

لو كنت صادقاً حقاً في طلبك منه، لكنت أولاً فعلت أقصى ما يمكنك، لاتبعت كل ما يمكنك من وسائل.. لبذلت كل جهدك..

تخضع لسننه أولاً في تحقيق المطلوب..

ثم تخضع لجلال وجهه بأن تجعل وجهك في الأرض..

لن يخذلك.. حاشاه..

لكن لا تخذل نفسك أولاً..

٢٥

حدث ذات مرة في الغار

المكان: مكة، جبالها بالتحديد..

الزمان: القرن السادس الميلادي، زمان نموذجي للظلم، العالم تتصارعه قوتان شرستان، والظلم سيد هذا العالم، البشر أرخص السلع، الوثنية تسود، والأديان السماوية محتكرة عند من يستغلها..

المعادلة إياها مستمرة: الأثرياء يزدادون ثراء.. والفقراء يزدادون فقراً..

المناسبة: **الفرصة الأخيرة للبشرية، لتغيير ذلك كله!**

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

مظلم كان الغار..

ولكن جاء الوحي بـ (اقرا)..

وتدفق النور من الغار الذي كان مظلماً..

تدفق النور إلى العالم أجمع..

يحمل (اقرا)..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

يبدأ الوحي الخاتم، بهذه الكلمة، لأنها ببساطة مفتاح الحل الذي لا يمكن لتاريخ صلاحيته أن ينتهي..

(اقرا) هي الوعي.. والوعي هو الحل لكل ما يمكن أن يخطر في البال من مشاكل.. لا يمكن لمشكلة صغرت أو كبرت، شخصية

(اقرا) هي الوعي.. والوعي هو الحل لكل ما يمكن أن يخطر في البال من مشاكل.. لا يمكن لمشكلة صغرت أو كبرت، شخصية كانت أو عامة، أن تحل دون الوعي..

كانت أو عامة، أن تحل دون الوعي..

هذه المشاكل التي عانت منها البشرية لقرون، لا يمكن أن تحل دون الوعي.. ودون وحي يبدأ بالوعي، ويكرس الوعي..

كان لا بد للوحي الخاتم أن يبدأ بهذه الكلمة التي ستبقى فاعلة ومؤثرة دوماً..

ستبقى غير منتهية الصلاحية..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ما كان يمكن لكلمة أن تلخص الأثر الذي أحدثه الإسلام على العالم يوم جاء، مثل كلمة (اقرأ)..

فقد كان الإسلام بمثابة نقلة حضارية كبيرة، لا للعرب فحسب الذين كانوا أصلاً على الهامش تماماً، بل للعالم أجمع..

لا ننكر هنا وجود حضارات سابقة تحمل إرثاً حضارياً مهماً، ولا ننكر أيضاً أن الحضارة الإسلامية تفاعلت مع الحضارات السابقة واستفادت من تجاربها وعلومها، لكن **الإضافة الإسلامية كانت مميزة ومختلفة وأصيلة،** ومثلت انتقالة أساسية إلى (أصول البحث العلمي) الذي انتقل لاحقاً بيد الغرب إلى آفاق واسعة جداً نعيش نتائجها اليوم..

(اقرأ)، بكل معانيها، تختصر الأثر الذي أحدثه الإسلام على العالم، آنذاك

لا نقول هذا للتغني بالماضي الجميل، أو للتبجح بفضل الإسلام على العالم.. فتلك أمة قد خلت، وواقعنا اليوم لا يسمح لنا بأي تبجح من هذا النوع..

فقط نقول للتذكير بأن **(اقرأ)، بكل معانيها، تختصر الأثر الذي أحدثه الإسلام على العالم، آنذاك..**

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

فلننتبه هنا إلى انها كانت (اقرأ باسم ربك الذي خلق)..

لم تكن (اقرأ) فحسب، لم تكن (اقرأ) ثم نقطة وانتهى..

كانت (اقرأ باسم ربك الذي خلق)..

وهذا يعني أن الوعي الذي نتحدث عنه، ليس وعياً بلا ثوابت، والانفتاح الذي نحدثه ليس انفتاحاً بلا ضوابط..

لا، اقرأ باسم ربك الذي خلق، مرتبطون به لأنه خالقنا، لا فكاك من هذه العلاقة، ولذا لا يمكن لوعينا أن ينعزل عنها..

كل ما نقرؤه، نطلع عليه، نتفاعل معه، من علوم وثقافات، يكون محكوماً بهذه الحقيقة، **لا لكي يوقف التفاعل، ولا لكي يفرض رقابة تصيح (حرام هنا وفسق هناك)**، بل لأن هذه الثوابت، **ثوابت الإيمان بالخالق ستكون مثل الإطار العام (الماتريكس) الذي يحتوي كل قراءاتنا الأخرى ويتفاعل معها مهما كانت مخالفة لهذا الإيمان**.. لكن لأن التفاعل يتم من خلال هذا الوسط أو الماتريكس، فلا شيء حقاً يمكنه أن يمس هذه الثوابت.. بالعكس.. قد يجعلنا هذا أقوى إيماناً.. قد نفهم لماذا الحد الملحد ونستطيع أن نجد فكرة تنقض إلحاده..

❀❀❀ ❀❀ ❀❀❀

فلننتبه هنا إلى انه عز وجل ربط القراءة باسم (ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق).

هذا الربط بالعلق ليس صدفة، حاشا لله..

عز وجل يذكرنا بمرحلة مبكرة من مراحل تطورنا الجنينية..

إنه يقول عز وجل إنكم في تدرجكم في أطوار الخلق من العلقة، تلك النطفة التي تحولت إلى دم، إلى أن وصلتم إلى هذه المرحلة التي أنتم فيها: الإنسان.. والرحلة من العلقة التي لا ترى بالعين المجردة إلى ما نحن فيه، رحلة هائلة عظيمة..

لكنه عز وجل يقول لنا إن رحلة الأطوار لم تنته..

لا يزال هناك المزيد من الارتقاء.. يمكنك أن تتطور إلى ما هو افضل.. إلى ما هو أرقى.. لكن هذه المرة بإرادتك..

ويحدث ذلك عبر الكلمة الأولى، اول فعل امر نزل في القران (اقرا)..

*** ** ***

نعرف أن القران هو معجزته عليه الصلاة والسلام..

ولكن..

لو لم يكن في هذه المعجزة، سوى (اقرا) ككلمة اولى، لكان ذلك كافياً إلى أبد الدهر..

فما تفعله القراءة للإنسان أمر يتجاوز بكثير إيصال معلومة، أو الوعي بمعلومة أخرى..

الأمر أكبر بكثير، أقرب إلى المعجزة..

لو لم يكن في هذه المعجزة، سوى (اقرا) ككلمة أولى، لكان ذلك كافياً إلى أبد الدهر..

فما تفعله القراءة للإنسان أمر يتجاوز بكثير إيصال معلومة، أو الوعي بمعلومة أخرى..

القراءة للدماغ، هي مثل التدريب للجسم.. مثل ذهابك إلى النادي الرياضي كي تبرز عضلاتك أو تخفف من كرشك.

لا أريد أن أدخل في الدراسات العلمية التي أثبتت هذا: **لكن القراءة تزيد فعلاً من ذكاء الإنسان** (والكلام ليس مجازاً هنا، بل الحديث عن معدلات رقمية للذكاء)، بالذات تزيد

القراءة للدماغ، هي مثل التدريب للجسم

من قدراته في التفكير التحليلي، تزيد من قدراته على التخيل، ومن مفرداته، ومن حدة ذاكرته، تزيد حتى من قدرته على تحديد أهدافه،

كل واحدة من هذه الفوائد أثبتتها دراسات مقارنة بين أولئك الذين يقرؤون والذين لا يقرؤون..

لا نتحدث هنا عن فائدة (معلومات عامة) يمكن أن تحصلها من أي مكان آخر غير الكتاب.. لا.. ليس الحديث عن معلومات عامة..

بل عن فعل القراءة نفسه. **فعل القراءة يفعل هذا لدماغك..**

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

لو قرأت فقرة ما من كتاب، ثم سمعتها، أو شاهدت برنامجاً يقرؤها.. فإن الأثر على دماغك سيكون مختلفاً تماماً..

نفس الفقرة من نفس الكتاب.. نفس الكلمات، لكن الأثر على دماغك سيكون مختلفاً..

ربما السماع والمشاهدة أسهل من القراءة، وربما المشكلة أصلاً في هذا! إن الدماغ يبذل جهداً أقل في السماع والمشاهدة..

في السماع أنت تلقن المعلومة، تتابع الكلام سماعاً، **لا يترك المجال لدماغك لكي يحلل ويناقش ما يسمع..** ونبرة الصوت التي تقرأ الكلام تتدخل في تلقيك المعلومة، رغم أن النبرة نفسها لا علاقة لها بالمحتوى..

عندما تشاهد، فإن دماغك لا يجد أيضاً الوقت ليحلل. وأكثر من هذا هو يتأثر بأشياء أخرى لا علاقة لها بالمحتوى: **أنت عندما تشاهدني على الشاشة تتأثر – سلباً وإيجاباً - بملابسي وألوانها وحركة جسدي والغرافيكس من خلفي، وكل هذا لا علاقة له بالمحتوى بالضرورة..**

مع القراءة: أنت والأبجدية.

أنت واللغة وليس من ثالث لكما.. دماغك سيبذل جهداً أكبر.. لكنه سيحلل، سيقف عند هذه الكلمة، ويرجع قليلاً إلى الوراء سطرين لكي يربط بينها وبين كلمة أخرى - سيذهب إلى بداية الفقرة، سيأخذ نظرة شاملة.. وكل هذا يحدث في ثوان وربما لا تكون واعياً تماماً بما يفعله دماغك.. لكنه يحدث، **وهذه هي التدريبات الدماغية التي تجعل القارئ أكثر ذكاء وأكثر قدرة على التحليل وأكثر قدرة على تحديد أهدافه.. هذا هو (النادي الرياضي - الجيم) للدماغ..**

وهذا هو ما يجعل كل الأشخاص الذين أثروا وغيروا في التاريخ قراءً نهمين بالضرورة..

الوحيد من عظماء التاريخ الذي لم يكن قارئاً، كان ذلك من ضمن معجزته.. وهو الذي أنزلت عليه (اقرأ)..

عليه الصلاة والسلام..

❋❋❋ ❋❋ ❋❋❋

الفرق بين أثر القراءة وأثر المشاهدة على الدماغ، كالفرق بين مشاهدة فيلم سينمائي ثلاثي الأبعاد في قاعة السينما، وبين مشاهدته على شاشة هاتفك..

الفرق بين أثر القراءة وأثر المشاهدة على الدماغ، كالفرق بين مشاهدة فيلم سينمائي ثلاثي الأبعاد في قاعة السينما، وبين مشاهدته على شاشة هاتفك..

لقد شاهدت الفيلم في الحالتين، لكن شتان بين التجربتين!

❋❋❋ ❋❋ ❋❋❋

والسؤال الذي قد يتبادر إلى الأذهان: لماذا إذن تذهب إلى الميديا أيها الكاتب!

سنعرف الآن!

المكان: بغداد، عاصمة الدولة العباسية.

الزمان: ١٢٥٨ ميلادية، ٦٥٦ هجرية.

المناسبة: سقوط بغداد بأيدي المغول، بقيادة هولاكو..

يومها استبيحت المدينة، قتل أغلب سكانها، كما قتل الخليفة وأبناؤه..

خربت المدينة وسلبت ونهبت.. وأحرقت مكتباتها العامرة..

يومها تغير لون دجلة.. إذ ألقيت فيه الكتب المحترقة وبقاياها..

قيل إنه أسود.. من الحبر.. أو من أثر الورق المحترق.

*** ** ***

أتعب المغول أنفسهم، بلا داعٍ حقاً..

ولو علموا، أننا سننتهي إلى أمة لا تقرأ، لما تعبوا في حرق الكتب.

لكانوا تركوها، ربما للأرضة.

أم لعلنا أصبحنا لا نقرأ لاحقاً؟

لا أعرف، لكن في الحالتين.. كي تدمر حضارة، كي تقتلها، لست مضطراً إلى حرق الكتب..

يمكن أن يقتل هذه الحضارة أصحابها الأصليون..

فقط لو كفوا عن قراءة هذه الكتب..

أتعب المغول أنفسهم، بلا داعٍ حقاً..
ولو علموا، أننا سننتهي إلى أمة لا تقرأ، لما تعبوا في حرق الكتب.
لكانوا تركوها، ربما للأرضة.

حاولت أن أصل لك بكل الوسائل، توهمت أني نجحت نسبياً (عندما رأيت الآلاف يشترون كتبي ويقرؤون)، لكن هذا لم يكن كافياً أبداً..

وذات فجر صعب، قالت لي كتبي: اسمع، أنت تكتب بلغة يتحدث بها ٤٠٠ مليون إنسان.. إياك أن تفرح بخمسين ألفاً أو مائة ألف قارئ.. إياك.. ولا تنتظر المعجزات.. اذهب إلى الميديا وتحدث معهم، واقنعهم بأن يقرؤوا لك أو لغيرك.. المهم أن يقرؤوا..

وها أنا هنا يا صديق.. من أجل أن أجعلك تقرأ..

أعرفت لِمَ أنا هنا يا صديق؟!

لقد جئت إلى هنا كي أجعلك تقرأ..

هل ستقول إنك لا تحب القراءة.. أقول لك: لعلك لم تجد كاتبك المفضل بعد!

ابحث عنه بين الكتب، وستجده حتماً.. وربما عندها تكون قد أحببت القراءة ككل!

> **هل ستقول إنك لا تحب القراءة.. أقول لك: لعلك لم تجد كاتبك المفضل بعد!**

أقول لك، الكلمة الأولى: (اقرأ)..

أقول لك: ما حدث ذات يوم في الغار يمكن أن يحدث معك أيضاً، يمكن لـ (اقرأ) أن تخرجك من الغار، من الظلام، أن تضعك على أول درجة في سلم التطور الحقيقي.. ولو اعتقدت أنك ستحقق تطوراً حقيقياً من غير أن تقرأ.. فأنت تتوهم، ابحث عن كل من صنعوا تطوراً حقيقياً أو غيروا في تاريخ البشرية، ستجد أنهم قراء جيدون..

لقد كانت (اقرأ) هي كلمة السر - الباسوورد لكل تغيير في التاريخ..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

لقد جئت إلى هنا من أجلك يا صديق..

قل لي إني جئت على قدر يا صديق..

لقد كانت (اقرا) هي كلمة السر - الباسوورد لكل تغيير في التاريخ..

٢٦

الطعم مرٌّ لكن الذكرى حلوة

تعودنا أن يستخدم الصبر كما لو كان مسكناً للآلام.

لديك مشاكل في عملك، مع رئيس عملك أو مع زملائك في العمل.. النصيحة (الصبر)..

لديك متاعب في تحمل وضع معين يحيط بحياتك..

النصيحة (الصبر)..

تعاني من مشاكل في مردود عملك.. أو لا تحب عملك أصلاً..

النصيحة (الصبر)..

لديكِ مشاكل مع زوجك وعصبيته الدائمة وإهماله لشؤون البيت..

النصيحة (الصبر)..

وماذا يعني ذلك بالضبط لو سمحتم؟

لقد تعودنا الكلمة وألفناها حتى صرنا لا نفكر بمعناها حقاً..

الصبر في سياق هذه النصائح يعني: التحمل.

تحمل الصعوبات التي تمر بها، إلى أن تنتهي وتمر..

أو إلى أن تتعود عليها..

هذا هو الصبر، كما قدم لنا..

التحمل، أو حتى الانتظار، لحين أقرب الأجلين..

إما أن تتعود على الوضع، على زوجك السيئ، على مديرك عصبي المزاج، على عملك الذي لم تجد فيه نفسك..

او ان ينتهي هذا الوضع..

يموت الزوج، او يترقى مديرك إلى منصب أعلى.. فيأتي سواه.. وهكذا..

هذا هو الصبر كما عرفناه.

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ويقولون في الأمثال: الصبر مفتاح الفرج.

تراها مكتوبة ومؤطرة في أماكن العمل، تقول للواقفين في طابور الانتظار امام موظف كسول إن الصبر عليه هو الحل الوحيد لإنجاز معاملتهم..

تراها مكتوبة على سيارات النقل العام، تدور في شوارع المدينة كأنما لتذكر السكان أن الصبر مفتاح الفرج..

غالباً لا يحتاج أحد إلى تذكير: لقد أخذنا المثل في حقن في أوردتنا ونحن أطفال، حتى صار جزءاً من طريقة تفكيرنا..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

من حقك الآن أن تعترض..

لقد ورد الصبر في مواضع كثيرة في القرآن الكريم وكلها مواضع ثناء.. فالله مع الصابرين، وبشر الصابرين، وإن الله مع الصابرين.. مواضع كثيرة ليس هنا مجال حصرها..

صحيح.. لقد ورد الصبر في موضع الثناء، بل وفي موضع الثناء عليه في القرآن الكريم..

لكن..

الصبر القرآني لا علاقة له على الإطلاق بالصبر الذي نتداوله في حياتنا اليومية ونستخدمه لكي نتحمل ما لا يمكن تحمله.

لا علاقة إطلاقاً بين الاثنين..

نستطيع أن نقول إن الأمر لا يتعدى تشابه أسماء.

لكن ليس من علاقة قرابة تربط بين الاثنين.

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

الصبر القرآني لا علاقة له على الإطلاق بالصبر الذي نتداوله في حياتنا اليومية ونستخدمه لكي نتحمل ما لا يمكن تحمله.

وقبل أن نذهب لندقق في المفهوم البديل: في الصبر القرآني، دعونا ندقق في مفردة (الصبر) كما فهمها العرب أولاً في لسانهم..

كلمة (صبر) جاءت من نبتة تعيش في أقسى الظروف.. إنها نبتة الصبار التي تعيش في الصحراء.. نعرفها جميعاً بأشواكها وشكلها المختلف عن بقية النباتات.

نبتة الصبار تعبر عن الصبر في مفهومه الأولي.. إنها نبتة صابرة على البيئة الصعبة التي تجعل من المستحيل على نبتة أخرى العيش فيها..

نبتة الصبار تعبر عن الصبر في مفهومه الأولي.. إنها نبتة صابرة على البيئة الصعبة التي تجعل من المستحيل على نبتة أخرى العيش فيها..

لكن صبر هذه النبتة ليس مجرد عملية انتظار إلى أن يأتي المطر..

صبر هذه النبتة ليس مجرد تحمل آخر لحين أن تحدث عملية التعود..

في الحالتين: كان الأمر سيقود إلى موت هذه النبتة.

على العكس، هذه النبتة تتحدى الظروف التي يفترض أن تقتلها..

وتكسب التحدي.

كيف؟

تمد جذورها في كل الاتجاهات، وليس في اتجاه واحد كأغلب النباتات، لكي تبحث عن قطرة ماء هنا أو هناك.. تستخدم أشواكها لكي تصطاد أي حشرة أو حبة طلع يمر منها.. تختزن الماء الذي تحصل عليه لفترات طويلة كما يفعل الجمل.. تقتصد فيه..

هذا هو صبرها.. ليس الانتظار والتحمل إلى ما لا نهاية، بل الفعل المواجه للظروف.. الفعل الذي يحسن ظروفها..

كان هذا هو صبر نبتة الصبار.. لا علاقة له كما تلاحظون بالصبر الذي هو (مفتاح الفرج) كما علمونا إياه، ليس صبر الانتظار والتعود..

فلنر كيف قدم القرآن الصبر؟

❀❀❀ ❀❀ ❀❀❀

أفضل طريقة لفهم معنى الصبر في القرآن هي أن نرى المثل الذي اعتبره القرآن نموذجاً للصبر..

ورغم أن الناس عموماً قد تعودوا في الأمثال السائرة على ربط الصبر بسيدنا أيوب عليه السلام، **إلا أن القرآن الكريم لم يخصص ذلك له حصرياً، فقد ذكره** وذكر معه (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ) (الأنبياء: ٨٥)

لكن القرآن يختار نموذجاً آخر للصبر.. نموذجاً سيجعلنا نفهم ما هو الصبر القرآني..

يقول سبحانه في كتابه الكريم (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) (الأحقاف: ٣٥)

إذن الصبر المطلوب هو صبر هؤلاء.. أولي العزم من الرسل..

نعرف طبعاً أن صبرهم لم يكن انتظاراً وتحملاً بانتظار التعود أو بانتظار أن

تنتهي الأزمة من تلقاء نفسها..

نعرف طبعاً أن صبر هؤلاء الرسل، عليهم الصلاة والسلام أجمعين، كان مختلفاً، وأنهم لو اقتنعوا بنسختنا الحالية من الصبر لما تغير التاريخ على أيديهم، ولربما كنا حتى اليوم نعبد الأوثان.

صبر هؤلاء الرسل، عليهم الصلاة والسلام أجمعين، كان مختلفاً، وأنهم لو اقتنعوا بنسختنا الحالية من الصبر لما تغير التاريخ على أيديهم، ولربما كنا حتى اليوم نعبد الأوثان.

من هم أولو العزم من الرسل؟

استقر الرأي عند المفسرين على كونهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

ومن مجرد اللقب (أولو العزم) نفهم طبيعة صبرهم: لقد كان فيه قوة، كان فيه عزيمة، كان فيه حركة!

فلنتأمل صبرهم واحداً واحداً..

نوح..

صبر على قومه ألف سنة إلا خمسين.. لم يكن صبر انتظار وتحمل.. بل كان صبر عمل ودعوة، لم يبق طريقة للدعوة إلا واستنفدها نوح.. حتى وصل لبناء مشروعه المغاير المختلف، مشروع السفينة، الذي أنقذ الإنسانية من طوفان ذنوبها..

لو كان صبر نوح صبر انتظار، **لغرق والمؤمنون معه كما غرق الجميع..**

إبراهيم؟

لقد ساهم بصبره العامل الفاعل في تغيير العالم.. لقد صبر على دعوة قومه بكل الوسائل، محاورات ومناظرات وصولاً إلى هدم الأوثان..

ولو كان صبره انتظاراً، لما نشأت الأديان التوحيدية الثلاثة التي غيرت وجه العالم، وربما كنا حتى اليوم لدينا إله للقمر وإله للبرد وإله للحصاد..

موسى؟

لقد صبر على جبهتين.. **جبهة فرعون وجبهة قومه..**

كان صبره على جبهة فرعون صبراً على الدعوة والمواجهة بالكلمة، لو كان صبره انتظاراً، لانتظر أن يموت فرعون، عسى أن يكون فرعون القادم أفضل منه..

وكان صبر موسى على جبهة قومه صبر تأديب وتقويم، وكان من السهل جداً، لو أن صبره كان مجرد انتظار وتحمل، أن يتركهم ليحدث لهم التقويم من تلقاء أنفسهم..

وعيسى؟

لقد كان صبره صبر عمل على إعادة الروح إلى التعاليم اليهودية التي تحجرت وغلبت عليها المادية، ولو كان صبره انتظاراً لأن **يلين اليهود وترق قلوبهم من تلقاء أنفسهم، لما كان اليوم هناك (مسيحية)..**

وسيدنا محمد، عليه وعليهم الصلاة والسلام أجمعين؟

كان صبره عليه الصلاة والسلام هو الصبر على العمل والدعوة والتغيير وبناء المجتمع الجديد، منذ أول يوم نزل فيه الوحي في مكة إلى أن تم فتحها وهو صابر على العمل والتغيير..

كان صبره عليه الصلاة والسلام هو الصبر على العمل والدعوة والتغيير وبناء المجتمع الجديد، منذ أول يوم نزل فيه الوحي في مكة إلى أن تم فتحها وهو صابر على العمل والتغيير..

لو كان صبره مثل صبرنا، لبقي في مكة

منتظراً زوال الأصنام من تلقاء نفسها..

كل مفردة فيها صبر في القرآن، كل ثناء على الصبر، وحث عليه، هو ثناء حث على هذا الصبر.. على الصبر الفاعل الإيجابي.. صبر العاملين الفاعلين..

لا على صبر العاطلين عن العمل.. الذين ينتظرون أن يدق الرزق بابهم دون سعي..

❀❀❀ ❀❀ ❀❀❀

وهل قالوا لك أيضاً إن الصبر مفتاح الفرج..

ليس ثمة مفتاح واحد للفرج.. أبداً.. للفرج حزمة مفاتيح، عليك أن تستعملها جميعاً، كي يفتح الفرج بابه.. كل مفتاح سيفتح قليلاً.. وعليك أن تستخدمها جميعاً كي يأتي الفرج حقاً..

اعلم إذن..

ليس ثمة مفتاح واحد للفرج.. أبداً.. للفرج حزمة مفاتيح، عليك أن تستعملها جميعاً، كي يفتح الفرج بابه.. كل مفتاح سيفتح قليلاً.. وعليك أن تستخدمها جميعاً كي يأتي الفرج حقاً..

من هذه المفاتيح: العمل، التوكل، اتباع السنن، الدعاء، التخطيط، الصبر بمعناه القرآني.. وغيرها كثير..

لكن لا مفتاح واحداً للفرج..

❀❀❀ ❀❀ ❀❀❀

واقول لك أيضاً: لا تصبر على وضعك.. إياك أن تتعود عليه أو أن تنتظر أن تتغير أمورك من تلقاء نفسها..

لن يحدث قط..

اصبر على أن تعمل، على أن تجاهد نفسك لكي تغير وضعك.. على أن تغير نفسك..

هذا هو الصبر الحقيقي..

سيكون مُراً أثناء العمل عليه، لكنك بعد الإنجاز، سترى أن ذكراه أصبحت حلوة..

اصبر على أن تعمل، على أن تجاهد نفسك لكي تغير وضعك.. على أن تغير نفسك..

٢٧

الأنا في الـ (نحن)

اسهل شيء يمكن لإنسان ان يفعله في حياته هو ان **لا يفعل شيئاً..**

هذا هو الأسهل على الإطلاق..

اي فعل سيتطلب جهداً من نوع ما، واللا فعل لا يتطلب اكثر من أن تجد التبريرات التي تقنع بها نفسك والآخرين، بأن وضعك هذا، هو وضع طبيعي، او مقبول.. او انه ناتج عن ظروف خارجة عن إرادتك، او حتى أن هذا الوضع جيد أصلاً..

لا بد من تبريرات، بطريقة أو بأخرى، هذا هو أكبر جهد سيبذل من قبلهم!

ولأن للنصوص الدينية سلطة كبيرة، **فإن استخدام الفهم السلبي لها، قد يوفر تبريرات قوية، لمن يريد أن لا يفعل شيئاً في حياته..**

وهذه أكبر جريمة ارتكبت بحق نصوص، **كانت قد انزلت اصلاً من اجل ان تجعلنا نعمل..**

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

كثيراً ما نجد بعض الأشخاص يبررون سلوكياتهم السلبية، **بكونها طبيعة بشرية لا سبيل إلى تغييرها..**

وكثيراً أيضاً ما نجد هؤلاء الأشخاص يستندون إلى القرآن لتبرير وتأكيد ذلك..

ولو أننا دققنا في آيات القرآن التي تتحدث عن الإنسان، **لوجدنا بالفعل ما سيجعلنا نشك في موقفنا.. ونسأل هل يا ترى هم على حق في ادعائهم السلبي؟**

سنجد مثلاً..

أسهل شيء يمكن لإنسان أن يفعله في حياته هو أن لا يفعل شيئاً..

(وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا) (النساء: ٢٨)

(وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ) (هود: ٩)

(إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (ابراهيم: ٣)

خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ) (النحل: ٤)

(وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا) (الإسراء: ١١)

(وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا) (الإسراء: ١٠٠)

(إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا) (المعارج: ١٩-٢١)

(إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ) (العصر: ٢)

نعم، ستجد أن الكثير من السياقات التي ذكرت فيها لفظة الإنسان في القرآن الكريم، كانت تصف الإنسان فعلاً بصفات سلبية.. هناك تركيز واضح على سلبيات الإنسان..

لم يقل أحد إن الإنسان كله إيجابيات أصلاً.. لا مفر من الاعتراف بوجود سلبيات، لكن السياقات القرآنية المرتبطة بلفظة (الإنسان) تركز أكثر على السلبيات..

خلق ضعيفاً، هلوعاً، جزوعاً، منوعاً، قتوراً..

الا يعطي هذا بعض التبرير لمن يريد أن يستمر في وضعه الضعيف؟

سيقول: لقد خلقت هكذا..!

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

هذا صحيح فقط عندما تقرأ الآيات معزولة عن سياقاتها..

القرآن يضع يده على سلبيات نعاني منها كبشر، وهذا إيجابي.. فالإيجابية ليس أن تتحدث فقط عن إيجابيات الإنسان، بل أن

فالإيجابية ليس أن تتحدث فقط عن إيجابيات الإنسان، بل أن تدله على سلبياته ليواجهها..

تدله على سلبياته ليواجهها..

وهكذا فإن القرآن يواجهنا بسلبياتنا، لا لكي نعتبرها قدراً لا فكاك منه، بل كي يدلنا على نقاط ضعفنا التي يجب أن نستعين عليها بنقاط قوتنا..

وهكذا فإن القرآن يواجهنا بسلبياتنا، لا لكي نعتبرها قدراً لا فكاك منه، بل كي يدلنا على نقاط ضعفنا التي يجب أن نستعين عليها بنقاط قوتنا..

نعم، لدينا سلبيات كما قال القرآن..

لكن هذا مجرد تشخيص لمرض، يتبعه علاج..

لكن السلبيين سيقفون عند التشخيص، ويتكاسلون في البحث عن العلاج..

الذي قد يكون على بعد آية واحدة من التشخيص!

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

تتكرر في القرآن كثيرا «إلا الذين...»

استثناء إيجابي لما سبق من صفات سلبية..

إلا الذين آمنوا.. إلا الذين تابوا .. إلا الذين أصلحوا.. إلا الذين عملوا الصالحات.. إلا الذين صبروا.. إلا الذين تواصوا بالحق.. إلا الذين تواصوا بالصبر..

أحياناً هذه الاستثناءات الإيجابية تأتي مباشرة بعد الآية التي تصف الإنسان بالسلبية، كما في سورة العصر.. (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)..

واحياناً تكون على بعد بضع آيات، واحياناً تكون أبعد..

ولكن هذا الاستثناء موجود دوماً، في عموم آيات القرآن..

استثناء إيجابي يقول إن السلبيات المذكورة ليست قدراً لا يمكن الفكاك منه.

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

للوهلة الأولى، ستعتقد أن علاج هذه السلبيات هو في هذه الاستثناءات: الإيمان، العمل الصالح، التوبة، الصبر، التواصي بالحق... إلخ.

وهذا صحيح.. هذا جزء من العلاج بلا شك..

ولكن فلنتنبه هنا إلى شيء مهم..

كل هذه الصفات السلبية ذكرت على إنسان فرد، بصيغة المفرد..

وكل الاستثناءات الإيجابية كانت على صيغة جمع.. صيغة جماعة..

ليست صدفة.. حاشا لله أن يكون في كتابه العزيز ما هو صدفة..

الإنسان خلق ضعيفاً، لكنه سيصبح قوياً عندما يكون ضمن مجتمعه..

خلق هلوعاً.. لكنه سيشعر بالأمان ضمن المجتمع..

هو يؤوس، لكنه، عندما يكون ضمن المجتمع، يشعر بالأمل..

خلق جزوعاً، لكنه سيشعر بالتماسك ضمن مجموعة تحتويه وتضمه..

هذا هو المعنى المهم في كسر الصفات السلبية الموجودة في الإنسان كفرد..

سيبقى الإنسان محتفظاً بصفاته السلبية تلك لو بقي ضمن إطار فرديته الضيقة، ضمن أناه، لو رفض أن يتفاعل مع مجتمعه عطاءً وأخذاً..

وسيتخلص منها عندما يدخل دائرة الاستثناء الواسعة..

سيبقى الإنسان محتفظاً بصفاته السلبية تلك لو بقي ضمن إطار فرديته الضيقة، ضمن أناه، لو رفض أن يتفاعل مع مجتمعه عطاءً وأخذاً..

وسيتخلص منها عندما يدخل دائرة الاستثناء الواسعة..

دائرة المجتمع المتفاعل بالعمل الصالح..

دائرة المجتمع المتفاعل بالعمل الصالح..

●●● ●● ●●●

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ) (البلد: ٤ – ١٧)

الإنسان – المفرد مجدداً..

فلا اقتحم العقبة..

وما أدراك ما العقبة؟

إنها هذا الحاجز الذي يمنع الإنسان من الخروج من أناه الضيقة.. إنها هذا القيد في الداخل الذي يحبسنا داخل فرديتنا..

وكيف يكون اقتحام هذه العقبة؟ كيف يكون تخطي هذا الحاجز وكسر هذا القيد؟!

القرآن يدلنا على أعمال خيرية ذات طبيعة مجتمعية واضحة: فك رقبة (تحرير الإنسان من العبودية)، إطعام المساكين والفقراء، رعاية اليتامى..

هكذا تقتحم العقبة، عبر التواصل لمساعدة الآخرين ممن هم بحاجة إليك، وأنت بحاجة أيضاً لهم كي تتخلص من عقبتك..

وبعد هذا الاقتحام للعقبة، والخروج من الأنا الضيقة.. يكون من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة..

لقد كان اقتحامه للعقبة بمثابة فك لرقبته هو من تلك الأنا الضيقة..

كان اقتحامه للعقبة هو الوسيلة للتخلص – أو على الأقل للتقليل – من تلك

الصفات السلبية التي يظن البعض أن لا خلاص منها..

إنه أن تذوب الأنا في الـ (نحن)..

هذا هو..

إنه أن تتخلص من سلبيات الأنا، تضعها على جنب.. وتذوب في الـ (نحن)..

لا.. لا تخف.. لن تفقد تميزك وتميز أناك..

بل ستجعل مميزاتها في خدمة الـ (نحن)، وستتفاعل وتستفيد من مميزات الآخرين الذين أذابوا أناهم أيضاً في الـ (نحن)..

إنه أن تفعل شيئاً لمجتمعك.. حتى عندما تفعل شيئاً لأناك، يكون هناك شيء ما لمجتمعك.. حتى عندما تحقق شيئاً لنفسك، يكون هناك فائدة لمجتمعك..

هذا هو العقد الموقع بين الأنا و الـ (نحن)..

وهذا هو الذي ينفع الاثنين معاً..

❋❋❋ ❋❋ ❋❋❋

ولقد خبرت الأنا فيك..

عرفتها..

مميزة جداً، مثل منجم مليء بالفحم الخام الذي يمكن أن يولد الطاقة..

لكنك ويا للأسف، تستهلكها كما لو كانت فحمة تحرق بها أنفاسك..

لم تخلق أناك لتحرق هكذا.. أو لتحرقك..

لم تخلق لتطلقها في اللا شيء..

خلقت لكي تساهم في شيء أفضل..

تقول إنك مليء بالسلبيات والضعف والعيوب وأنك تخجل، أن تقول ما تفعله

اناك في خلواتك؟

لا تكن ابله يا صديق، كلنا هذا الرجل..

لكن يجب أن لا يدفعنا هذا لخطأ اكبر، خطأ ان لا تفعل شيئاً تجاه ذلك، أن لا تفعل شيئاً في حياتك..

هذه الأنا كنز يا صديق..

لكنها كنز دفين، لا يمكن أن تصل إليه إلا عبر طريق واحد فقط..

طريق يمر بالـ (نحن)..

الأنا في الـ (نحن)، يا صديق..

٢٨

اليومُ التالي لـ (أحُدْ)..

نبرع أحياناً في تسمية هزائمنا بانتصارات..

نلف على المعنى، نغير تعريف النصر أو الهزيمة، الربح أو الخسارة، بحيث ينطبق على ما مررنا به، فيكون انتصاراً أو نجاحاً بطريقة ما..

نريح ضمائرنا كي لا نواجه الحقيقة.. لا نواجه هزيمتنا.. لا نواجه فشلنا..

ولكن، عندما تقنع نفسك بأن ما مررت به من فشل لم يكن فشلاً أو هزيمة أو خسارة، وإنما هو انتصار ونجاح بطريقة ما، فإنك لن تستطيع أبداً أن تخرج منه..

بعد كل شيء: لم تخرج من حالة النصر والربح؟!

وهكذا ندخل في حلقة مفرغة من الهزائم والخسائر المُقنّعة بشعارات النصر والنجاح..

يحدث هذا كثيراً، ليس على صعيد الأحداث العامة فحسب..

بل كثيراً ما يحدث في حياتنا الشخصية..

ندخل في علاقات تستهلكنا، في مشاريع تستنزف طاقاتنا، بالتدريج نعرف أنها علاقات فاشلة، أو مشاريع خاسرة، لكننا نكابر، نتحدث عن إيجابيات وهمية لشخص ما، نتحدث عن الموازنة بين إيجابيات هذا الشخص وسلبياته، وبين خسائر هذا المشروع وفوائده..

كثيراً ما نعرف أن الأمر في حقيقته ليس كما نقول، وأننا نخدع أنفسنا، وأننا قد نصدق في النهاية ما نقول ونقتنع به..

عندما تقنع نفسك بأن ما مررت به من فشل لم يكن فشلاً أو هزيمة أو خسارة، وإنما هو انتصار ونجاح بطريقة ما، فإنك لن تستطيع أبداً أن تخرج منه..

يحدث هذا كثيراً للأسف.. نهرب من حقيقة ما، فلا يزيدنا الهروب إلا اقتراباً من الهاوية..

لكن القرآن يعلمنا أن نواجه الحقيقة الصعبة.. مهما كانت حادة ومُرّة.. يعلمنا أن الطريق الوحيد للتخلص من صعوبة موقف ما ومرارته هو بمواجهته أولاً..

القرآن يعلمنا أن نواجه الحقيقة الصعبة.. مهما كانت حادة ومُرّة.. يعلمنا أن الطريق الوحيد للتخلص من صعوبة موقف ما ومرارته هو بمواجهته أولاً..

بلا أقنعة.. بلا تجميل.. بلا شعارات..

لذلك فإن ما تعرض له المسلمون في غزوة (أُحُدُ)، لا يغطى بأي كلمات مواساة أو شعارات تجمل ما حدث..

لقد كان ما حدث مصيبة..

وكان بسببكم!

(أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران: ١٦)

نعم، إنها مصيبة.. وهي من عند أنفسكم..

عليكم أن تواجهوا ذلك..

لا بالنواح.. ولا بإنكار أنها مصيبة..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ما الذي حدث في (أُحُدْ)؟

القصة معروفة.. المسلمون حققوا تقدماً في البداية، وانكسر جيش المشركين.. الرماة على الجبل الذين كانوا من المفترض أن يحموا ظهر المسلمين،

استعجلوا جني ثمار نصر، لم يكن قد اكتمل بعد..

العبرة قد تكون واضحة: لقد خالفتم الأوامر والتعليمات الصادرة، فتسببتم بما حدث..

لكن العبرة الأهم هي مواجهة الحقيقة.. مواجهة السبب..

من السهل جداً الهروب من الحقيقة..

فلنتخيل فقط لو أن الأمر تكرر وقتنا هذا، ليس على صعيد عسكري، بل حتى على صعيد شخصي، أو على صعيد عمل جماعي..

سنفعل أي شيء وكل شيء باستثناء مواجهة الحقيقة..

سنتحدث عن **مؤامرة** تستهدفنا.. عن **خيانة..**

سنرمي الأمر على شماعة **القضاء والقدر..** بعضنا سيرميه على **الحسد والعين..** أو حتى **الجن!**

وبعد أن ننتهي من كل هذا، قد نقول إن الأمر **لم يكن فشلاً أو هزيمة أصلاً..**

بل كان انتصاراً..

أما القرآن، فهو يقول ببساطة..

مصيبة.. من عند أنفسكم..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ليست المشكلة هي في حدوث الهزائم والخسائر..

فهذا أمر طبيعي، ولا بد أن يحدث في كل تجربة بشرية..

(أُحُدْ) تحدث دائماً..

المهم هو اليوم التالي لـ (أُحُدْ)..

المهم هو كيف سنفسر ما حدث في أُحُدْ؟

المهم هو مواجهتنا للحقائق.. لأن هذه المواجهة هي التي ستجعلنا نخرج من أُحُدْ، نجعل من ذلك الجبل مجرد تلة صغيرة مررنا بها، مجرد محطة عابرة في طريقنا..

في اليوم التالي لـ (أُحُدْ)، لو لم نواجه الأسباب الحقيقية التي قادتنا لـ (أُحُدْ)، فإن **ذلك الجبل سيصبح كل عالمنا، سنبقى فيه..**

يمكن لذلك الجبل الذي اسمه (أُحُدْ) أن يكون محطة مهمة جداً في حياتنا، نتعلم منها مواجهة أنفسنا بلا شعارات ولا أقنعة.. لكنها محطة ضمن محطات أخرى في طريق طويل.. محطة تقود إلى الأفضل رغم أنها كانت في حد ذاتها هزيمة..

ويمكن له أن يكون عنواننا الدائم.. يمكن أن نبقى فيه.. دون أن نستطيع الخروج منه..

وعندما يكون (أُحُدْ) مكاناً لإقامتك الدائمة، فإن قمة هذا الجبل، تكون مجرد هاوية..

ليست المشكلة هي في حدوث الهزائم والخسائر..
فهذا أمر طبيعي، ولا بد أن يحدث في كل تجربة بشرية..
(أُحُدْ) تحدث دائماً..
المهم هو اليوم التالي لـ (أُحُدْ)..
المهم هو كيف سنفسر ما حدث في أُحُدْ؟
المهم هو مواجهتنا للحقائق..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

عندما انتهت المعركة، انسحب المسلمون إلى الجبل، كي يحموا رسول الله عليه الصلاة والسلام، ووقف أبو سفيان آنذاك أسفل الجبل وهو يصيح ممجداً صنم قريش الأثير هُبل.. «اعْلُ هُبل اعْلُ هُبل»..

على قمة الجبل، وقف الرسول عليه الصلاة والسلام وجمع من صحابته..

ورد عمر بن الخطاب على أبي سفيان: الله أعلى وأجل.

قال له أبو سفيان، من أسفل الجبل: يوم بيوم بدر.. الأيام دول، والحرب سجال.. كان يقصد: واحدة بواحدة، هذه بتلك، انتصرتم مرة وخسرتم مرة.

قال له عمر من أعلى الجبل: لا سواء.. قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار..

عمر، بجملته هذه يحدد الفرق، **الفرق الأخروي فقط، أما دنيوياً، نعم هو يوم بيوم، لقد هُزمنا في أحد، كما هُزمتم في بدر.. لن ننكر هذا..**

ولأننا لن ننكر هذا، فإننا نقف على قمة جبل (أُحُدْ)، لنرى ما حدث حقاً، ولمَ حدث ما حدث، وسيجعلنا هذا نترك (أُحُدْ)..

لا تترك ظهرك مكشوفاً..

لا لعدو، ولا حتى لصديق..

ذلك أن طعنة الصديق، مؤذية أكثر بكثير من طعنة العدو..

سيجعلنا (أُحُدْ) مجرد محطة، وسيكون هنالك يوم آخر، مختلف بعد (أُحُدْ)..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

درس (أُحُدْ) الكبير، أن تواجه أيضاً حقيقة مُرّة من حقائق الحياة.

لا تترك ظهرك مكشوفاً أبداً..

ما حدث مع المسلمين، المصيبة التي حدثت لهم والتي انتهت بمقتل سبعين صحابياً من ضمنهم حمزة، كانت بسبب أن ظهرهم ترك مكشوفاً..

لا تترك ظهرك مكشوفاً..

لا لعدو، ولا حتى لصديق..

ذلك أن طعنة الصديق، مؤذية أكثر بكثير من طعنة العدو..

في حياة كل منا لا بد ان يكون هناك فشل ما، او هزيمة ما..

قد يكون الأمر في مشروع مهني، في علاقة شخصية، حب او صداقة او زواج..

يمكن لنا ان نحولها إلى (أحُد).. إلى هزيمة وخسارة اعترفنا بأنها خسارة وهزيمة وتجاوزناها ووصلنا منها إلى ما هو افضل.. لأننا اعترفنا بها وواجهنا أسبابها..

ويمكن لنا ان نجترها، ان نعيش في دوامتها إلى الأبد، نكابر، ننكر، نرفض أن نعترف ان هذه العلاقة كانت فاشلة منذ اول يوم بدات فيه، وان هذا المشروع قد حمل بذرة فشله منذ البداية..

في حياة كل منا، ثمة هزيمة ما..

هزيمة يمكن أن نحولها لتكون درساً نتجاوزه.. للوصول إلى النصر وتجنب هزيمة أخرى..

ويمكن أن نجعلها أسلوباً لحياة مهزومة، نرفض الاعتراف بأنها مهزومة..

لن نستفيد شيئاً من المكابرة والإنكار، غير ان ندخل في حرب استنزاف، معارك يومية صغيرة تلهينا عن المواجهات الأهم في حياتنا..

في حياة كل منا، ثمة هزيمة ما..

هزيمة يمكن أن نحولها لتكون درساً نتجاوزه.. للوصول إلى النصر وتجنب هزيمة أخرى..

ويمكن أن نجعلها أسلوباً لحياة مهزومة، نرفض الاعتراف بأنها مهزومة..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ولقد كانت طعنتك مؤلمة يا صديق،

مؤلمة جداً..

ربما لأنها أتت منك أنت بالذات..

لكني لن أسقط في دوامة لومك.. (قل هو من عند أنفسكم).. لا بد أني أخطأت في شيء ما.. ربما أخطأت في اختيارك أصلاً.. أو بالغت في الثقة بك.. ربما أخطأت بأن كشفت ظهري لك..

لا بد أن ما حدث كان نتيجة رؤية قاصرة مني..

كانت طعنتك مؤلمة يا صديق، ولأنها كانت كذلك، **فسأحرص على أن لا تشفى تماماً**، أريد من الجرح الذي نتج عن طعنتك أن يترك أثراً في ظهري، **ندبة تذكرني بكل ما كان**، تعلمني أن لا أنسى، أن أدقق أكثر في اختياراتي، أن أقنن من ثقتي بالآخرين، أن لا أترك ظهري مكشوفاً لهم..

سأجعل من أثر طعنتك **نُصباً تذكارياً يذكرني دوماً بما كان**، نُصباً تذكارياً يحذرني من أن أكرر ما فعلت، نُصباً تذكارياً يجعلني أواجه أخطائي.. وفي الوقت نفسه، يذكرني أن لا أفقد ثقتي بالجميع لمجرد أنك أنت قد طعنت..

ومن يدري، ربما ذات يوم، سأنظر إلى أثر طعنتك، فأبتسم، وأقول لك: شكراً يا صديق..

في حياة كل منا (أُحُدٌ) ما، هزيمة ما، طعنة ما..

المهم هو، ماذا سنفعل، في اليوم الذي يلي هذه الطعنة..

٢٩

عن الفتح في نهاية النفق..

فتح مكة!

من يمكنه أن ينسى المشهد الختامي السعيد.. مكة التي اضطهدت الدين الجديد وطردت المؤمنين به وحاربتهم حتى بعد أن فتحوا صفحة جديدة في مكان بعيد.. مكة تفتح أبوابها لجموع المؤمنين وهم يدخلونها فاتحين..

وها هم قادة مكة الذين جيشوا فيما مضى الجيوش للقضاء على الإسلام، يتفاوضون، للحصول على شروط أفضل قليلاً في الوضع الجديد..

والأوثان، تلك التي كان أهل مكة قد حاربوا الدين الجديد من أجلها، **الأوثان تتهاوى وتتحطم لتصبح جذاذاً..**

وها هو بلال الذي عُذِّب وسُحل في شوارع مكة، يعتلي أشرف ما في مكة، الكعبة، يرتقيها ليكون على سطحها، وبنفس الحنجرة التي كانت تقول (أحد أحد) أثناء التعذيب، يصدح اليوم بكلمات الأذان..

من يمكنه أن ينسى هذا المشهد؟!

لا أحد يمكنه أن ينسى المشهد، لكن للأسف الكثيرون ينسون المعاني المتضمنة فيه..

الكثيرون ينسون جوهر الفتح.. ويركزون على تحطيم الأوثان..

بعبارة أخرى: الكثيرون يتوهمون أن الفتح هو تحطيم الأوثان، وبالتالي يتصورون أن تحطيم ما يتصورونه أوثاناً، سيأتي بالفتح الذي يتمنونه..

ليس هناك شيء أبعد من هذا عن الحقيقة..

الكثيرون يتوهمون أن الفتح هو تحطيم الأوثان، وبالتالي يتصورون أن تحطيم ما يتصورونه أوثاناً، سيأتي بالفتح الذي يتمنونه..

الفتح قصة طويلة.. بدأت من (اقرأ) في الغار، يوم نزل الوحي، واستمرت لثلاثة وعشرين عاماً صعبة، واختصارها لتحطيم هبل واللات والعزى، ظلم كبير لكل ما حدث في السنوات الثلاث والعشرين السابقة..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ولو أن الأمر كان يمكن أن يختصر بتحطيم الأوثان، ألم يكن من الممكن اختصار الرحلة الطويلة؟ ألم يكن من الممكن للصحابة، وهم على ما هم عليه من بطولة وشجاعة أن يقوموا بعملية (استشهادية) – سمها ما شئت – فيقتحمون الكعبة ويحطمون أصنامها، وينتهي الأمر؟.. وكفى الله المؤمنين القتال والطريق الصعب الطويل..

للأسف، هذه النظرة السطحية ما كان يمكن أن تكون عند الجيل الأول وفيهم الرسول عليه الصلاة والسلام.. **لقد امتلكوا من العمق ما يجعلهم يعلمون يقيناً أن لا طريق مختصراً للفتح.**

كان الصحابة يعلمون أنهم لكي يصلوا إلى الفتح، فإن عليهم المرور بنفق طويل أحيانا يكون مليئا بالمطبات والعثرات، ويكون أحياناً مظلماً تماماً..

لا طريق مختصراً للفتح..

لقد كان الصحابة يعلمون أنهم لكي يصلوا إلى الفتح، فإن عليهم المرور بنفق طويل أحياناً يكون مليئاً بالمطبات والعثرات، ويكون أحياناً مظلماً تماماً..

لا طريق مختصراً للفتح..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ولأن طريق الأنبياء واحد، مهما باعدت بينهم الأزمنة.. فقد كان لهم في تجربة أبي الأنبياء مثال وعبرة تمنعهم من أن يفكروا ولو مجرد التفكير في تحطيم الأوثان مادياً، قبل أن يزيلوها من فكر الناس وعقولهم..

قام سيدنا إبراهيم، وهو لا يزال فتى، بالتسلل إلى معبد قومه المليء بالأوثان، في غفلة منهم، وانهال عليها بالفأس ولم يترك منها شيئاً إلا كبيرهم..

عندما جاء قوم إبراهيم ووجدوا مذبحة آلهتهم، لم يفقدوا إيمانهم بها، بل سارعوا إلى محاكمة إبراهيم وجمع الحطب لحرقه..

ليس من مصعد سريع يأخذك إلى الفتح..

عليك أن تأخذ السلالم!

ربما لم يكن سيدنا إبراهيم يقصد سوى تحريك عقولهم..

لكن العبرة في القصة واضحة: ليس من طريق مختصر للفتح. خذ طريق النفق الطويل الذي قد يتطلب ٢٣ عاماً من العمل الجاد كما حدث في فتح مكة..

ليس من مصعد سريع يأخذك إلى الفتح..

عليك أن تأخذ السلالم!

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

لم ينقل عن أهل مكة صدمة كبيرة عندما رأوا تحطم آلهتهم وآلهة آبائهم على شدة اعتزازهم بها..

لم ينقل لنا أن أحدهم قد فقد عقله.. أو انفجر بالبكاء أو أصيب بانهيار ما وهو يرى هبل وقد تحول إلى شظايا..

لماذا؟ ألا يبدو ذلك غريباً؟

كيف تتحطم آلهة قوم، وقد كانوا يؤمنون بها طيلة حياتهم، فلا يصابون بصدمة؟

حدث ذلك، لأن هذا الفتح الذي يمر عبر النفق الطويل، قد قام **بعملية إزالة**

تدريجية للأوثان من عقول أهل مكة ولو من دون أن يشعروا..

لقد تحطمت الأوثان تدريجياً في أذهانهم، حتى صار تحطمها المادي على أرض الواقع تحصيل حاصل.. صار نتيجة متوقعة لا تُحدث صدمة..

هكذا يحدث الفتح..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

فلنتنبه هنا إلى أن هذا التحطم التدريجي للأوثان في أذهان أهل مكة، لم يكن عبر النقاش معهم حول سخف عبادة الأصنام ولا منطقيتها، للأسف، أغلب الناس لا تتغير معتقداتهم عبر النقاش، هناك فئة محددة أكثر تقبلاً وتأثيراً، يمكن لها أن تتغير عبر هذا.. لكن جموع الناس لا تتغير هكذا، بل تتغير الجموع عندما تجد البديل الأفضل لما كانت تتمسك به..

تتغير الجموع عندما تجد البديل الأفضل لما كانت تتمسك به..

وكان هذا هو ما قام به عليه الصلاة والسلام عبر رحلة النفق الطويلة..

لقد قام ببناء البديل، قام ببناء البديل الناجح في المدينة المنورة.. مجتمع التوحيد لم يكن مجرد مجتمع بلا أصنام، ويعبد الله وحده، لقد كان مجتمعاً ناجحاً اقتصادياً ويتمتع بعدالة وتوازن اجتماعيين، لقد سحب هذا البديل البساط من أقدام تجار مكة و(الملأ) المكي المحتكر للقوة والثروة..

بالتدريج، نجاح هذا النموذج البديل، وصموده، وتصاعد نجاحه المستمر، جعل

بالتدريج، نجاح هذا النموذج البديل، وصموده، وتصاعد نجاحه المستمر، جعل الأوثان تتآكل في أذهان أهل مكة..

الأوثان تتآكل في أذهان أهل مكة..

لم يعد الأمر نقاشاً عن التوحيد ضد عبادة الأصنام..

لقد صار التوحيد ممثلاً في مجتمع ناجح متماسك قوي اقتصادياً واجتماعياً..

وكانت هذه هي الضربة الأهم والأكثر تأثيراً في قاعدة أكبر صنم في قريش (هُبل)..

أكرر هنا: النقاش الفكري يجلب التغيير عند فئة معينة ومهمة بلا شك..

لكن الجموع، غالباً، لا تتغير إلا عند وجود بديل مادي أمام أعينهم.

وما كان يمكن للبديل أن يحدث أصلاً لولا المرور بمرحلة النقاش التي ستجلب الفئة المهمة القادرة على بناء ذلك البديل المادي..

إنه النفق الطويل المؤدي إلى الفتح..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

وسورة النصر، التي نزلت بعد فتح مكة، هي ثاني أقصر سورة في القرآن..

(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)

ولكنها تقع تقريباً في نهايته..

كما لو أن الفكرة هنا، أن الفتح في النهاية قد يبدو سهلاً، يسيراً، لكن لكي تصل له عليك أن تمر بطريق طويل..

كي تصل إلى سورة النصر.. عليك أن تقرأ القرآن كله.. وتطبق القرآن كله..

بعبارة أخرى: كي تصل إلى سورة النصر..

عليك أن تقرأ القرآن كله.. وتطبق القرآن كله..

أي أوهام حول حرق المراحل، أو اختصار الطريق، أو اتخاذ طرق مختصرة، لن يؤدي إلى سورة النصر..

فلننتبه هنا إلى أن السورة تتحدث عن دخول الناس أفواجاً..

أي عن نفس فكرة الجموع التي أشرنا إليها..

فلنتذكر أن هذه الأفواج **لم تدخل عبر نقاش مقنع..**

بل عبر **تقديم بديل قوي مقنع..**

*** ** ***

ونظلم مفهوم الفتح كثيراً إن قصرناه على الجانب العسكري..

لأنه أصلاً (حتى في وقتها) لم يقتصر على هذا الجانب.. وكان النصر العسكري الذي حدث نتيجة لما هو أكبر من مجرد استعدادات عسكرية..

بل إن كلمة الفتح أطلقت في القرآن أولا على (الصلح)! وليس على الغلبة العسكرية، فقد وصف القرآن الكريم (صلح الحديبية)، بالفتح المبين، وكان الصلح وقتها اتفاقية هدنة أتاحت للمسلمين توسيع نشاطهم الاجتماعي والدعوي في الجزيرة العربية..

لا تقل إن زمن الفتوحات انتهى..

الذي انتهى ربما هو ذلك الجزء التاريخي – العسكري من الفتوحات..

لكن زمن الفتوحات (الحقيقية) لا ينتهي قط..

الفتح هو أي نجاح يتوج رحلة طويلة من الكفاح..

الفتح هو أي ثمرة نهائية تأتي بعد نفق طويل مظلم..

الفتح هو الوصول لأي بديل أفضل يقتنع به الناس ويشرعون في تبنيه..

لا تقل إن زمن الفتوحات انتهى..

الذي انتهى ربما هو ذلك الجزء التاريخي – العسكري من الفتوحات..

لكن زمن الفتوحات (الحقيقية) لا ينتهي قط..

الحقيقية..

الفتوحات التي تقدم حلولاً بديلة لمشاكل العالم، الفتوحات التي تساهم في جعل العالم أفضل..

أي فتح في أي مجال، علمي، اقتصادي، اجتماعي..

كلها فتوحات..

وزمنها لا ينتهي قط..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ثمة فتح ينتظرنا كل يوم!

لكن علينا أن نذهب له.. عبر ذلك النفق..

والكلام ليس من عندي، بل هو من كلامه عليه الصلاة والسلام، إذ نقل عنه أن قال..

إذا أصبح أحدكم فليقل: أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين، اللهم إني أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته..

فتح هذا اليوم!

فتح كل يوم!..

عليه الصلاة والسلام يقول لنا إن ثمة فتحاً لما هو مغلق، يمكن أن نحدثه كل يوم..

عليه الصلاة والسلام يقول لنا إن الفتح اعمق بكثير من ان يكون مجرد نصر عسكري.. إذ ليس هناك غزوة كل يوم..

عليه الصلاة والسلام يقول لنا إن الفتح النهائي، يمكن ان يكون نتيجة نهائية لمجموعة فتوحات شخصية متراكمة.. ساهمت في تعبيد النفق الطويل..

وماذا أعددت لفتحك انت يا صديق؟

هل ستقول إن الأمر أكبر منك وانك مجرد شخص عادي..

لا يا صديق.. لست عادياً ابداً، **لكنك ستكون عادياً لو اقتنعت بأنك عادي..**

ثمة فتح كل يوم، كل يوم..

وربما الأوثان التي عليك أن تهدمها هي تلك الأوثان التي توهمك بأنك عادي، بأنك فاشل، بأنك لن تتمكن من إنجاز شيء..

عليك ان تهدم هُبل يأسك، ولات عجزك، ومناة تصورك بأنك لن تتمكن من إنجاز ما هو مهم..

الفتح قد يكون نجاحك الشخصي البحت، ما دام هذا النجاح يصب في نجاح المجتمع، وما دمت قد جعلت نيتك فيه لله..

ثمة فتح ينتظرك هناك عند نهاية النفق..

الآن انت تعرف الطريق..

٣٠

تايم أوفر!*

---

* أعدت لتكون آخر حلقة ، مع نهاية رمضان ، ونهاية البرنامج.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ) (البقرة: ١٨٣-١٨٤)

ايام معدودات..

فعلاً، ها هو الشهر يكاد ينقضي..

لا تكاد تصدق انه انتهى بهذه السرعة.

امس كنا نقول: غداً رمضان، ونتبادل التهاني بقدومه..

وها هو اليوم يكاد يذهب..

ايام معدودات..

لا تكاد تبدأ حتى تنتهي..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

ولكن ليس رمضان وحده كذلك..

في رمضان، نشعر بذلك على نحو مكثف ومباشر، ربما لأن ثمة أجواء معينة ترتبط به، ترتبط ببدايته وقدومه، وترتبط بأيامه الأخيرة، ومغادرته..

لذا فإننا نستطيع أن نميز مشاعرنا جيداً قبل شهر، ونقول: ياه، بهذه السرعة؟

نعم.. بهذه السرعة.. للأسف.

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

المؤسف أكثر أن العمر كله في الحقيقة، هو مثل رمضان..

مجرد أيام معدودات..

يمر بسرعة، كما يمر بر مضان بسرعة..

مع رمضان نشعر بها أكثر، نستشعرها على نحو عملي أكثر.. يكاد يكون مثل بروفة للعمر كله.. تدريب عملي كل سنة على هذه الحقيقة التي قد ننساها في خضم حياتنا اليومية..

حقيقة أن العمر هو مجرد أيام معدودات.. هاربة من بين أيدينا، كما يهرب الماء من كفوفنا، قبل أن يصل إلى أفواهنا..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

تك تك تك..

تكات الساعة الموقوتة تبدأ منذ أن نلج هذه الدنيا.

تستمر معنا طيلة حياتنا، موقوتة لوقت محدد لا يعرفه أحد إلا الله..

تكات مثل تكات القنبلة الموقوتة، لكن لا انفجار يحدث مع انتهاء التكات..

كل ما يحدث هو أن وقتك انتهى هنا على هذه الأرض..

العمر هو مجرد أيام معدودات.. هاربة من بين أيدينا، كما يهرب الماء من كفوفنا، قبل أن يصل إلى أفواهنا..

كما يعلن المراقب في قاعة الامتحان، عن انتهاء الوقت المحدد..

ويسلم كل ورقته..

لكن هذه المرة، الوقت المحدد لكل شخص سيكون مختلفاً..

كلٌ يسلم ورقته في وقت مختلف..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

لو أنصتنا قليلاً..

لو تركنا الضجيج الذي نفتعله من أجل اللا شيء..

لو حاولنا أن ننتبه، أن نفيق من غفلتنا، أن نصحو من موتنا اليومي الذي نسميه حياة..

لربما انتبهنا إلى تلك التكات..

ربما كانت دقات قلوبنا هي تلك التكات.

ربما..

فهي تدق منذ أن ولدنا..

وستتوقف ساعة الرحيل..

ربما هذه هي فعلاً تكات الساعة الموقوتة.

لو أنصتنا إليها..

لربما انتبهنا إلى العمر الهارب من بين أيدينا..

لو حاولنا أن ننتبه، أن نفيق من غفلتنا، أن نصحو من موتنا اليومي الذي نسميه حياة..

لربما انتبهنا إلى تلك التكات..

ربما كانت دقات قلوبنا هي تلك التكات.

ربما..

فهي تدق منذ أن ولدنا..

وستتوقف ساعة الرحيل..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

العمر كله ينقضي بسرعة: حقيقة عالمية..

هل هذا جيد؟ أم أنه سيئ؟

يعتمد على ماذا حققت أو أنجزت في عمرك.

هذا أمر جيد، أو على الأقل ليس سيئاً، لو كنت قد حققت شيئاً خلال ذلك.

وهو أمر سيئ بلا شك: لو كنت لم تنجز «متطلبات تخرجك» من هذا

العمر..

الأسوأ من هذا: ليس لديك مجال لإنجاز هذ المتطلبات في مرحلة لاحقة..

في حالة متطلبات التخرج الجامعية، لو لم تنجزها في الوقت المحدد، فلديك دوماً فرصة أخرى في سنة قادمة أو فصل قادم..

للأسف، لا توجد لدينا فرصة كهذه مع متطلبات التخرج من العمر.. لا توجد فرص ثانية هنا..

محاولة واحدة.

الرحلة انتهت.

*** ** ***

ولكن هل متطلبات التخرج موحدة، كما هو الأمر في الجامعات؟

كمسلمين، نعم، نؤمن بوجود جزء معين موحد من المتطلبات.. مثل كل أركان الإسلام وأركان الإيمان..

لكن هذه ليست كل متطلبات التخرج.. رغم ان البعض يحاول أن يفهمنا ذلك..

كما يكون في متطلبات التخرج الجامعي، مواد نظرية وأخرى عملية، أو ربما مشروع للتخرج، كذلك في متطلبات التخرج من رحلة العمر، ثمة ما هو موحد، وثمة ما هو مختلف في طبيعته ولا يمكن ان يكون موحداً..

كما يكون في متطلبات التخرج الجامعي، مواد نظرية وأخرى عملية، أو ربما مشروع للتخرج، كذلك في متطلبات التخرج من رحلة العمر، ثمة ما هو موحد، وثمة ما هو مختلف في طبيعته ولا يمكن أن يكون موحداً..

الأمر يتعلق حتماً بموقعك نحو قسمك بما منحه الله لك من صفات.. بالظروف التي تحيط بك.. بالعصر الذي عشت فيه

نعم. **لا متطلبات موحدة تماماً للتخرج الأكبر.. التخرج الحقيقي..**

ولكن عليك أن تكون قد أنجزت شيئاً..

عليك أن تكون قد تركت بصمة ما. أثراً ما. تغييراً ما..

لا متطلبات موحدة تماماً للتخرج الأكبر.. التخرج الحقيقي..
ولكن عليك أن تكون قد أنجزت شيئاً..
عليك أن تكون قد تركت بصمة ما. أثراً ما. تغييراً ما..

تتفاوت المواهب حتماً. وتتفاوت الهمم. وتتفاوت الإرادات. فتتفاوت النتائج. وتتفاوت العلامات..

ربما ستكون موهبة البعض هي أن يرعى ويدعم مواهب الآخرين. وربما سيكون البعض موهبته في نشر فكرة ما أبدعها شخص آخر. وربما موهبة البعض ستكون في تطبيق القانون. في تربية الأطفال.. في فكرة مبدعة لم تخطر على عقل بشر..

تتفاوت المواهب. وتتفاوت النتائج..

لكن..

متطلبات التخرج، تتطلب أن تترك شيئاً ما خاصاً بك، قبل أن تغادر هذا الكوكب..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

في هذه الرحلة التي تمر سريعاً على هذا الكوكب. في هذه الأيام المعدودات التي نقضيها لاهين عن تكات الساعة. نستهلك الكثير من جهدنا وأعصابنا وعواطفنا من أجل قضايا جانبية.. قضايا لا يمكن تجاوزها أو إهمالها كلية.

لكنها غالباً ما تتحول لتصبح هي القضية المركزية في حياة كثيرين..

اقصد هنا العلاقات الشخصية والمبالغة في التركيز عليها، كما لو كانت هي طوق النجاة الذي سينقذنا..

نستهلك الكثير من أنفسنا من أجل عاطفة قد تكون عابرة، أو صداقة هامشية، نحزن أكثر مما يجب على فراق لن يحدث الكثير من الفرق في نهاية الأمر.. نتوهم أحياناً أن السعادة قد تقع في رضا شخص ما عنك.. أو في وجودك بالقرب منه.. مجرد أوهام تلهينا عن الأمر الحقيقي المهم.. عن متطلبات التخرج..

رمضان، لأنه يخبرنا كم هي سريعة هذه الحياة، فهو يقول لنا ضمناً: **ركز على المهم!**

في هذه الرحلة التي تمر سريعاً على هذا الكوكب، في هذه الأيام المعدودات التي نقضيها لاهين عن تكات الساعة، نستهلك الكثير من جهدنا وأعصابنا وعواطفنا من أجل قضايا جانبية.. قضايا لا يمكن تجاوزها أو إهمالها كلية، لكنها غالباً ما تتحول لتصبح هي القضية المركزية في حياة كثيرين..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

صبيحة العيد..

وأنت تقف أمام المراة، لتتأنق في ثياب العيد يا صديق..

وأنت تحرص على التفاصيل التي ستظهرك في أبهى صورة: تناسق الألوان.. الياقة المنشاة.. طية الثوب المكوية..

كل شيء.

أقول لك: احرص أكثر. ودقق أكثر. **وتأمل في المراة أكثر.**

اغرق في تفاصيل الأناقة، ليس في ذلك ما يعيب.

ولكن هناك تفصيل واحد لا تتجاوزه.

أقول لك: **تأمل في رقبتك يا صديق**. تحسسها، مد أصابعك وانزل إلى التقائها مع كتفيك..

حدق فيها جيداً. وتحسس أكثر، وتأمل أكثر، وتساءل في صبيحة العيد وأنت أمام المرآة هل أعتقت هذه الرقبة من النار؟

أم أن الأغلال لا تزال تسلسلها وتشدها إلى جهنم؟

هل تحس آثارها الغليظة على رقبتك؟ هل تسمع صوت خشخشتها إذا التفتّ يميناً ويساراً وهَزَزْتَ رأسك بشدة؟

هل أعتقك رمضان من النار؟ أم أنك وصلت إلى طرفها وكدت تنجو لكن إعادتك إليها عودتك إلى ما كنته قبل رمضان.

صبيحة العيد، لا يزال ثمة أمل، الأيام التالية هي التي ستحدد بالضبط، وتستطيع أن تعرف منها وضعك بالضبط، هل نجوت أم أنك لا تزال في القعر هناك؟

الأيام التالية هي التي ستحدد: هل ولدت من جديد في رمضان يا صديق؟

أم أن الولادة كانت ميتة، حالة احتضار أخرى؟

أم أن الحمل كان كاذباً أصلاً..



هو الوداع إذن..

آن أوانه الحتمي..

ها نحن نستعد للرحيل عن الاستديو..

ها هم العمال ينتظرون أن أنهي الحلقة لحمل معدات التصوير والإضاءة..

وتفكيك الخلفية من ورائي..

ها نحن، أولئك الذين جمعهم العمل المكثف معاً، نستعد لكي يمضي كل منا في اتجاه، نودع بعضنا، نتبادل أرقام الهواتف والإضافات على مواقع التواصل الاجتماعي، والوعود بالتواصل..

بعد قليل، سنلملم حاجياتنا، ويحرص كل منا على أن لا يكون قد ترك شيئاً وراءه..

لكننا سنرجو جميعاً أن نكون قد تركنا أثراً فيكم.. سنرجو لو أن ما قدمناه، قد ترك ولو بصمة صغيرة في أنفسكم..

أليس هذا ما يحدث في حياتنا كلها أيضاً بطريقة أو بأخرى؟

ألا نأتي هنا إلى هذا الكوكب، فتبدو حياتنا كما لو كانت مجرد فرصة للتعارف..

لو تأملت الآن قصة حياتك ورحلتك فيها، لوجدت أن الزمن يفقد هيبته مثل متسول يدور على الأبواب، وكان في أيامه عزيز قومه..

ثم نرحل، وكل ما نأمل أننا تركناه هو أثر على هذا الكوكب؟

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

يا صديق..

كل حياتنا هي أيام معدودات.. ولو تأملت الآن قصة حياتك ورحلتك فيها، لوجدت أن الزمن يفقد هيبته مثل متسول يدور على الأبواب، وكان في أيامه عزيز قومه..

لو تأملت وفتشت وقلبت وفكرت لتعجبت: هل حقاً انقضت عشر سنوات منذ ذلك الحدث؟ هل حقاً انقضت خمسة عشر عاماً على ما يبدو كأنه البارحة؟ هل حقاً انقضت عشرون عاماً منذ أن كان كذا؟

كثيراً ما نقول: كأنها البارحة.

وهذا حق. إنها أيام معدودات.. والزمن فيها عزيز قوم ذل..

وبعد عشرين عاماً، ربما سنقول أو سيقول غيرنا نفس الشيء على هذا الحاضر الذي يبدو اليوم طويلاً عريضاً..

لكنه أيام معدودات والزمن فيها عزيز قوم ذل..

سنكتشف أن صداقتنا هي مثل كل شيء، صداقة لأيام معدودات، وأقول لك: بعد قليل سيأخذ الطريق كلاً منا في اتجاه وسنحزن - لأيام معدودات - من أجل الفراق، ثم ستأخذنا مطحنة التفاصيل لأيام معدودة أخرى فننسى أو نتناسى وتدفننا حياتنا لأيام معدودات أيضاً، وبعدها، وكما سيحدث للجميع، سأذهب أنا، وستذهب أنت، وسيحملوننا كلاً في تابوته، وستعلو أسماؤنا لافتات النعي السوداء المعلقة لأيام معدودات.

وسيبكي علينا أحباؤنا وأقاربنا لأيام معدودات على الأكثر، ثم ستأخذهم مطحنة التفاصيل التي أخذتنا من قبل، وسيجدون في النسيان نعمة تلهيهم عنا..

وبينما نحن هناك في قبورنا، وعندما يأتي الربيع التالي، سينمو العشب فوق قبورنا، مستفيداً بالتأكيد من المركبات العضوية التي تحللت إليها أعضاؤنا ورؤوسنا..

إنه أمر مرعب بالتأكيد.. وأكثر شيء مرعب فيه أنه حتمي، لا فرار منه.

❋❋❋ ❋❋ ❋❋❋

لكن العشب على القبور لن يكون نهاية المطاف.

ففي النهاية ستتعرض لذلك الاختبار الذي سيبين هل كانت حياتنا محض سماد عضوي لعشب عابر وتافه أم أننا استطعنا أن نترك أثراً أفضل، واستطعنا أن ننتج ثماراً مفيدة لنا وللآخرين من بعدنا.

لذلك أقول لك، ما دام العشب العابر النامي هناك يتربص بنا، فلنحاول أن

نثمر شيئاً،

وما دام الوقت يحارب ضدنا، فلنحاول أن نكسبه - ما دمنا نقدر.

وما دامت رؤوسنا ستكون سماداً عضوياً للعشب التافه النامي فوق القبور، فلتكن أيضاً بالإضافة إلى ذلك سماداً روحياً للثمر القادم لا محالة..

فلتكن رؤوسنا سماداً لثمر يبقى..

❁❁❁ ❁❁ ❁❁❁

واقول لك يا صديق..

ليلة العيد..

كن بخير.. بالخير الذي اتفقنا عليه..

كونوا جميعاً بخير..

ما دام العشب
العابر النامي
هناك يتربص بنا،
فلنحاول أن نثمر
شيئاً،

وما دام الوقت
يحارب ضدنا،
فلنحاول ان نكسبه
- ما دمنا نقدر.

وما دامت رؤوسنا
ستكون سماداً
عضوياً للعشب
التافه النامي فوق
القبور، فلتكن أيضاً
بالإضافة إلي ذلك
سماداً روحياً للثمر
القادم لا محالة..







لا نأسف على الإزعاج

مع العمري

د. أحمد خيري العمري